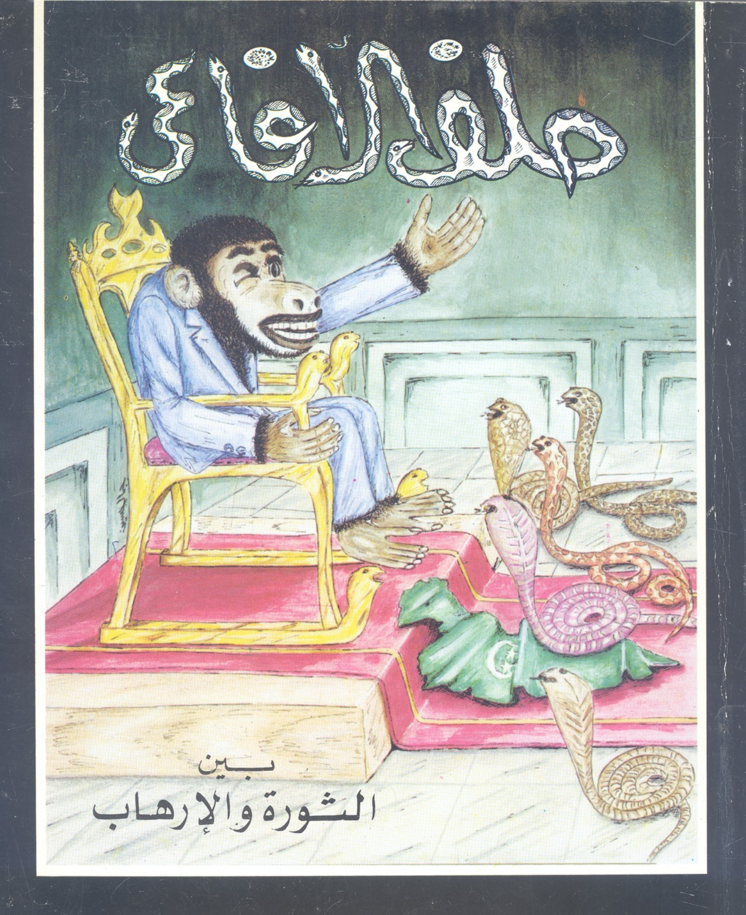


بقلم الدكتور
شامل أباظة

اهداءات ٢٠٠٢

حرم أ.د/محسن خليل

الإسكندرية

حلف الأفاعى

بين

الثورة والإرهاب

بقلم

د . شامل أباظه

١٩٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم : فؤاد سراج الدين

يسعدنى أن أقدم لإخوانى من أبناء الشعب المصرى الكريم هذا الإنجاز الهام من تأليف الصديق العزيز الدكتور / **شامل أباظه** بعنوان « حلف الإفاعى بين الثورة والإرهاب »

وهو مؤلف قيم وجذاب وممتع ومفيد . فما أن بدأت قراءته حتى وجدتنى مستغرقا فى صفحاته حتى نهايتها ، ولم اشعر مع سطورة بأى ملل أو إرهاق فهو يتميز بالبساطة والوضوح والسلاسة ، بحيث لايرهق القارىء ولايضعه فى حيرة بين المعانى المتضاربة أو الغامضة لعباراته.

ولقد حرص الكاتب على تدعيم وتوثيق الوقائع التى سردها والتى ناقشها وحللها ، فقد رجع الى الوثائق التاريخية والى مؤلفات وكتابات ومذكرات السياسيين والمؤرخين وإعترافات قادة الإنقلاب العسكرى وبالذات من اختلف معهم وانتقدهم.

ولقد حرص الكاتب على ابراز طبيعة مؤلفه، فهو ليس مجرد سجل تاريخى يتميز بالصدق وتوخى الحقيقة يكتفى فيه المؤلف بسرد الوقائع وبيان مدلولها، وإنما أوضح أنه كتاب سياسى يعبر فيه الكاتب عن رأيه فى الاحداث التى تعرض لها .

وهو شجاع وصريح فى مواجهة المواقف والأراء التى يختلف معها ، فهو فى عباراته لايعرف المناورة السياسية ولا اللف والدوران ،

ولقد إنحاز الكاتب انحيازا كاملا الى الديمقراطية والى الحرية وحقوق الإنسان وكرامته . ومن هنا كان عداؤة الشديد لكل الأفكار والتنظيمات الفاشية والإرهابية ، وهى التى تعتمد فى وسائلها على العنف وسفك الدماء وإرهاب الأعداء . ومن هنا كذلك كان رفضه الصريح لحكم العسكريين الذى بدأ فى يوليو ١٩٥٢ . وتظهر فائدة الكتاب وأهميته من الموضوع ومن الحقبة الزمنية التى يتعرض لها ، فهو يتعرض لنظام الحكم ولنشاط الاحزاب والتنظيمات السياسية فى مصر منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن . وهذه الفترة تعتبرمن اخطر الاوقات التى وجهت وحددت مستقبل مصر الى أجل بعيد ، قد يحتل وقتا طويلا من القرن القادم . وخطورة هذة الفترة أنها شهدت تداول حكمين مختلفين ، الحكم الملكى والحكم العسكري. وتشهد تداول السيطرة العالمية بين الإمبراطورية الإنجليزية وبين الدولتين الأعظم وهم امريكا وروسيا ، ثم اخيرا الهيمنة الكاملة للولايات المتحدة الأمريكية . والكتاب له قيمة كبيرة ويعتبر إثراء للمكتبة السياسية المصرية والعربية لما تضمنه من جهد وفكر وشجاعة واصالة ووضوح .

وانى أقدم تهنئتى الخالصة للمؤلف على إنجاز هذا العمل الكبير وأرجو للقارئ العزيز أن يجد فيه ما ينفع وما يرد على الكثير من علامات إستفهام تتصل بهذه الأحداث السياسية فى هذة الحقبة التى حظيت بإهتمام مؤلف هذا العمل المتميز.

فؤاد سراج الدين

المقدمـــة

أصبحت مصر وكأنها بلد مفتوح أمام الإحتلال الجديد، وهو الإحتلال الذي يخالف طبائع الأمور، لأن الجيش الغازى هو جيش مصر الذى ترتجيه البلاد للذود عن حياضها وتأمين حدودها فى الخارج ، وهو صمام أمنها وإستقرارها بعد أن تبارت دول الشرق الأوسط فى تحديث جيوشها وتزويده بأحدث الأسلحة المتاحه ، وبعد أن زرعوا إسرائيل فى المنطقة ، وكأنها الممثل للمصالح الأمريكية فى أغنى مناطق البترول العربية، وعندما نتكلم عن الأسلحة المتاحة فأننا نشير إلى التعهد الأمريكى بعدم تزويد الدول العربية بأية أسلحة تخل بميزان القوى بالمنطقة ، مع تأمين إسرائيل بحيث يظل ميزان القوة دائما فى صالحها بالنسبة لجيرانها مجتمعين.

ولعل سياسة الدولتين الأعظم فى الحقب مابعد الحرب ، وحتى تفكك ماكان يسمى بالإتحاد السوفيتى ، كانت ترمى دائما كل منها إلى استقطاب الدول الصغيرة وإصطناع الأزمات والفتن حتى لاتجد هذه الدول المتنازع عليها من سبيل إلا فى ظل حماية إحدى الدولتين الأعظم. كما لم يكن أمام هذه الدول من خيارات فى سوق السلاح الذى تحتكره هاتان الدولتان كذلك .

ونظرتنا الى الماضى القريب توحى لنا أن هاتين الدولتين كانتا على حد أدنى من الإتفاق على مناطق النفوذ ، واحترام المصالح الحيوية فى ظل الوفاق الدولى بحيث لاتمس التعهدات القائمة بينهما والتى لايعرف العالم عنها إلا ما يسمح بنشره من وثائق ، وبعد انقضاء فترات محددة وفقا

لأهمية هذه الوثائق من الناحية القومية ، ومن هذه الوثائق مالا يسمح بنشره على اطلاقه.

بينما يدور التنافس فى المناطق الهامشية وبقدر متفق عليه ، مع الإعتراف بنسب محددة من المصالح لكل منهما تعترف بها كل دولة للأخرى تأمينا لمصالحها، ومع إعادة النظر من وقت لاخر فى الخريطة العالمية وفقا للمتغيرات الدولية وتأمينا لعدالة التوزيع بينهما.

– وفى تصورنا أن هنالك من المقدسات مالايجوز التغاضى عنها فى مجال التنافس، ولعل المثل الأوضح هو دول الخليج ومنابع البترول فى الشرق الأوسط وعلى وجه الخصوص المملكة السعودية والكويت التى تحظى بالرعاية الأمريكية بالدرجة الأولى.

ويبدو أن التعامل بين القوتين الأعظم كان يدور فى نطاق الكرة الأرضية ككل وكصفقة واحده ، وبحيث اذا ماأخلت دولة منهما فى تعهداتها فى أحد مناطق النفوذ ، فأنها تفقد صلاحياتها فى مناطق أخرى.

وقد دأبت الدولتان الأعظم على إصطناع العملاء فى الدول الأخرى التى يجرى فيها التنافس بحيث شهدت هذه المناطق المضطربة ووفقا لما اصطلحوا على تسميته بلعبة الأمم ، زعامات برزت ، وانتفخت وملأت أحراش غاباتها بزئير دونه زئير الأسود ، وبخطب طنانة دونها ماكان يتردد قبل الحرب العالمية الثانية من الدكتاتوريات كالنازية والفاشية والماركسية.

ولقد خلقوا من هذه الدمى أبطالا حيث لابطولة ، وزعامات حيث لازعامة - باحدث ماابتكرته وسائل الدعاية والترويج والعلوم النفسية من أساليب . ومثل هذه العرائس التى تحركها الأيدى الأميركية أو الروسية هى التى كان يناط بها المهام التى تتطلبها المصالح الإمبريالية فى العالم.

وأصبح لهذه الزعامات مستشارون يسدون اليهم النصح أو ينزلون عليهم الوحى ، هذا اذا ماكانت هذه الزعامات المصطنعة على درجة من الواقعية ، فهى تصدع بالأمر ، تتلقاه فتنصاع لأنها تدرك جيدا عاقبة التمرد ، إلا أنه فى كثير من الأحوال ماتذهب السلطة المطلقة بعقول أصحابها الذين ليس لهم عهد بعيد بفنون السياسة ، وخاصة فى حالات الدكتاتورية العسكرية فهم بطبيعتهم ليسوا مؤهلين لإدراك كنه الحرية والديمقراطية وسراديب السياسة.

وهكذا فقد شهدت مصر زعامات ثورة ١٩٥٢ التى انتقلت أو أنها وجدت نفسها بين عشية وضحاها ترتفع عن محيطها الضيق إلى عالمنا العربى ثم الإسلامى ثم الإفريقى ، ثم دول عدم الإنحياز، ثم انطلقت وحلقت حتى ملأت الدنيا وشغلت الناس . ولكن **عبد الناصر** "تختلط عليه الأمور " ، كما يقول ثعلب الثوره **أنور السادات** فى كتابه البحث عن الذات ، فيفقد بصيرته ، حتى أصبح لايبصر ما بعد أنفه ، بل لعل مداه فى الرؤية كان دون أنفه الطويل .

ولقد اعتقد **عبد الناصر** أنه قد انتصر فى حرب سنه ١٩٥٦ على دول ثلاث منها فرنسا وانجلترا وهى الإمبراطورية التى كانت الشمس

لاتغرب عنها ، ولم يدرك ان انتصاره المزعوم كان نتيجة لقرار أصدره الرئيس الأمريكى **ايزنهاور** حينما أمر الدول الثلاث بالإنسحاب فتصدع للأمر. ويقول **بن جوريون** مقولته المشهورة " **لابد من الخوف مما لابد من الخوف منه**" . أما فى مصر فقد ذكر **السادات** فى كتابة [١] " أن حاشيــة **عبد الناصر** لم يكن لها من شاغل الا تضخيم ذاته حتى تبقى لهم مناصبهم " كما يقول فى موضع آخر ، إن **عبد الناصر** كان " مشغولا بالخرافه التى أصبح أسمه مقترنا بها ... خرافة كبيرة جدا فى مصر والعالم العربى فهو البطل الذى حقق النصر على إمبراطوريتين كبيرتين " **بريطانيا وفرنسا** " فبعد أن أغفل **عبد الناصر** الدور الحقيقى الذى لعبه **أيزنهاور** فى هذا المجال مما حول الهزيمة العسكرية الى نصر سياسى أصبح كما يبدو أول المصدقين إنه إنتصر ... لا للحقيقة وهى الهزيمة العسكرية" .

أما تحليل الموقف الأمريكى وقرار الرئيس **ايزنهاور** وإبعاده ومراميه فمجاله دراسة أخرى ، إلا أن هذا القرار رغم مايثيره من دراسات متضاربة فقد كان بداية إنسلاخ أمريكا عن حلفائها ، وبداية زعامة امريكا المنفردة فى العالم وكذلك استقلال القرارات الأمريكية وفقا لمصالحها الدولية وتنكرها للإستعمار القديم .

وبعد انحسار حرب سنه ١٩٥٦ ، واحتكار **جمال عبد الناصر** للنصر المزعوم وتصرفه كزعيم ملهم فأنه كان بذلك يخرج عن دوره المرسوم إلى مصيره المحتوم شأنه شأن من سبقوه.

وفى مصر مازال مصرع الزعيم يؤرق المخدوعين والحالمين والضالعين فى المؤامرات والمنتفعين – واذا مات **عبد الناصر** فإنها سنة الحياة والنهاية

١- البحث عن الذات – السادات ، ص ١٧٠ .

المحتومة للبشر. أما موت الآلهة ، أما خسوف القمر فهو شئ آخر فى عرفهم ، فهم مازالوا يهيمون فى التيه ، يندبون آمالهم الضائعة وأحلامهم المبددة.

لقد قامت الثورة فى مصر بعد أن مهد لها الاستعمار أخبث تمهيد ، مستغلا الفوضى التى كانت تسود البلاد فى ظل ملك لم يستطع أن يرتفع إلى مستوى الأحداث .

وكان يتنازع النفوذ فى مصر وفى أخريات الحكم الملكى ضربان من ضروب الإستعمار قديمة وحديثة ، إلا أن السباق كان محسوما منذ البداية للولايات المتحده التى كانت تعتبر نفسها الوريث الطبيعى للإمبراطورية البريطانية.

فانجلترا لها أسلوبها العتيق الذى لم يعد صالحا فى عالم مابعد الحرب فهو يذوى وحده ويضمحل وينحسر، كما أنها قد خرجت من الحرب منهوكة القوى مستنفذة الموارد.

– ولعلها قد أخطأت فى اختيار ممثليها فى مصر ، وخصوصا **اللورد كيلرن** ، أو **"سير مايلز لمبسون"** الذى إقترن إسمه بأولى تحركات الجيش السرية التى هالها الاسلوب الإستعمارى المتعجرف فى احداث ٤ فبراير ، وفرض وزارة وفدية رغم أنف الملك ، اذ إقتحم السفير القصر الملكى تحوطه الدبابات والمدرعات ، دافعاً بمنكبه العريض من يعترضه من رجال القصر ، حتى كاد أن يفقد **ذو الفقار رجل الملك العجوز** توازنه بعد أن دفعة دفعاً . بل إنه كان يؤدى مهمته بسعادة غامره كما سجل هو فى مذكراته .

وربما كان للسفاره البريطانية حججها من وجهة نظرها ومصالحها الإستعمارية ، فقد كان القصر الملكى يزخر فىّ أثناء الحرب العالمية بالحاشية الإيطالية وأغلبهم ممن ينتمون إلى أحط الطبقات كالحلاق ومربى الكلاب الذين أصبحا من ذوى النفوذ فى الحاشبة الملكية. كما كان القصر يحتوى أيضا على الدوائر الممالئة للمحور التى أقحمها الملك في أمور الحكم وشئون السياسة بغير سابق دراية أو خبرة.

كما كان القصر يزخر أيضاً بالطبقات التى تدعى الأرستقراطية من الأتراك المتمصرين وغيرهم من الجنسيات الأخرى، بل أن كثيرا منهم من كان متزوجا من زوجات المانيات . وكانت الجالية الإيطالية فى مصر من أكبر الجاليات كما كانت متعصبة للفاشبة الموسولينية بوجه خاص ولقضية المحور على العموم .

- إلا أن وقع هذا التهجم على القصر الملكى كان بالغ الشدة على الجيش المصرى الذى شعر بالمهانه ، وكذلك كان شأن الشعب المصرى على اطلاقه ، وكان ما يزال متعلقا بالملك فاروق كل التعلق ، ومازال يتردد فى أذنى تلك الأبيات التى انتشرت فى هذه الآونه ومنها:

دخلوا علي الأسد العرين وسعوا إليه مدججين

مولاي عفوك عنهمُ والعفو عندك كل حين

ضلوا الطريق إلى بنى غازى فجاؤا عابدين

والأبيات هنا تعبر عن غضب الشعب كما تعبر عن الشماتة لهزيمة جيوش الإنجليز فى بنى غازى ، إلا أن شعبية حزب الوفد قد عكست الموقف إلى حين.

كما كان **اللورد كيلرن** بالغ القحة فى تعاملة مع الملك حتى أنه كان لايشير إليه إلا بلفظ **الولد The boy** ، وكان يقحم نفسه فى أدق خصوصياته حتى إنه فرض عليه مدرسا بريطانيا انتقاه له بنفسه محاولاً التأثير على توجهات الملك الشاب.

– وإحقاقاً للحق فأن توجهات الملك فى بدايتها كانت مصرية وطنية صميمة ، كما كان متعاطفا مع القضية الفلسطينية ، وكان يحاول فى أول عهده التقرب الىٰ الشعب عن طريق الدين ومايظهره من تطلعات إسلامية وكان من أشد المقربين إليه الشيخ ، **محمد مصطفى المراغى** ، وكان يحرص على صلاة الجمعة، من كل أسبوع وفى معيته الأمام الأكبر – وكان الشيخ يدعو له ويحاول ماوسعه الجهد أن يضفى عليه الإمامة والخلافة للدول الإسلامية.

إلا أن الشيخ أيضا كانت له تطلعاته السياسية ولعلها كانت تلاقى كل الهوى فى نفس **الملك فاروق** – من تمسك بحياد مصر فى الحرب العالمية الدائرة ، والدعوى إلى الوقوف بعيدا عن النزاع العالمى وتجنيب مصر ويلات الحرب ، وكانت له مقولته الشهيرة " **إنها الحرب التى لا ناقة لنا فيها ولاجمل**" ولعل أكثر المناهضين للإنجليز من حاشية الملك ومستشاريه هو **على باشا ماهر** ، رغم ماكان يعرف عنه من تردده وتخاذله عن إتباع سياسة صريحة محددة ، وعجزه عن إتخاذ القرارات الحاسمة إلا أنه رغم

ذلك كان متعاطفا ولاشك مع دول المحور وعلى ثقة أن مصير الحرب سيتحدد لصالحهم.

ولعل **صلف السفير** وعجرفته قد ضاعفت من هذا الإتجاه المعادى للإنجليز فى دوائر القصر ، إلى جانب كره المصريين للإستعمار على وجه العموم وهو من الأمور الطبيعية، كما كان لأسطورة **روميل** على رأس الجيش الألمانى ماكان يثير خيال العالم وإعجابه.

- إلا أن العواطف الشخصية والمشاعر الإنسانية شئ ، وحسابات السياسة الباردة شئ آخر، فرغم عداء الحزب السعدى الشديد للإنجليز بزعاماتة الوطنية التى كانت تقود الحركة السرية ضد الإحتلال البريطانى فى ثورة مصر سنه **١٩١٩** ، فأنهم أعلنوا منذ البداية رأيهم فى وجوب دخول مصر إلى جانب الإنجليز فى بداية الحرب العالمية الثانية ومنذ إعلانها.

وسنرى حجتهم فى ذلك فى الصفحات المقبلة ، إلا أننى ألخصها فأقول أن الرأى كان قد أستقر عندهم على المطالبة بالجلاء الكامل بمجرد إنتهاء الحرب.

وكان يدور فى إعتقادهم أن دخول الجيش المصرى يمهد للمفاوضات المنتظره أفضل تمهيد ، بل أن تقاعس مصر عن حماية حدودها ، تاركة هذه المهمة لجيوش الحلفاء منفردة يعنى فى حد ذاته الإعتراف بالحماية البريطانية الفعلية ، **وقبول مصر إستبدال سيد بسيد واحتلال باحتلال.**

وأود هنا أن أنقل بعض الفقرات من واقع خطاب السفير الإنجليزى في ذلك الحين "**مايلز لامبسون**" إلى **إيدن** في ٢٨ يوليو سنة ١٩٣٨ مما يفصح عن الثأر القديم والقائم مابين الإنجليز و **النقراشي** وهو الذى ينادى بدخول الحرب إلى جوار الإنجليز . وهذه الفقرات منقولة عن كتاب مؤسسة الأهرام – مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية تحت عنوان " **مصر والحرب العالمية الثانية ص ٤٦** " يقول السفير في خطابه " **فإن الموقف الذى أتخذه (النحاس باشا) تجاه المسألة الفلسطينية كان معقولاً وجديرا برجل دولة"** ، ومتفقا مع ماينتظر من رئيس وزراء دولة حليفة ، ويعكس عزمه على التعاون القلبى معنا فى خصومته الشديدة **للنقراشي باشا** ورغبته فى التخلص منه.

والنقراشي باشا دون شك يخفى وراء أسلوبه الناعم الخلاب رغبة متحرقة للتخلص من كل موظف إنجليزى فى خدمة الحكومة المصرية وموقفه هذا قد سبق أن أبلغتكم عنه فى رسالتى رقم ٧٦٩ المؤرخة ١٦ يونيو ، وفى برقيتى رقم ٤٢٦ فى ٢٤ يوليو . (من الوثائق البريطانية).

ولعلنا نتبين أن كان الأمر يحتاج لمزيد من بيان أن قرار الحزب السعدى فى العمل والمناداة بضرورة دخول مصر إلى جانب الحلفاء فى الحرب العالمية منذ إعلانها كان قراراً لاينبع إلا عن وطنية صادقة وشجاعه عظيمه تعكس بعد النظر للحزب السعدى ككل.

وحتى لايتشعب بنا الحديث فنفسد إنسياقة ، ونحن فى هذه المقدمة بصدد شرح الأسباب التى كانت وراء الإضطراب والفتن فى مصر ، فإننا

نعود ثانيا إلى حادث ٤ فبراير وهو فى رأينا المقدمة لثورة ١٩٥٢ ، وأن المخابرات الأمريكية الحديثة العهد بالسياسة الدولية كانت قد فطنت ببعد نظرها لمدى مايمثله جرح ٤ فبراير فى نفوس الضباط والملك والشعب . بل إننا نجد فى مذكرات **اللورد كيلرن** فقرات نقلها كتاب **Too Rich** لمؤلفه وليم ستاديم يقول فيها " **أنه على أغلب الإحتمالات ، ووفقا لمعرفتى الشخصية بطبيعة الملك فاروق فإننا اكتسبنا عداءه الدائم والمتزايد والذى لن يهدأ حتى تحين الفرصة للإنتقام** " .

ويعقب المؤلف **ستاديم** : أن سير" **مايلزلامبسون**" وهو المتعجرف الوقح لم يكن صادقاً فى حدسه بقدر ماسطرته نبوءته .

ولقد إستغل رجل الإنقلابات **كيرمت روزفلت** حادث ٤ فبراير ليتقرب إلى **الملك فاروق** متعاطفا معه بل ولقد كان موقف عمه العجوز **فرانكلين روزفلت** رئيس الولايات المتحدة فى ذلك الوقت كذلك.

وقد اتاحت صداقة الملك **بكيرمت روزفلت** ورجاله فى مصر أن يقيموا صداقات عميقة مع الأوساط المختلفة وعلى وجه الخصوص مع كثير من الضباط المصريين ، ولعل مثل هذه الصداقات ومحاولات التعرف على طبيعة السياسة فى مصر كانت تمهيداً لما بعد الحرب ، وقد أدركوا تماما أن زعامة العالم لابد وان تنتقل من الإمبراطورية المنهكة والمفلسة إليهم.

بل أن **الرئيس روزفلت** نفسه لم يترك للسياسه الإنجليز فرصة للشك فى مقاصد وأهداف الولايات المتحدة ، فقد صرح فى كثير من المناسبات

إن الوقت قد حان لإعادة ترتيب العالم ، وإعادة الموازين فى توزيع الثروات الطبيعية.

ولم يكن بخاف على **تشرشل** وهو يستنجد بالولايات المتحدة إن لكل شئ ثمنه وإن المساعدات البالغة الضخامة التى تتلقاها بريطانيا أثناء الحرب ، لابد وأن يكون لها مقابلها الفاحش فى النهاية ، ولعل نظر الولايات المتحدة كان أكثر تركيزا على دول البترول فى إيران والسعودية وكذلك مصر لمركزها البالغ الأهمية فى الشرق الأوسط ولعل تعيين **كافرى سفيرا بمصر** كان تمهيدا للدور الأمريكى المتعاظم فى المنطقة .. وسرعان ما توثقت صله السفير **بالملك فاروق** ، ورغم التجربة الفاشلة لإنقلاب سوريا العسكرى والذى دبرته دوائر المخابرات الأمريكية فقد كان رأى **كيرمت روزفلت** ورجاله بمصر هو ضرورة التخلص من الملك فاروق وكذلك النظام الملكى بعد أن جهد **كافرى** فى إقناعهم بهذه الحتمية.

كما إستقر الرأى على أن الجيش فى مصر هو وحده القادر على القيام بالإنقلاب .

وإذا مارجعنا إلى مذكرات الضباط الأحرار فإننا لن نعدم الدليل على الصلة التى قامت بين المخابرات الأمريكية وبينهم قبل قيام الثورة .

ولقد كان الملك غافلا عن التحركات الأمريكية فى المنطقة ، وقد أعمت شهوه الإنتقام بصيرته حتى أنه لم يتحرز فى اختيار الوسائل الكفيلة ببلوغ أهدافه وأغراضه . ولندع الأسلوب الدبلوماسى الذى انتهجه

أحمد حسنين مستشار الملك والأمين الأول للقصر حينما تعقب السير **مايلزلامبسون** حتى أطاح به فى نهاية الحرب بل وأنه أفلح في وضع العقبات التى حالت بينه وبين احلامه في أن يصبح نائبا للملك فى الهند . أو هكذا يدعون .

ومضى **الملك فاروق** فى عبثه حتى أنه كون عصابة من القتلة لإغتيال **مصطفى باشا النحاس** إلا أن محاولات الإغتيال لم يكتب لها النجاح ، كما أستطاعت عصابتة المسماة بالحرس الحديدى من الضباط والمدنيين أن تغتال **أمين عثمان** رجل انجلترا الأول فى مصر ، ورئيس رابطة النهضة التى تدعو إلى الصداقة الإنجليزية المصرية بل إلى الزواج الكاثوليكى على حد تعبيره والذى لاتنفصم عراه بين البلدين . وكـان **أمين عثمان** على حد اعتقاد الملك هو المسئول عن مؤامره ٤ فبراير . كما قامت العصابة الملكية أيضا بإغتيال **الشيخ حسن البنا** انتقاما لمقتل **النقراشى** وذلك على أغلب الظنون .

وكما أوقع الحظ العاثر **الملك فاروق** فى سوء اختياره لحاشيته فأنه لم يوفق أيضا فى اختيار مستشاريه السياسيين ، وكذلك فى اختيار أصدقائه الشخصيين ومنهم المتآمرون عليه وعلى ملكه ، كما أنه لم يصادفه التوفيق أيضا بقبوله فكرة الإرهاب وتكوين تشكيل عصابى تحت مسمى **الحرس الحديدى**.

وقد خرجت من عباءة هذا التنظيم الإجرامى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، وقد كان أحد أفراد هذا التنظيم على سبيل القطع **أنور السادات** ، واذا

ما أخذنا بالوقائع التى أوردها **خالد محى الدين** فى كتابه ، فإن **جمال عبد الناصر** نفسه لم يكن بعيدا عن هذا التنظيم ، وهكذا خرج من عباءة الملك زعماء ثورة سنة ١٩٥٢ ورئيس الجمهورية الثانى **جمال عبد الناصر** ، وكذلك رئيس الجمهورية الثالث **أنور السادات**.

وفى هذا الكتاب فإننا نحاول أن نستكشف من هم آباء الثورة الحقيقيون. ومن أى عباءة خرجوا. أهى عباءة الملك كما سبق الذكر أم عباءة المخابرات الأمريكية ، أم الإخوان المسلمين ، أم الشيوعيين أم عباءة المتطرفين من أجنحة الحزب الوطنى القديم أم من المغامرين الذين تجتذبهم رائحة الدم. ومن واقع ماأتاحته لنا مذكراتهم ومن واقع أقوالهم التى لم يتحرزوا فى إطلاقها نستطيع أن نتعرف على كثير من الأمور التى حرصت ثورة يوليو المشئومة على إخفائها .

مذكراتهم تنم عليهم

حينما قام الضباط الأحرار بانقلابهم المشئوم فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، فقد كان لكل مغامر منهم فكرة ومثله وأهوائه وأحلامه وماضيه وتطلعاته . وهذه الخلفيات والأهواء والتطلعات تختلف وتتضارب بإختلاف البيئة والنشأة والفطرة والثقافة ، وماأظن إلا أن ثقافتهم كانت بالغة الضحالة والسطحية ، ولذلك فقد وقعوا فريسة للآخرين يحركونهم ويبثون فيهم النزعات أو النزاغات.

وهم بطبيعتهم متآمرون لايحول بينهم وبين ماينشدونه عهد أو ذمة أو وشيجة. وحتى لاتذهب بالقارئ الظنون أن أكون متحاملا ، فقد إخترت أن أشهد عليهم مذكراتهم ، فمذكراتهم تنم عليهم - لكل واحد منهم مذكراته المنشورة بعد أن أصابتهم عدوى التأريخ ، وبكل مذكرة روايات وأقاصيص ، وكل رواية منها تضحض مايسبقها من أحداث ووقائع فى مذكرات الآخرين .

ولعل إختلاف رواياتهم للأحداث وتضاربها إذا ماأحسنا بهم الظنون ترجع إلى قصور أفهامهم عن المعانى الجليلة للحرية والديمقراطية ، وثقافتهم الضحلة فى أصول السياسة والإجتماع والإقتصاد . كما ترجع إلى اختلاف ترجمتهم للحدث وبواعثه ، هذا إذا ما افترضنا كما سبق الذكر إنهم كانوا صادقين .

ولعل بعضهم وهم الساده الضباط الأحرار قد داخلتهم الوساوس أن الحرية هى رفاهة مقصورة عليهم دون الآخرين من أبناء وطنهم ، فما يكتبونه هو التاريخ ومايشرعونه هو الدستور وإن رغمت أنوف وأنوف.

ولعله قد إستقر فى روعهم أنهم قد أمموا الحقائق أيضا فيما أمموه ورحم الله **أبا العلاء** حينما يقول.

تلوا باطلا،وجلوا صارمــا وقالوا صدقنا فقلنا نعــم

فالسياسة فى رأيهم هى فن المداهنة والمناورة والخداع وتحطيم كل عقبة تعترض سبيلهم بكل الوسائل والأساليب . وقد رأيت أن أستشهد بالرئيس الراحل **محمد نجيب** حيث يقــول فى كتــابــه " **كلمتى للتاريخ**" صـ ٢١٣ : "**لم أكن أستطيع النظر فى وجه جمال وعبد الحكيم كنت أرى على وجهيهما قناع إبليس ومن إيديهم تقطر الدماء**" . وفى موضع آخر من الكتاب صـ ٢٢٦ يقول " **إن أسلوب عبد الناصر كان تطبيقا جيدا لما كتبه ميكافيلى فى كتابه الأمير**" .

ولعل فى كتاب الرئيس **محمد نجيب** نفسه ماينم على ترجمته الغريبة لمعانى الحرية والديمقراطية والشرعية وهو الزاعم بأنه كان هو الداعية للحرية بين العسكريين ففى عهده تم إلغاء العمل بدستور سنة ١٩٢٣ وابتداع ما أصطلحوا على تسميته بالشرعية الثورية ، والذى يدعو لبالغ الدهشة إنه يعترف فى كتابه إنه عند عودته محمولا على الأعناق ، وبعد إن أضطر مجلس قيادة الثورة مرغما إلى إعلان عودته رئيساً للجمهورية فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٣ بقوة الشعب وضغط الجماهير، وكان الشعب ينتظر فى تأهب وغضب قرارات تحقق له الحرية ، أن تقدم **عبــد الناصــر** فى إجـتماع بمنزل **على ماهــر** وبحضور الدكتــور **عبد الرازق السنهورى** لمناقشة الخطوات القادمة ... بإقتراح أعادة دستور

سنة ١٩٢٣ إلا أن الرئيس **محمد نجيب** قد وصف هذا الإقتراح بمانصه بأنه **"مريب"**. وبأنه قد رفضه وهو ماجاء بكتابه صفحة رقم ١٩٨.

ومانظن إلا أن الإقتراح الذى تقدم به **جمال عبد الناصر** لم يكن إلا من قبيل المناورات ، واقامة العقبات فى طريق **محمد نجيب** وعرقلة سعيه نحو رئاسة مستقرة فى ظل الشرعية الدستورية الصحيحة أو الشرعية الثورية أو بأسلوب الإستفتاء الشعبى الذى يعرفون نتائجه منذ البداية فكل ماكان يعنيه هو أن يظل رئيسا ولعل **عبد الناصر** كان يدرك تماما رد الفعل لإقتراحه السابق الذكر، لأن النفوس المريضة هى الأقدر على إستشفاف مافى نفوس الآخرين من خور وضعف وشهوة للسلطة . ولأنهم جميعا بما فيهم السابق ثم اللاحقين كانت لاتحركهم إلا شهوة الحكم والإستبداد بالسلطة.

كيف قامت الثورة

فى حديث متفق عليه يقول نبينا الكريم " **إن اللة لايقبض العلم إنتزاعاً ينتزعه من العباد ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم إتخذ الناس رؤساءاً جهالا سألوهم فأفتوا فضلوا وأضلوا**" .

وما نظن إن مثل هذا الحديث الشريف فى حاجة إلى بيان فهو يرتب الأحداث ترتيبا منطقيا حتى تصل إلى نتائجها ، اذا ما وسد الحكم لغير أهله .

نعود بذاكرتنا إلى فترة ما قبل الثورة فى مصر ، لنجد إن الأحوال الداخلية والخارجية أيضا كانت تنذر بالخطر المحدق ، فمن ملك يلهو وينفضّ من حوله مستشاروه من أهل العلم والفضل والعارفين بأصول السياسة والحكم لتحيط به شرذمة من الأراذل والخدم والإنتهازيين . وفى فترة محدودة يبدد الملك ثروة هائلة من الإجماع الشعبى والحب الذى كاد أن يصل إلى حد الهوس . ونعود بالذاكرة حينما أصيب الملك فى حادث سيارة بالقصاصين ، وكيف استمع الشعب لخبر الحادث ببالغ الألم واللهفة على سلامته ، وكيف إستقبله الشعب عند شفائه وكأنه المسيح وقد بعث حيا من جديد . ولم تكن مصر قد عرفت بعد ترتيب المظاهرات واستخدام المأجورين .

ولقد بلغ العبث مداه بهيبة الملك والدستور ، كما أصبح من الأمور الشائعة ان يتدخل الملك فى عمل الوزارات ، وان يستمع لشرذمة جاهلة من

خدمه ، وأن يحيط نفسه بعصبة من القتلة تحت مسمى **الحرس الحديدى** من شواذ الضباط الذين لا يتقيدون بنظام أو قانون ما داموا فى تنظيم الملك وفى رعاية رأس الدولة . وأصبحت حماية الملك لهم هى الترخيص باختراق الشرعية والنظام ، وأصبحت يد الشرطة مغلولة أمام هؤلاء السفاحين الرسمين وكذلك فإن الأحزاب القائمه لم تستطع ان تسمو بأنظارها وبرامجها إلى مقتضيات ما بعد الحرب والمتغيرات العالمية وما يتبعها من شيخوخة الإستعمار القديم وتطلعات القوى العالمية الجديدة .

كما عملت الحرب العالمية الثانية وظهور دولة عظمى جديدة تبشر بالعدل والمساواة وبتقديس العمل ومناصرة الحركات التقدمية التى ترمى الى التخلص من الإستعمار وسيطرة رأس المال إلى رواج كثير من الأفكار المتطرفة بعد أن ضعف تأثير الأحزاب المحافظة والتى كانت تجتذب عناصر الشعب المختلفة فى الحقبة العشرينية وحتى منتصف الحقبة الأربعينية.

وكذلك فإن الحزب الوطنى العتيق الذى أنشأه **مصطفى باشا كامل** فى مطلع القرن العشرين ، والذى كان قد أدركته الشيخوخة والإضمحلال بعد موت زعيمه ومؤسسه حيث لم يحظ بعده بأية زعامات سياسيه ذات وزن فى مصر ، الا أنه كان ما يزال طافيا على سطح الحركه السياسية بغير فاعلية أو أثر ، وقد أدركه الجمود والتيبس فى ظل مبادئه التى عفا عليها الزمن وسبقتها الأحداث ، فمبدؤه الأساسى كان " لامفاوضة إلا بعد الجلاء بينما يشترك رئيس الحزب فى ذلك الوقت **حافظ باشا رمضان** فى وزارات متعاقبة تفاوض الإنجليز على الجلاء ووحدة وادى النيل وفى الوقت الذى

كانت بعض زعامات حزبه عازفة عن الإشتراك معه فى الحكم ملتزمين بمبدئهم الأساسى فهم فى واد وزعيمهم فى واد آخر . واحقاقا للحق فقد كان بين رجالات هذا الحزب بعض الشخصيات العظيمة والتى كانت ملتزمة بالحزب بغير فاعلية أو نشاط - وربما كانت الشهرة الواسعة التى حازها بعضهم ترجع إلى قيمتهم الشخصية وكفاءتهم العاليه مثل **فكرى أباظه وعبد الرحمن الرافعى** بغض النظر عن الوانهم الحزبية إلا أنه فى ذلك الحزب المهجور الذى عفا عليه الزمان كان يقبع بعض الشباب المتطرف والذى كان يبلغ بتطرفة حد الجرائم والقتل تحت زعامة مريضة غامضه هى زعامه عبد **العزيز على** على وجه الخصوص.والطراز الثالث من رجالات الحزب الوطنى كان لها فى ظنى أبلغ الأثر فى قيام ثورة ٢٣ يوليو.

ولعل مقال الدكتور **عبد العظيم رمضان** بتاريخ ١٨/٤/ ١٩٩٤ والذى نشر بجريدة الوفد تحت عنوان " **وجيه أباظه** " "وصفحة من تاريخ مصرٌ قد أدركه الصواب حينما أشار إلى أعضاء الحزب الوطنى المتطرفين، وقد جاء بالمقال : " **ولقد كان وجيه أباظه أحد قيادات هذه التحركات الأولى للضباط الصغار التى سبقت حركة ضباط ثورة يوليو ، أى أنه كان فى ذلك سابقا لعبد الناصر ، وكانت حركته سابقة لظهور حركة عبد الناصر التى عرف باسم حركة الضباط الأحرار".**

"كانت حركة **وجيه أباظه** موجهة أصلا ضد الإنجليز ، وتسعى للإستفادة من ظروف الحرب العالمية الثانية فى التخلص من الإنجليز عن

طريق التعاون مع الجيش الألمانى فى ليبيا ، والإتصال **بالمارشال روميل** لمساعدته فى الدخول إلى مصر وطرد القوات البريطانية منها " وقد كشف هذا الدور الهام قائد السرب **حسن عزت** الذى أصدر مذكراته فى عام سنة ١٩٥٣ ، بعد أن قدم لها عـدد كبير من المدنيين والعسكريـين منهـم **أنور السادات وعبد اللطيف بغدادى وخالد محى الدين وثروت عكاشه ومجدى حسنين** " إلى أن يقول د.. **رمضان** كذلك نجح التنظيم فى الإتصال بالجماعات السرية التى تقوم بنشاط عدائى ضد الإنجليز ، وذلك من خلال **وجيه أباظه** الذى تعرف على "**عبد العزيز على** " من أعضاء الحزب الوطنى المتطرفين ، واتصل بجماعته التى كانت تضم وجوها مدنية وعسكرية منها **رشاد مهنا** معلم المدفعية وغيره. وواقع الأمر أن إشارة الدكتور **رمضان** لهذا الموضوع بالغة الأهمية ولكنها جاءت معكوسة حيث ان **عبد العزيز على** هو الذى كـان يسعى إلى تجنيد الضبـاط ومنهـم **وجيه أباظة** وليس كما جاء بالمقال أن **وجيه أباظه** تعرف عليه .

وما أعلمه من بعض رجالات الحزب الوطنى الذين أشار إليهم الدكتور عبد **العظيم رمضان** ووسمهم بالتطرف . وهـم الذيـن يدينـون **لعبد العزيز على** بالزعامة . أنهم كانوا مكلفين من قبل زعيمهم باقناع أقاربهم من الضباط بالتعاون معهم أو الإنضمـام إليهـم . حيـث ان **عبد العزيز على** كان لا يرى إمكانية نجاح أيه ثورة فى مصر بغير الضباط وكان من بين شباب الحزب المستشار **محمد عبد الرحمن** وكذلك المستشار **يوسف كمال وعبد المعطى عطيه** المحامى **ومحمد عبد الرحمن شاهين وعصمت زين الدين ومحمود العيسوى** قاتل الشهيد **أحمد باشا ماهر** .

ولاشك أن المستشار **محمــــد عبد الرحمن أباظـــه** هـــو الذى اقنع **وجيه أباظه** زوج شقيقته بالإنضمام إلى جماعة **عبد العزيز على** . كما كان **وجيه أباظه** على أغلب الظنون وهو الأسبق فى الإنضمام لهذا الحزب هو الذى كان وراء إنضمام ما يعرف بنواة الطيران إلى الحزب الوطنى المتطرف ومنهم **عبد اللطيف بغدادى وأحمد سعودى أبو على** الذى قتل فى محاولة إتصاله بالجيش الألمانى على حدود مصر وكذلك **حسن عزت** ، **وحسن إبراهيم** ، **وخالد محى الدين** رغم أنه كان فى سلاح الفرسان كما كانت هذه المجموعة على علاقة **بانور السادات** . وقـد أشـار بـذلك **حسن عزت** فى كتابه إلا أنه قد عكس الحقيقة هو أيضـا بادعائه أن تنظيم مجموعة مصر الجديدة أو مايعرف بنواة الطيران هى التى سعت إلى **عبد العزيز على** كعنصر مساعد.

ونجد أن **أنور السادات** كانت له صلات متشعبه مع مختلف الجهات فهو على علاقة بنواة الطيران من تنظيم مصر الجديدة السابق الذكر ، وهو على علاقة بالإخوان المسلمين وهو على علاقة **بعزيز باشا المصرى** وقد يسر **الشيخ حسن البنا** هذه الصلة - وهو عضو بالحرس الحديدى ، كما تعرف على **عبد العزيز على** عن طريق **حسن عزت** وكذلك عن طريق آخر غير مجموعة الطيران.

ولعل الدهشة التى تعترى القارئ من هذه العلاقات المريبة بين الجناح المتطرف للحزب الوطنى بقيادة **عبد العزيز على** وأغلبية الضباط الذين ساهموا فى إنقلاب يوليو سنة ١٩٥٢ قد تخفت قليلا حينما نعود بذاكرتنا للتشكيلات الوزارية الأولى للثورة فقد كانت تضم العديد من اسماء الحزب الوطنى المتطرف من المدنيين مثل **عبد العزيز على**

وفتحى رضوان ، **والدكتور نور الدين طراف** وكذلك **سليمان حافظ** وآخرين بل إن الثورة قد عينت **عبد العزيز على** بعد فترة وجيزة من منصبه الوزارى حارسا على أموال أسرة **محمد على** ، ويبدو واضحا أن الجناح المتطرف من الحزب الوطنى قد شكل مجموعة عسكرية سابقة فعلا على حركة الضباط الأحرار كما جاء بكتاب صفحات مجهولة **لأنور السادات** . وهو ماجاء أيضا فى كتاب الثائر الصامت **لعبد العزيز على**.

وكذلك مذكرات **حسن عزت** . إلا أن كتاب صفحات مجهولة **للرئيس أنور السادات** قد سحب من التداول بعد وصوله إلى الحكم مثله مثل مؤلفاته الأخرى " **ثلاثين شهراً فى السجن**" "**ثم ثورة على النيل**" أو قصة الثورة كاملة ثم كتاب " **ياولدى هذا عمك جمال**" .

ولعل كتاب نضال شعب مصر للمستشار **محمد عبد الرحمن حسين** يلقى بعض الضوء على الصلة مابين الجناح المتطرف من الحزب الوطنى وبين التنظيم العسكرى ونواة الطيران الذى كان اللبنة الأولى لثورة ٢٣ يوليو . وقد كانوا يجتمعون فى نادى المغاربة الذى يقع بميدان الأوبرا بالعماره التى بها مقهى نوبار وقد واصل **عبد العزيز على** نشاطه حتى نجح فى تجنيد بعض الضباط من الرتب الأعلى بتعرفه على **رشاد مهنا ومحمد الخشاب** ودرجة الخطورة هنا تكمن فى أنه قد نجح كذلك فى اختراق الضباط المرتبطين بالقصر الملكى فنجد أن الضابط الذى قام بتزكيه **رشاد مهنا هو عبد الحميد المهدى نجل عثمان باشا المهدى** رجل السراى ، كما ضم التنظيم العسكرى أيضا **محمد صادق** وهو ضابط بالحرس الملكى . وقد قام رشاد **مهنا** ببعض المهام السرية ونقل السلاح **لحساب عبد العزيز على**.

وجدير بالذكر أن **حسن عزت** فى كتابه العمالقة والأقزام السبعة وثامنهم **هيكل** قد أورد روايته عن جناح **عبد العزيز على** أو عصابته كما يصفها فى كتابه وكذلك ذكرياته عن نادى المغاربة حيث يقول صـ٣٤ " وذات يوم حضر **وجيه أباظه** وقال لنا أنه تعرف برجل يرأس عصابة من المدنيين وهو من اعضاء الحزب الوطنى المتطرفين ، وذهبنا وتعرفنا بالرجل وكان يسكن فى شقة بميدان الأوبرا ، وكانت تحمل يافطة باسم **"بيت المغاربه"**

" ووضعنا الرجل تحت مراقبة دقيقة دون أن يشعر فوقعنا على معلومات خطيرة فالرجل يتخذ هذه الشقة تحت إسم بيت المغربة كناد يؤمه ابناء المغرب ومكتبة للإطلاع ومحل للإجتماع حيث كان يجتمع بأفراد العصابة لتلقى التعليمات وطبع واخراج المنشورات الثورية التى تشعل حماس الناس وتوضح لهم حقيقة الحال وذات يوم ونحن نقوم بالمراقبة رأيت أزهريا شابا طويل القامة مليح الوجه يلبس جبة وقفطانا وعمامة ويضع على عينيه نظارة يخرج من ذلك الوكر ويخفى شيئا فى ملابسه فقلت لنفسى سأوهمه إننى من رجال البوليس السياسى وأقبض عليه وأفتشه لآخذ مامعه وبعد ذلك أترك له فرصة ليهرب منى وبذلك أحصل على مايخفيه.. وتتبعته من بعيد ، ولكنه لم يعطنى الفرصة فقد لاحظت أنه أخذ يتلفت يمينا وشمالاً ثم يخرج من جيبه بعض الأوراق ويلقيها بحرص على الأرض وينصرف ليلقى غيرها ، فذهبت بخفة والتقطت إحداها فوجدتها منشورات ثورية تستثير وطنية الناس وتعيب أعمال الإنجليز وتنتقد ساستنا لإنقيادهم لبريطانيا.

وكان هذا الأزهرى هو **أحمد حسن الباقورى** المدرس بالأزهر فى ذلك الوقت وذهبت للأحرار وقلت لهم كل شئ ، وحمل غيرى نفس التقرير وارتحنا لهذه العصابة وهذه الوجوه الجديدة وقررنا الإندماج معها".

(انتهى النص)

والإختلاف بين هذه الرواية ومانعتقده من خلال المراجع الأخرى أن عصابة **عبد العزيز على** هى التى إجتذبتهم وجندتهم منذ البداية ، وقد يكون موضوع رقابة النادى التى ذكرها **حسن عزت** صحيحة إلا أنها كانت لاحقة لأندماجهم فى عصابة **عبد العزيز على** .

كما لجأت هذه العصابة إلى نواة الطيران فى تنفيذ بعض المهام ومنها محاولة تهريب **عزيز باشا المصرى** إلى العراق للإتصال بثورة رشيد الكيلانى والمساهمة فى انجاحها إلا أن الطائرة التى أقلته قد سقطت بقليوب سنة ١٩٤١.

والغريب فى الأمر أن **عزيز باشا المصرى** كان متصلا بخلايا الحزب الوطنى من المدنيين المتطرفين بقيادة **عبد العزيز على** وكذلك بالجناح العسكرى للحزب بل إنه كان على صلة بأغلب عناصر الثورة فى مصر قبل اندلاعها ، وكانوا يعتبرونه المثل الأعلى لهم بما يمثله من قمة الوطنية والفداء فى مصر.

وبدون أدنى شك فإن جناح **عبد العزيز على** والذى أطلق عليه **حسن عزت** لفظ العصابة ، كان يعمل بمنأى عن الزعامة الرسمية للحزب

والتى كان يمثلها **حافظ باشا** رمضان كما كان يعمل كذلك بمنأى عن الزعامات الأخرى بالحزب الوطنى والتى تتسم بصادق الوطنية والتعقل ، ومن أهم رموزها **عبد الرحمن الرافعى وفكرى أباظه.**

أى أننا بصدد ثلاثة أجنحة للحـزب الوطنى ، أولهـا برئاسـة **حافظ باشا رمضان** وقد قبل الإشتراك فى وزارات إئتلافية قامت باجراء المفاوضات مع الإنجليز على خلاف مع مبدأ الحزب القاضى بأنه لامفاوضة إلا بعد الجلاء - وقد رفض بعض أعضاء الحزب القدامى الإشتراك فى أية وزارات تمسكا بمبادئ الحزب وعلى خلاف مع رئاستهم ، وهم جناح الوسط الذين لايربطهم بالحزب الوطنى الا شبح مؤسسه الأول **مصطفى كامل.**

أمـــا الجناح الثالث فهـم بعض المتطرفين من أمثـــال عصابـــة **عبد العزيز على** وهم أخطر الأجنحة السرية للحزب. والذين يعملون فى الخفاء وبمعزل عن رئاستهم وكذلك بعيدا عن أعضاء الحزب من العقلاء كما كان هذا الجناح الثالث مسرحا لبعض المتطرفين الآخرين مـــن أمثـــال **فتحى رضوان** الذى إستقال من حزب مصر الفتاه لينضم إلى الحزب الوطنى وان كان قد شغل مبنى آخر بعيدا عن الحزب كمسرح لنشاطه.

وقد ذكر لى الأستاذ **محمد عبد الرحمن حسين** وهو من الجناح المتطرف للحزب الوطنى أنه توجه هو ومجموعة من شباب الحزب لمقابلة **حافظ باشا رمضان** للإعتراض على قبوله الإشتراك فى وزارة إئتلافية برئاسة **أحمد باشا ماهر** وهى من الوزارات التى كانت تتفاوض مع الإنجليز للمطالبة بالجلاء ووحدة وادى النيل.

وقد كان **حافظ باشا رمضان** معتكفا بحجرته لمرضه بالروماتيزم، ولما إحتدم النقاش بينه وبين مجموعة الشباب وقد كان يدافع عن حقيقة موقفه بأن الحزب الوطنى ظل لفترة طويلة بعيداً عن مسرح الأحداث بعد وفاة زعيمة **خالد الذكر مصطفى كامل** ، وإنه من الأفضل إن يشارك الحزب الوطنى من جديد فى سياسة بلده حتى لايفقد الصلة بالشعب ويظل بمنأى عن التيارات السياسية الجارية. ثم اعتذر لهم عن الإستمرار فى المناقشة وطلب إنهاء الزيارة بحجة آلام اللومباجو التى تحول بينه وبين المزيد من الجدل. وعندئذ تصدى له **محمود العيسوى** مردداً أنه كان يتعين على **الباشا** الإعتذار عن الإشتراك فى الوزارة بدعوى اللومباجو بدلا من إنهاء الزيارة بسببها.

والذى يدعو للدهشة إن بعض أعضاء الحزب الوطنى المتشددين والذين أشتركوا فى وزارة **جمال عبد الناصر** ، قد قبلوا بالتفاوض مع الإنجليز بل أن **جمال عبد الناصر** لم يأبه لإعتراض **فتحى رضوان** على بعض بنود الإتفاقية مع الإنجليز وبالرجوع إلى كتاب **محمد نجيب "كلمتى للتاريخ"** نجد وصفه لهذا الإعتراض الهزيل حيث يقول أنه علم من **سليمان حافظ** " أن الوزراء الذين أعلنت موافقتهم على الإتفاقية بالإجماع لم تتح لهم فرصة ابداء الرأى، وإن **جمال عبد الناصر** كان يقرأ بنود الإتفاقية عندما لمح ظواهر المعارضه على **فتحى رضوان** فقال **"لعل الأخ فتحى معارض"** فرد عليه بأنه كذلك ولكنه ينتظر الفراغ من التلاوة التى استمر فيها **جمال** حتى انقطعت بدخول **إسماعيل الأزهرى** وبعض زملائه من وزراء السودان إلى قاعة الإجتماع ومادار بين الفريقين من مظاهر

الإبتهـــاج وتـبادل التهـانى بالإتفـاق، ثـم انصـرف **جمال عبد الناصر** معهم إلى مكتبه الخاص ، وعاد مرة أخرى لينهى الجلسة قبل إتمام تلاوة الإتفاق" [١] .

" وصدرت الصحف فى اليوم التالى بأن مجلس الوزراء قد وافق على الإتفاق باجماع الآراء ... وكانت نصيحة **سليمان حافظ لمحمد نجيب** هى أن يرفض التصديق فإن صدرت الإتفاقية فليس أمامه إلا أن يستقيل".

ويعلم الله إن الإتفاقية قد صدرت دون أن يصدق عليها **الرئيس محمد نجيب** ودون أن يبدى إعتراضه أو يستقيل وكذلك **سليمان حافظ** وكذلك **فتحى رضوان** ، وقد بقى الثلاثة فى مناصبهم حتى أطاح بهم جميعا **جمال عبد الناصر** .

وهنا وقبل أن انتقل بالحديث بعيداً عن الحزب الوطنى القديم فأننى أود أن أذكر القارئ ان هذا الحزب قد حظى برضاء الثورة وتكريمها إلى حين ، فقد اشترك عدد ليس باليسير من الحزب الوطنى فى أول الوزارات التى شكلتها الثورة فى الوقت الذى عانت الأحزاب الأخرى فى مصر أشد الإجراءات وأعنفها بحرمان وزراء الوفد والسعديين والأحرار الدستوريين من حقوقهم السياسية باستثناء **مكرم عبيد** ثمنـا لتهجمـه على **مصطفى النحاس** فى محكمة الثورة بل أن الثورة بعد أن خلعت قناع الديمقراطية وعصفت بكل مظاهر الحرية فى البلد حتى أنها أقدمت على حل نقابة المحامين وكذلك نقابة الصحفيين فقد عينت **عبد الرحمن الرافعى**

١- كتاب كلمتي للتاريخ - محمد نجيب.

نقيباً للمحامين **وفكرى أباظة** للصحفيين وقد قبلا هذان السيدان العظيمان مثل هذا التعيين وهما من هما فضلا ووطنيه.

وهكذا بلغت الأحوال حدها من الفوضى فى مصر قبل اندلاع الحرب العالمية واستمرت الى ما بعدها حتى قيام الثورة، وقد تجمدت الأحزاب اللبرالية القديمة ولم تستطع أن تلاحق التغيرات الدولية الجارية والوشيكة وقد شاهدت مصر نماذج مختلفة من الأحزاب المتطرفة والت ضلت طريقها ومثلها ومنهجها ، ولم يكن جناح الحزب الوطنى الا نموذجا واحدا من الهوس الذى نكبت به البلاد . وقد ساعد على هذه الإتجاهات عوامل كثيرة منها فساد القصر واستمراره فى العبث بالدستور مما اضطرت معه الأحزاب المحافظة فى مصر إلى الوقوف فى وجه **الملك** بقوة وصلابة، فنرى حزب الوفد جريا على سياسته القديمة فى مناوئة القصر يمضى فى سياسة محاولة تحجيم الملكية ووضعها فى إطارها الصحيح منذ رئاسة **سعد باشا زغلول** وحتى قيام الثورة باستثناء بعض الفترات التى شاهدت مهادنات مؤقتة ومرحلية كما نجد حزب الأحرار الدستوريين والسعديين فى الجانب الآخر وقد هالهما عبث **الملك** بالدستور وفساد الحاشية فنسمع بالعريضة الشهيرة للمعارضة سنة ١٩٥١ والتى اشترك فى تقديمها الحزب الوطنى برئاسة **حافظ باشا رمضان** وكذلك بعض المستقلين ، وكانت من القوة بحيث صدرت فى صورة إنذار ونبوءة بزوال الملك سرعان ما تحققت ومن جهة أخرى فلا شك أن الولايات المتحدة كانت تشخص ببصرها إلى مصر وتتحين الفرص لوراثة النفوذ فيها بعد إجلاء الإنجليز وقد عملت على تنشيط المعارضة وإخراج الثعابين من جحورها والإتصال بالجماعات

الدينية والحركات السرية للجيش متوسلين بتخاذل السلطات البريطانية وضعفها - وتحت ستار من صداقة مصطنعة مع الملك ذاته .وكذلك فقد اتسمت سنوات ما قبل الثورة بالفوضى والحرية الغير مقيدة للفكر والعمل السياسى . وبنظرة سريعة على مذكرات ضباط الإنقلاب .أنفسهم ، نجد الحركات السرية وهى تباشر نشاطها دون حرص أو تحرز ، وقد نعم هؤلاء الخارجين على القانون بحماية القانون وتوسلوا بالدستور وكأنه مطية لتحقيق مآربهم فى السلطة وأقامة الدكتاتورية العسكرية وهو الإتجاه الذى كانت تحبذه ولا تزال الولايات المتحدة الأمريكية وللقارئ - أن يرجع إلى مذكرات السادة الضباط الأحرار ليلمس كيف كانوا يعاملون فى المعتقلات أوميس الضباط ومنهم المتهم فى أخطر قضايا الإغتيالات أو الإتصال بجيوش المحور وهو فى رأينا ضرب من الخيانة الوطنية . فقد كان المتهمون يغادرون المعتقلات أوميس الضباط ثم يعودون إليه وكأن الميس أو المعتقل من الفنادق السياحية ، رغم إنهم كانوا من الرتب الصغيرة فى العهد الملكى البائد بينما نقرأ فى كتاب **محمد نجيب** كيف عاملتة الثورة وتم الإعتداء عليه من قبل الضباط الصغار أو الجنود بالأيدى ، كما اقتدوه إلى مختلف المعتقلات من المرج بالقاهرة وحتى الصعيد بحيث لا يعرف هو أو أحد سواه مكانا له أو سكنا ، وكذلك فعلت الثورة مع أعدائها المدنيين والعسكريين كما شاهدت هذه الفترة من تاريخ مصر كثيراً .من الأحزاب الفاشية والماركسية وليس جناح الحزب الوطنى المتطرف وحده ، وقد مهدنا لدوره فى الصفحات السابقة وإن كان دوره أكبر وأخطر.

ومنها على سبيل المثال أيضاً جماعة مصر الفتاة التى غير رئيسها

أحمد حسين إسمها إلى حزب مصر الفتاة والذى أصبح طرفا فى النزاع بين رجلى القصر **على ماهر البنداري** كما أصبح طرفا فى النزاع بين الوفد والأحرار الدستوريين، كما كون جماعة إرهابية من القمصان الخضر يغلب عليها الطابع العسكرى ، ضمت فيمن ضمت **جمال عبد الناصر** فى صدر شبابه وله مع شباب مصر الفتاة كثير من الصور بزيهم العسكرى . ونجد أن الزعيم **أحمد حسين** يزور إيطاليا وألمانيا فى يوليو وأغسطس ١٩٣٨ ، مروراً بلندن حيث أعلن منها " **أننا سوف نثبت جدارتنا بيلادنا فى هذا الطريق الذى سلكه من قبل هتلر وموسولينى**".

وهكذا كانوا يفكرون ومن أمثال **أحمد حسين** الكثيرون ومنهم أيضا من كان أعظم خطراً وأبعد أثرا مثل **عزيز باشا المصرى** المتمرد دائما وأبدا ، ولعل تاريخ هذا الرجل يحفل بكل عجيب فهو فى صدر شبابه رجل **السلطان عبد الحميد** ثم هو المتآمر على **السلطان عبد الحميد** مع جمعيه تركيا الفتاة والتى سميت فيما بعد بجمعية الإتحاد التركى وقد كانت القاهرة مركزاً لها ، كما أنضم بعد ذلك للثوار السنوسيين ضد الحكم التركى ،رغم أنه كان على رأس قوة من الجيش أوفدتها تركيا إلى ليبيا لإخماد ثورتهم .

وكذلك فقد كان متعاطفا أشد التعاطف مع الحركة النازية إبان الحرب العالمية الثانية بل أن وثائق الحرب البريطانية قد أثبتت أن الألمان قد تلقوا فى هذه الفترة بعض التقارير التى كتبها الفريق **عزيز المصرى** عن أهمية الموقع الدفاعى عند العلمين ، وكذلك بعض المعلومات التفصيلية عن الدفاعات والمواقع البريطانية فى الصحراء الغربية.

بل أننا نخرج من كتاب البحث عن الذات **للرئيس أنور السادات** بمفتاح جديد عن شخصية **عزيز باشا المصرى** فعلى مايبدو أن هذا **الباشا** كان ضالعا أيضا مع الإخوان المسلمين لأنه بطبيعته متآمر بل إنه من لعقة الدماء ، فهو منفتح على كل الجحور والحركات السرية.

يذكر **أنور السادات** فى كتابه البحث عن الذات ، إنه كان مفتوناً بشخصية **عزيز المصرى** منذ لقائه فى منقباد ،وكان معروفا عنه أنه يكره الإنجليز حتى أن "**سير مايلز لامبسون**" السفير البريطانى طلب من **على باشا ماهر** رئيس الوزراء فى ذلك الوقت إقالته من منصبه بالجيش ولكن **على ماهر** إكتفى باعطائه إجازة مفتوحة.

وبذكر **الرئيس السادات** بصيغة الجمع إنهم كانوا بحاجة إلى الإفادة من خبرات هذا المحارب العظيم وإرشاداته ، فطلب من **الشيخ حسن البنا** ، أن يجمعه **بعزيز باشا المصرى** وكان ذلك فى سنة ١٩٤٠ وهى السنة التى تعرّف فيها بالشيخ.

" وإستجاب الشيخ كما جاء بالكتاب[١] على الفور وطلب من **السادات** أن يتوجه إلى عيادة الدكتور **إبراهيم حسن** بالسيدة زينب ، وكان فى ذلك الوقت وكيلا للإخوان ، وأن يحجز تذكرة كأى مريض عادى ، وفعلا قام **السادات** بتنفيذ التوجيهات ، وبمجرد أن دخل على **الدكتور حسن** وقدم له تذكرة الكشف ، فتح بـاب حجرة مكتبه وهنـاك كـان **عزيز باشا** فى انتظار **السادات** . إما أن **الباشا** كما سبق أن ذكرت من لعقة الدماء فإننا لجد فى كتاب [٢] **خالد محى الدين** وصفا له حيث يقول "أنه

١- البحث عن الذات .

٢- والآن اتكلم - خالد محى الدين .

رجل يعشق الوطنية ويتنفسها ويعيش من أجلها وكان حماسة دافقا وأفقة واسعا ولكنه كان متمرسا دون أى رغبة فى التزحزح عن فكرة الإغتيالات الفردية ، وقد كان ضابطا لفترة من الوقت فى الجيش التركى واطلع على تجربة الحركة الوطنية البلغارية وأثرت فيه تأثيرا حاسماً."

وبعد قيام الثورة فقد تم تعيين **عزيز باشا المصرى** وزيراً مفوضاً بموسكو فى أوائل سنة ١٩٥٤ فتحول بكل ولائه للنظام السوفيتى ، وهو الأمر الذى يتفق مع طبيعة هذا الرجل المضطرب نفسياً والمتقلب فى جميع مراحل حياته" فهو رجل **السلطان عبد الحميد** ثم هو عدو السلطان ثم هـو رجـل **الملك فؤاد** ثم عدو **ابنه الملك فاروق** ، وهو المتعاطف مع عصابة الحزب الوطنى القديم وكذلك الإخوان المسلمين وكذلك الحركات السرية فى الجيش المصرى ثم هو المعجب بالنظام النازى وأخيراً حينما كافأته الثورة بتعيينه وزيراً مفوضاً بموسكو فهو المعجب بالستالينية الماركسية ، وقد أمسك بمطرقتها وسندالها وإصطبغ بحمرة الشيوعية ، بعد أن عصفت الحرب بصليبه المعقوف . وقبل أن استكمل البحث عن **مصر** ما قبل الثورة بأحزابها ورجالها فقد رأيت أن أعرض لتجربتى الشخصية مع **عزيز باشا المصرى** حتى يقف القارئ على جانب من جوانب شخصيته البالغة الإهتزاز، وهو الزعيم الذى يدعى الوطنية والذى إتخذته الثورة مثلاً أعلى لها بعد **عرابى** كما إتخذه الجناح السفاح من الحزب الوطنى المتطرف فليسوفاً وقائداً ففى عام ١٩٤٩ على ما أذكر كان **عزيز باشا المصرى** على موعد مع أبى المرحوم **دسوقى باشا أباظة** فى منزلنا ، ولظروف طارئة إضطر أبى معها أن يتأخر عن موعده ، فإتصل بى تليفونياً وطلب منى أن أنتظره وأن

أبسط اليه عذره فى التأخير، وأن أخبره أنه سيحاول جهده الرجوع إلى المنزل فى أقرب وقت . وفى تمام الموعد حضر **عزيز باشا المصرى** وبسطت إليه عذر والدى الطارئ الذى حال دون تواجده فى إنتظاره .

- وطال بيننا الحديث فى انتظار عودة والدى ، فإذا به يبتدرنى بحملة هجوم على **الملك فاروق** وعن فساده وعن فترة شبابه حينما كان بإنجلترا لتلقى العلم ، وكيف كان رائده **أحمد باشا حسنين** ييسر له الهرب من الكلية ليلاً للسهر فى علب الليل عن تدبير مبيت بقصد السيطرة عليه، ثم خرج بحكمته الشخصية والتى مازلت أذكرها حيث قال أن مصر لا يصلح لها إلا الكرباج التركى ، ومسايرة منى فى حديثه وهو الشخصية الشهيرة ، فقد أجبته إنه إذا ما كان الأمر كذلك **فالملك فاروق** من أصل تركى ، إلا إنه راجعنى ليقول تركى من أصل واطئ وإبن دخاخنى ... ثم استطرد حينما "**أتكلم عن الكرباج التركى فإننى أقصد العائلات مثلنا ، مثلكم**" . ثم سألنى عن مدى إلمامى باللغة الإنجليزية وقد كنت طالباً بكلية التجارة فأجبته بأن المقرر ينحصر فى منهج تجارى Commercial Course وكذلك قصة كرايتون العجيب Admirable Chriton فوعدنى أنه سيتولانى برعايته الشخصية فى تعلم اللغة الإنجليزية لأنه من عرف لغة قوم أمن شرهم وحينما عاد والدى من الخارج، وكنت مازلت فى صحبة **عزيز باشا المصرى** إستأذنت وتركتهما ، وما أن إنتهت الزيارة حتى إستدعانى والدى وهو بادى الإنزعاج وطلب منى أن أتجنب لقاء هذا الرجل المجنون تماماً . **حديث عزيز باشا المصرى** مازال محفوراً فى ذاكرتى ، وكيف لا وهو الثائر الوطنى ذائع الصيت الا أنه مع ذلك كان لايرى من وسيلة أخرى لإصلاح بلده إلا الكرباج التركى.

إن الشخصيات المغامرة والتى طفت على سطح السياسة المصرية عقب نهاية الحرب العالمية الثانيه كثيرة وبالغة الخطورة وبإنتهاء الحرب وتغيير موازين القوى ظهرت الأيدولوجيات الجديدة، فقد كانت الولايات المتحدة تدعو إلى النظام الجديد وإلى الحرية وإحترام الفرد وتحرير الفكر وإطلاق ملكات الإبتكار ونهاية الإستعمار ، ومن ناحية أخرى فقد ظهرت التيارات الشيوعية بأجنحتها المختلفة وهى تبشر بمناهج إجتماعية وإقتصادية وسياسية جديدة وتدعو إلى تكريم العمل وتحريم فائض القيمة وملكية الدولة لأدوات الإنتاج لتحرير البشر من سيطرة رأس المال ومن جهة أخرى فقد فزع كثير من المصريين إلى الدين الحنيف كبديل كريم للأفكار المستوردة إلا أنهم وقعوا فريسة للجماعات المتطرفة التى إتخذت من التوسل بالدين سبيلاً إلى سيطرة العقائد المحرفة فى ظل تنظيمات فاشية ولم تكن دعايات الدولتين الأعظم اللتين أسفرت عنهما الحرب وهما الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى إلا مصائد للشباب الثائر والمتآمرين والسذج فالحرية والديمقراطية التى تصدرها الولايات المتحدة للعالم الثالث كانت شيئا آخر ومنهجا مختلفاً عن الديمقراطية التى تنعم بها الولايات المتحدة فى داخلها وكذلك الديموقراطيات السائدة فى الدول الغربية . حيث أن الحرية المصدرة كانت ضرباً آخر مختلفاً فى جوهرة عن تلك المعانى السامية للحرية التى ركبها الله فى عباده إنطلاقاً نحو الكمال والجمال، فالحرية لابد وأن تنبع من داخل الإنسان نفسه ومن ثم الدولة التى يعيش عليها لأن الحرية ليست بضاعة قابلة للإستيراد أو التصدير.

ولعل أبلغ وأقرب مثال للديموقراطية التى يراها الساسة الأمريكان أكثر مناسبة للعالم الثالث هو ما ورد فى كتاب **نيكسون "نصر بلا حرب"** عن ديموقراطية الهند حيث يعترف أنه مهما كانت خلافات الولايات المتحدة مع نهرو وخلفائه فإن حكم مثل هذه البلد بالديموقراطية هو من أبرز الإنجازات السياسية فى القرن العشرين ثم يستطرد **نيكسون** ليقول أن ذلك يذكره بالتعليق الشهير **للدكتور جونسون** عن امرأة كانت تلقى الموعظة الآتية " **إنها مثل الكلب يمشى على رجليه الخلفيتين ، أنه لا يمشى مشياً حسناً لكنك ستندهش من أنه يمشى أصلاً** " (١)

كما كان **نيكسون** معجباً بحكم ضياء الحق فى باكستان يصفه بإنه زعيم عسكرى مستنير وفر الإستقرار السياسى الضرورى للنمو الإقتصادى كما أنه ينفذ عملية تدريجية لإشاعة الديموقراطية. (٢) ومثل هذه الديموقراطية قد عرفناها أخيراً فى مصر تحت مسمى ديموقراطية الجرعات.

إن الديموقراطية التى يراها الأمريكيون مناسبة لدول العالم الثالث شبيهة فى إعوجاجها بالكلب الذى يمشى على رجليه الخلفيتين.

إن هذه التيارات التى سبق الإشارة إليها قد إشتركت فى صناعة ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر فمنهم الشيوعيون ولم يكن التيار الشيوعى فى مصر بعيدا عن الحركة الصهيونية ، كما كان منهم أيضاً رجال الحرس الحديدى وهى منظمة **الملك** التى اشتركت فى كثير من الإغتيالات السرية

---

١ ، ٢- نصر بلا حرب - نيكسون - تعريب عبد الحليم أبو غزالة.

المعروفة والإغتيالات التى نسبت إلى آخرين عن جهل بمجرى الحوادث وكذلك فمنهم تلاميذ رئيس عصابة الجناح المتشدد من الحزب الوطنى وهو **عبد العزيز على** ومنهم من كان له أبلغ الصلات بالمخابرات المركزية الأمريكية ، ومنهم الإخوان المسلمون ، ومنهم أيضاً من تاثر ببعض الشخصيات المشبوهة من أمثال **عزيز باشا المصرى** وغيره كثيرون.

إنها ثورة لاتنتسب إلى عائلة واحدة أو أب واحد ورحم الله الشاعر **أحمد مخيمر** حينما يقول:

لاتعزلــوه ربمـــا كـــان لــــه منكــــم أب

ان قيل شرقــــى لضجـــت عنـــد ذاك المغـــرب

ومما لاشك فيه أن الأكثرية من رجال ثورة يوليو كانت لهم صلات بالمحور والجيوش الغازية لمصر ، وقد كان إعجابهم بالنظام النازى غير منكور ، حتى إن **أنور السادات** كان معجباً بالعسكرية الألمانية ولم يخف فى كتابه تطلعه للإتصال بالالمان بل وعقد إتفاقية مع **روميل** كما كان شباب الحزب الوطنى المتطرف ومنهم **البغدادى وحسن إبراهيم وحسن عزت** وكذلك **الطيار أحمد سعودى ووجيه أباظة** وغيرهم يتطلعون إلى ألمانيا النازية كمخلص لمصر من الإحتلال البريطانى وكما سبق الذكر فإن كثيراً من المستندات التى عثروا عليها بعد الحرب قد أثبتت كثيراً من الصلات المريبة بين الضباط المصريين وجيوش المحور كما أن **أحمد سعودى** قد لاقى حتفه فى محاولته الطيران إلى خطوطهم ولاشك إن جناح الحزب الوطنى

التابع **لعبد العزيز على** هو الذى كان وراء إغتيال **أحمد باشا ماهر** رحمه الله ، ولقد كان **العيسوى** من تلاميذ الحزب وشبابه المتطرف ، وقد سبق أن أوردنا قصته مع **حافظ باشا رمضان** حينما عاتبه بخشونة على قبول الإشتراك فى وزارة إئتلافية وكان بصحبته مجموعة **عبد العزيز على** .

أحزاب مصر قبل الثورة

حينما عرضت للحديث عن مصر ما قبل الثورة فقد عمدت للأطالة بعض الشئ فى التعريف بالعناصر التى أطلقت نار الفتنة وساهمت فى إنقلاب ١٩٥٢ .

إلا إنه وحتى تكتمل الصورة فلا بد أيضاً أن أقدم للقارئ موجزاً عن الأحزاب الرئيسية التى كانت تتداول الحكم فى مصر والتى تمثل أهم الركائز السياسية . وعلى من يرغب فى التعرف على مصر قبل الثورة أن يطلع على وثائق ومستندات الحرب العالمية الثانية وموقف الأحزاب منها ، لأن هذه الدراسة الموثقة تعكس ولاشك إختلاف التفكير والأهداف والمناهج والأساليب وبعد النظر السياسى، ولقد كانت مصر رغم عجز مواردها بالغة الثراء برجالها . وعلى من يؤرخون للأحداث فى الحقب الثلاث أو الأربع السابقة على ١٩٥٢ إن يتعرفوا على طبائع الأمور التى كانت تجرى فى ذلك العصر وإن يتعايشوا معها وإن يتدارسوا تطور المعانى والمثل التى تؤدى إليها الجمل والألفاظ الضخمة . فثورة مصر ١٩١٩ ومحاربة الإستعمار فى عنفوانه كانت من الثورات الرائدة فى العالم ، لأنها ثورة غير مسبوقة كان العقل فيها غالباً والتدبير محكما والأهداف راسخة فى نفوس القائمين عليها وكانت القوى غير متكافئة فهو شعب أعزل يغلب عليه التخلف ويسيطر عليه القهر والجمود . وتختلط عليه الأمور وتتجاذب طوائفه الفتن ، فهو شعب مسلم فى أغلبه ، وأقليتة مسيحية يحاول المستعمر أن يطويها فى جنباته كركيزة له لبث الفرقة والإنقسام بين

شعب مصر، وكان بعض رؤساء الوزارات المصرية الذين كانوا يصانعون الإنجليز فى مكاتبهم هم صناع الثورة فى منازلهم ومكامنهم وهم من أطلقوا الشرارة الأولى فيها .

إن الإنجليز حينما أنكروا **على سعد** زعامته وتصديه للتفاوض باسم الشعب ، فقد جمع رئيس الوزراء **حسين باشا رشدى** التوقيعات الشعبية والتى أطلق عليها التوكيلات بالأساليب الادارية والعمد والمشايخ ورجالات الإدارة وحينما لمس تعنت الإنجليز فى المفاوضات مع **سعد** ، فقد استقال من منصبه إحتجاجاً على مراوغتهم وتسلطهم كما عمد **سعد** على إخماد نار الفتنة بين أبناء الشعب الواحد حتى إندلعت ثورة ١٩١٩ وهى قبطية مسلمة أو مسلمة قبطية . إنها ثورة العقل وليست إنقلاب الجهل والخيانة والتآمر إن على من يتصدى للتاريخ أن يعايش الأحداث ولا يتخذ القياس سبيلا يلتمسه من عصره الذى يعيشه ، فإن أحزاب مصر ما قبل الثورة كانت تناوئ إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس ، ولا يحجب صدور أبنائها عن مدافعهم وقاءُ بل هو اللحم الحى ، والضمير المرهف ، والفداء لله والوطن .

وفى ظل ما نقدمه من مفاهيم انتقل للحديث عن الأحزاب فى مصر قبل الثورة وخاصة الحزب السعدى برئاسة شهيد مصر العظيم أحمد ماهر شهيد الفكرة والشجاعة وقد صرع المضللون والمضللين فى شخصه فكراً ومثلاً رفيعاً للتضحية والفداء .

الوفـــــد

تنتمى الأحزاب الثلاثة الرئيسية فى مصر ما قبل الثورة إلى أصول واحــدة فالمؤسسون للأحزاب الثلاثة ينتمـون إلى حـزب واحـد فـى البدايـة وهــو حزب الوفد بل إن إقتراح تكوين هذا الحزب كان نابعاً من **محمد باشا محمود** نفسه . ويكاد أن يكون حزب الوفد والأحزاب التى أنشقت عنه، الأحرار الدستوريون أولا ١٩٢٤ ثم السعديون ١٩٣٧ من مدرسة واحدة سابقة هى حزب الأمة الذى تكون ١٩٠٧ من كبار الملاك الزراعيين وكان على رأسهم **محمود باشا سليمـان وحسن عبـد الرازق وعلى باشا شعراوى وحمد الباسل وسعد باشا زغلول وأحمد فتحى زغلول باشا وعبد العزيز بك فهمى وأحمد لطفى السيد بك** فى ذلك الوقت ، وذلك للمطالبة بالحكم الذاتى فى البداية إذ لم تكن آمالهم قد تطلعت بعد إلى الإستقلال الكامل وجلاء الإنجليز عن مصر. وكانت الصحيفة المعبرة عن آرائهم هى" **الجريدة**" التى كان يرأس تحريرها **لطفى السيد** وقد إنطوى رجالات هذا الحزب فى الوفد عند تكوينه **برئاسة سعد باشا زغلول** ثم سرعان ما إنفض ائتلافهم ليتكون حزب الأحرار الدستوريين كما إنشق كذلك فيما بعد حزب السعديين . فهى مدارس من ذات المدارس واحزاب من ذات الأحزاب،لاتكاد أرآؤهم وأهدافهم وبرامجهم أن تختلف كثيراً بالنسبة للغايات الوطنية وكذلك للتطلعات اللبراليه وإن كان حزب الأحرار يقف فى أقصى اليمين بالنسبة للوفد ، كما تختلف الإستراتيجيات المؤديه

إلى الأهداف كذلك فقد كان **الزعيم العظيم سعد باشا زغلول** من الناحيه التاريخيه يتسم بالصلابه والخشونه تجاه القصر كما كان أكثر تطرفاً، وقد ورث عنه **النحاس باشا** بعض هذه النزعات ، ولعل مثل هذه التوجهات كانت من الأسباب الرئيسيه فى تعكير صفو الحياة السياسية فى مصر ، حيث استهوت معارضة الوفد للقصر كثيراً من طبقات الشعب التى وجدت فى تصديهم لحماية حقوق الشعب شجاعة وتضحية من جانب هذا الحزب العتيد . وكان رد فعل **الملك فؤاد** ثم **فاروق** من بعده هو بغضهم لحزب الوفد والتصدى لماكان يريانه طغيانا من حزب الأغلبية ومبالغة فى استعمال الحق، ولذلك فقد نحى **النحاس** عن رئاسة الوزارة خمس مرات منها مرتين فى **عهد الملك فؤاد** ، رغم مافى ذلك من تجاوز على الدستور واستهانة برغبات الشعب.

وقد كان الإنجليز يرقبون الأفعال وردود الأفعال على الساحة المصرية دون محاولة منهم فى أغلب الأحوال للتدخل ، مالم تكن المصالح البريطانية معرضة بشكل مباشرً أو غير مباشر للخطر ، إلا أنهم كانوا يدركون ولاشك خطورة ممارسة مثل هذه السياسات الداخلية ، وأثرها البعيد على مستقبل الديمقراطية والإستقرار فى مصر، واضرارها بمصالح التاج المصرى فى نهاية المطاف.

فنجد **"سير مايلز لامبسون"** كما هو ثابت من واقع المستندات البريطانية وهو يعلق على أسلوب إقالة حكومة الوفد ١٩٣٧ بعنف بالغ فيكتب إلى حكومته بتفاصيل الإقالة ، وكذلك أسبابها ثم يختتم برقيته بحكمة بليغة حيث يقول :

" إن الذين يرغب الله فى تدميرهم يصيبهم أولا بالجنون"(١)

١- محسن محمد - ص ٤٢ .

ومن جانب آخر ومن واقع البرقية رقم ٣٤٣ الموجهة إلى مستر **إيدن** فى ٦ مارس ١٩٣٧ يشير فيها إلى أسباب الإقالة ، ويدعى إن النتائج التى توصل إليها كانت حصيلة تحقيق طويل ، ويدعى فى البرقية انحدار الكفاءة الإدارية فى حكومة النحاس حيث أنه يكرس جل اهتمامه لإرضاء مطامع أتباعه الذين عمد إلى تعيينهم فى العديد من المناصب الرئيسية مما أدى إلى اضطراب العمل فى الوزارات ، وانخفاض مستوى الأداء ، وتركيز السلطات الفنية فى إيديهم مع افتقادهم إلى المقدرة الإدارية والخبرة ولذلك فقد لاحظ السفير الهبوط الواضح فى شعبية حكومة الوفد.

وقد رأيت أن أنقل بعض الفقرات من برقية السفير سابقة الذكر حيث إنها نموذج يمثل الدائرة المفرغة التى تدور فيها سياسة وعلاقة الملك بالوفد ، وهى تحين الفرص الأولى المواتية للإيقاع بخصومه الوفديين بدافع الكراهية الشديدة المتبادلة بينهما ، فما أن تسفر الإنتخابات الشعبية عن فوز الوفد وما يستتبع ذلك من تشكيل حكومة وفدية ، فإن **الملك** يرقب الفرصة الأولى المواتية لأقالتها والتخلص منها بنزق وبغير تعقل فى بعض الأحيان مما يكسب الوفد مزيداً من الشعبية التى ربما يكون قد فقدها أثناء مباشرته للحكم.

ولقد جهدت الثورة ماجهدت بأساليب دعايتها القوية والمنظمة والمتعددة التى تحتكرها الحكومة ان تنتزع شعبية الوفد من قلوب عامة الشعب ، إلا أن **سعدا** مازال يحيا حتى يومنا هذا فى وجدان الأمة وضميرها حتى أن الصحف مازالت تردد إسمه رغم بعد العهد بوفاته سنة

١٩٢٧ وأن خالفه من خالف أو جحده من يجحد ، ومازال حزبه يحظى ببركاته وميراثه حتى اليوم . ولايفوتنا أن ننوه بالزعامة الوطنية العظيمة التى تلقت الراية عن مؤسسها الأول بصلابتها وشموخها وتصديها للطغيان والتسلط فى شخص رجل مصر العظيم **فؤاد سراج الدين** .

وحتى تكتمل الصورة التى حاولت أن أعرض فيها لتاريخ الأحزاب الثلاثة ماقبل الثورة فهى لاتكتمل حتى نشير فيها إلى عوامل الضعف التى كانت تعتريها ، وقد شاء حظ مصر العاثر أن تصطدم هذه الأحزاب ببعضها البعض رغم انتمائها لفكر واحد فهى بين جنوح القصر من جانب والاعيب الإستعمار من جانب آخر . كما عانت الأحزاب القائمة فى الساحة مع حزب الوفد من تسلط السراى فى كثير من الأحيان ، رغم ثراء حزب الأحرار الدستوريين برجالاته ومايتميزون به من تاريخ مجيد فى عالم الفقه والسياسة حتى أن **سعدا** العظيم وقد كان لايدع فرصة إلا وهو يصاولهم ويندد بهم فى العلن لم يفته أن ينوه بهم لدى خلصائه فنعثر له على رساله سريه وجهها إلى **عبد الرحمن فهمى** من منفاه حينما استجاب زعماء مصر جميعاً لمقاطعة **لجنة ملنر** إلا حزب الأحرار الدستوريين ومع ذلك ، يعرب **سعد** عن موافقته ورضائه على هذه الإتصالات التى تمت فى القاهرة بين **ملنر** والوزراء الثلاثة (**رشدى ، عدلى ، ثروت**) ، قال فيها " لاشك عندنا فى أن الوزراء الثلاثة قد سلكوا سبيل الحكمة والسداد فى المحادثات التى جرت بينهم وبين **ملنر** . فقد إطلعنا عليها ووجدناها ملآنة سداداً وغيرة على مصلحة البلاد . وإن الحقد عليهم لم يكن إلا من عمل

المنافسين لهم من العاطلين الذين ليس لهم مثل كفاءتهم . ولافيهم مثل شعورهم " **جريدة الوفد**" (١٩٩٤/٦/٢). (من مذكرات د/ **حسين مؤنس** - عن رسائل **عبد الرحمن فهمى** السرية). إلا أن أهم أسباب تراجع شعبية هذه الأحزاب إنها قد غفلت عن تطوير برامجها وفقا لمقتضيات العصر وفى ضوء المتغيرات الدولية بعد الحرب ، فهم يطالبون بالإستقلال ولاترتفع أنظارهم إلى مابعد الإستقلال ، ورغم الملكات الفردية الهائلة التى يتمتع بها كثيرون من رجالات الأحزاب الثلاثة ، فمنهم الفلاسفة المخضرمون فى عالم الفقة والسياسة وعلوم الإدارة والمال والإقتصاد والتاريخ والأدب ، إلا إن مشاكل عصرهم الذى يعايشونه حجبت عنهم إرهاصات عهد جديد بعد أن أسفرت الحرب العالمية الثانية عند إنتهائها عن قوى جديدة لم يكن لها شأن كبير فى العلاقات الدولية من قبل حيث كانت الولايات المتحدة منغلقة على نفسها كما كان الأتحاد السوفيتى محاصراً من قبل الدول الإستعمارية الأوربية.

ولقد تجمدت برامج الأحزاب اللبرالية فى مصر حتى أنها اغفلت ماخلفتة الحرب من رؤى جديدة وتطلعات جديدة وأفكار جديدة عن العدالة الإجتماعية وتطور القضايا المالية والإقتصادية وسياسة التعليم والعلوم الإجتماعية .وخصوصاً بعد أن أتضح لهم بكل جلاء ضعف الإمبراطورية البريطانية ممايؤذن بنهاية الإستعمار ، كما اعمتهم المعارك الداخلية عن المؤمرات والتحركات الخارجية للإستعمار الجديد سواء من جانب الولايات المتحدة أو الخطر الشيوعى كما فاتهم أيضا الخطر الصهيونى الوشيك وقد

غفلوا عنه باستثناء بعض الزعماء الموهوبين وأخص بالذكر **أحمد باشا ماهر** وقد كان الرجل مدركا لهذه الكارثة قبل بداية الحرب العالمية الثانية . وكانت له من التطلعات ماكان كفيلا بتداركها لو أنه قد لاقى المساندة الواجبة.

وربما كان الشرق الأوسط قبل بداية الخمسينات وقبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر بعيدا عن تطلعات الإتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت حيث كان ستالين يدرك تماما خطورة هذه المغامرة كما يدرك أيضا مدى حرص الولايات المتحدة على مناطق البترول فى الشرق الأوسط وخصوصا فى دول الخليج وكذلك ماتتمتع به مصر من أهمية خاصة لديها. كما كان **ستالين** يدرك أيضا صعوبة التعامل مع القيادات العربية المتحفظة وماتتسم به من تقلبات فى سياستها وتعاملاتها. ولم يكن بغافل عن مدى رسوخ اقدام الإستعمار القديم في المنطقة وكذلك حلفاتهم الألداء، الأمريكيين الذين يتحينون الفرص التى قد تواتيهم للحلول محلهم ووراثة نفوذهم . بينما كان الإتحاد السوفيتى بعيداً عن المنطقة وليست له صلات ىستند إليها ، ولعل روسيا قد ظلت على ترددها حتى وفاة **ستالين وولاية خورشوف** الذى أغراه النزاع الخفى والصريح بين الإستعمار القديم من جهة ممثلا فى انجلترا وفرنسا وبين أمريكا التى تمثل الإستعمار الجديد ، كما كان من دواعى التغلب على تردده ماكان يتلقاه من تشجيع من قبل زعماء ثورة يوليو فى مصر لإقامة علاقات جديدة

تؤذن بولوجهم المنطقة بأسرها ومن الباب الأمامى وليس الخلفى كعهدهم فى الماضى.

ولعلنا حينما عرضنا لحزب الوفد فقد أصبح لزاما علينا أن نقدم صورة واضحة لاتكتمل الا بالحديث عن حزب الأحرار الدستوريين وكذلك السعديين وخصوصا وان ضباط الثورة كانوا على علاقة بجيوش المحور ، كما كانت لهم علاقات مريبة بالتنظيمات الشيوعية فى مصر والتى لم تكن بعيده عن التأثير الصهيونى ، كما كانوا على علاقة بالإخوان المسلمين ، ومثل هذه التنظيمات والجمعيات المريبة كانت الطرف الآخر الذى يتربص باحزاب مصر الليبرالية. كما كانت هذه الأحزاب بدورها ترى فى هذه الحركات خطراً داهما على مصير البلاد.

الأحرار الدستوريون

إن من يتصدون لتاريخ مصر المعاصر ، والحركة السياسيه فى مصر فى الحقبه العشرينية وحتى قيام الثورة وقد كانت من أكثر فترات مصر إزدهاراً من الناحية الفكرية والسياسة والفقهية والأدبية، يعمدون إلى بعض المراجع وماتفصح عنه الصحف والمجلات والمؤلفات السابقة ، وهو أمر حيوى لاننكر ضرورته وجدواه ، ولكنهم يقعون أسرى لأفكار الآخرين لأنهم لم يعايشوا العصر برجالاته وعاداته وظروفه المحيطة ، فحينما يتحيزون لجانب فأنهم يجسدون المعانى الرديئه التى كانت الصراعات الحزبية تستلزمها فى حينها أو إنهم يقعون أسرى لدعاية كتاب الثورة ومن يلف لفهم .

فنجد مداخل كثير من المؤرخين وهى تصف الأحزاب الثلاثه المحافظة فى مصر على أنها قطاعات مختلفة من المصريين ، ويصنفونهم فهؤلاء ، يمثلون الإقطاع الزراعى ، والآخرون يمثلون البرجوازية الصناعية ، أو الرأسماليه الوطنية أو غير الوطنية وما إلى ذلك .

كما نجد آخرين منهم يتخذون فكرة الأيدولوجيات مدخلا لمؤلفاتهم فيرجعون أسباب الأنشقاق الذى أدى إلى إنسلاخ أحزاب من احزاب إلى اختلاف الأيدولوجيات وهو مانراه خطأ فادحا ، فقد كانت أسرتنا على سبيل المثال تضم العديد من أعضاء الأحزاب المختلفة ، ومنهم من كان صديقا شخصيا **للزعيم العظيم سعد باشا** ، ومنهم من كان يرى فى **عدلى**

ضالتة المنشودة وهكذا ولم يكن اختلافهم مصطنعا أو من قبيل توزيع الأدوار والتماس المغانم والمنافع الشخصية ، فقد كانت الحزبية في ذلك الوقت مغرما لامغنما، وكانت التضحية هى سمة العصر واذكر مارواه لى **الزعيم العظيم إبراهيم باشا عبد الهادى** وقد عنف أحد اصدقائه المقربين سنة ١٩١٩ فحينما اندلعت الثورة واذا بشخص مهلهل الثياب حافى القدمين يصرخ هاتفاً " **فلتحيا التضحية** " وإذا بالصديق يضحك ساخراً"ويقول" **ماذا لدى هذا الصعلوك ليضحى به**" ويرد **إبراهيم باشا** بعنف "**حياته ياأخى" أهى بالشئ الهين**".

لم تكن بين الأحزاب الثلاثة الوفد والأحرار الدستوريين أو السعديين ايدولوجيات مختلفة ، أو انهم كانوا فى مجموعهم ينتمون إلى طبقات مختلفة من الشعب ، وإن اختلفت شيعهم، فالمثقفون على عمومهم كانوا أشد اعجاباً بالأحرار الدستوريين كما كان **سعد** بشخصيته الساحرة يجتذب جموع الفلاحين وانصاف المتعلمين على وجه العموم ، فقد كان **سعد** بارعاً فى الإستحواذ على عواطف الشعب لأنه كان زعيما سياسيا بمعنى الكلمة بينما كان **عدلى باشا** يتحرج من التلاعب بالعواطف فهو يخاطب العقول وكأنه محاضر وليس زعيما سياسيا.

أما من حيث المنبت ذاته فإن **سعدا** كان ينتمى إلى الطبقة المتوسطة وإن كان ينتسب إليه بحكم خؤلته **فتح الله باشا بركات** كما كان متزوجا من **كريمة رئيس وزراء مصر السابق مصطفى باشا فهمى** وهى من الطبقة الأرستقراطية فى مصر ، كما كانت واسعة الثراء.

فسعد باشا لم يكن أقل ثراءً من **عبد العزيز باشا فهمى** زعيم الأحرار الدستوريين فى فترة من فترات الحزب كما أن **النحاس باشا** هو أيضا لايقل ثراءً عن **الدكتور هيكل باشا** الذى كان لايملك إلا قلمه. ولعل انتخاب **هيكل باشا** زعيما للأحرار الدستوريين مايدحض فكرة تحيز الحزب للرأسمالية أو الإقطاع الزراعى. فإن الرجل كما سبق الذكر كان لايملك من دنياه شيئا كثيراً إلا الفكر الحر والوطنية الصادقة والترفع عن الصغار واذكر أن **الملك** حينما فاتحه فى أمر تكليف **إبراهيم باشا عبد الهادى** بتأليف الوزارة الإئتلافية بعد مقتل **النقراشى** وكأنه يعتذر بسبب الظروف التى ألمت بالحزب السعدى ، إن اجاب **هيكل باشا** " أننى يامولاى حينما أمسك بقلمى وأتأهب للكتابة، فهذا بالنسبة لى الدنيا ومافيها .

ولنرجع إلى ملفات الأحرار الدستوريين لكى نعمق ماسبق أن ذكرته من رأى وهو أن الأحزاب الثلاثة فى مصر لم تكن مختلفة من حيث الأيدولوجيات أو الإنتماء الطبقى أو أن لها نظرات مختلفة فى مضمون العدالة الإجتماعية ، هذا اذا ما تجنبنا الدعايات الحزبية التى قد يطلقها اعضاء حزب أو آخر فى الحملات الإنتخابية فحينما سئل **هيكل باشا** ١٩٤٣ عندما انتخب رئيسا لحزب الأحرار " اليس فى برنامج الحزب مايحتاج إلى تعديل أو تفصيل " **فأجاب** " بأن لجنة الحزب إجتمعت فى ٤ مارس ١٩٤١ برئاسة **عبد العزيز باشا فهمى** لأعاده النظر فى قانون الحزب ومبادئه ولم تر تغير شئ جوهرى فيه " والذى لم يفصح عنه **هيكل باشا** فى ذلك الوقت إن **عبد العزيز باشا** فهمى حينما عكف على دراسته لبرامج الأحزاب السياسية ، فقد كانت نتائج دراسته أنه لاتوجد أية اختلافات بينها جميعها إلا أن لكل منها اسما خاصاً.(١)

(١) الدكتور أحمد زكريا الشلق – حزب الأحرار الدستوريين .

وفى خطاب **للدكتور هيكل** القاه بمناسبة الذكرى الثانية لوفاة **محمد باشا** محمود قال " إن نظرية الحزب منذ اليوم الأول تقوم على إن لنشاط مصر فى سياستها الداخلية أثراً كبيراً فى سياسيتها الخارجية ، وإن السياسة الخارجية لايصح الإختلاف عليها ، بينما يجب أن نقسم السياسة الداخلية إلى ناحتين ، ناحية لايقع عليها خلاف جوهرى وهى الناحية القومية التى يجب ان يتضافر الجميع على النهوض بها . وناحية يمكن الخلاف عليها فى حدود المبادئ الإقتصادية والاجتماعية والسياسية المعروفة فى غير مصر ، وكان محمد محمود يؤمن بهذا التقسيم ويرى ان ميدان العمل فيما لايقع عليه خلاف فسيح جداً "(١)

بل إن **الدكتور هيكل** حينما كان يرنو بنظره إلى تجديد كوادر الحزب لإتاحة الفرصة أمام العناصر الجديدة من الشباب وكذلك تطوير برامج الحزب بعد الحرب العالمية الثانية بحيث ينص فى قانون الحزب على الأهداف الاجتماعية فأنه لم يفته ان يؤكد على لبرالية الحزب بالنص الآتى **" يجب ان نحمى حريتنا الفردية بالقوة التى نحمى بها حرية وطننا فنزود عنها بطش الطغيان وطيش الفوضى".**

وإن على من يقرأ السطور السابقة والتى تفصح عن رأى الحزب ممثلا فى رئيسه ان يتمعن ماتنطوى عليه عبارة الدكتور **هيكل** حتى لايداخله الظنون ان الحزب كان متطرفا فى أفكاره نحو اليمين والتمسك بالحرية الفردية . ومن ثم الإقتصاد الحر أيضا ، وأن لايتسرع فى الحكم بعد أن امتحنت مصر فى عهود الثورة بما تنبأ به الحزب من بطش الطغيان وطيش الفوضى، وان نكوص الثورة فى العهد الحالى عن سياستها القديمة للعودة

١- صورة فوتوغرافية لهيكل باشا ودسوقى باشا أباظة مع لفيف من رجالات حزب الأحرار الدستوريين.

بها إلى آليات السوق بعد أربعين سنه من الإقتصاد الموجه والإشتراكية الغير مدروسة يعنى أن مصر قد أضاعت من عمرها مالاسبيل إلى تعويضه إلا بعد عشرات السنين ، هذا اذا ماقيض الله لها الحكم الصالح وإنحسار ديكتاتورية الحكم.

ومع ذلك ورغم مانراه من إنه لم تكن هنالك اختلافات بين الأحزاب من حيث الأيدولوجيات أو البرامج أو السياسة الخارجية ، فإن ذلك لايعنى أن الأساليب الحزبية فى الحكم كانت متطابقة ، فالذى لاشك فيه ان الأحرار الدستوريين كانوا أساتذة علم الواقع السياسى ، كما أنهم كانوا أساتذة الفقه الدستورى ، وهم قبل كل شئ آباء دستور ١٩٢٣ ، وكذلك فأنهم كانوا القوة المحركة وراء تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، وقد كانت الخطوة الأولى فى طريق الإستقلال بعد أن كاد الأمر أن يتحول إلى مزايدات وطنية عقيمة ، ولعلنا نرجع لخطاب **سعد باشا** السابق الإشارة إليه والموجه **لعبد الرحمن فهمى** الذى سجل لهم فيه سبقهم وفضلهم حيث يقول **"ان الحقد عليهم لم يكن إلا من عمل المنافسين لهم من العاطلين الذين ليس لهم مثل كفاءتهم ، ولافيهم مثل شعورهم"**. وكل مايؤخذ عليهم إنهم كانوا لايأبهون للرأى العام بقدر مايحفلون بالمصالح الوطنية.

ولعل **سعد زغلول** نفسه كان أول من يدرك فداحة الخسارة التي أدت إلي انقسام الأمة إلي عدليين وسعديين ، وكان أشد الزعماء حرصا علي رأب الصدع وإعادة اندماج الحزبين من جديد قبل وفاته سنة ١٩٢٧ فقد كان زعيم الأغلبية ورئيس مجلس النواب فى ذلك الحين بينما توالى على

رئاسة الوزارة **عدلى يكن** ثم **عبد الخالق ثروت** مدعمين بالأغلبية الوفدية فى المجلس ، بل أننا نجد **سعد باشا** يهرع من مسجد وصيف قبيل مرضه الأخير إلى القاهرة ليحاول إثناء **عدلى باشا** عن الإستقالة لمجرد جملة عارضة فى مجلس النواب وجدها ماسه بكرامته حينما اقترح بعض اعضاء المجلس توجيه الشكر **لعدلى باشا** على ادائه الممتاز فى الوزاره فعارض أحد النواب باعتبار أن **عدلى باشا** إنما كان يؤدى واجبه ، فلا شكر على واجب، وكان اقتراح **سعد باشا** أن يجتمع المجلس وأن يقوم بتوجيه الشكر على سبيل الإعتذار والترضية ويرفض **عدلى باشا** بدعوى أن إستقالة رئيس الحكومة هى من الأمور المألوفة أما أن يتراجع المجلس عن قراره فهو ما لا يليق بنواب الأمة ومن السوابق المرذولة.

ولم يطل **بسعد** البحث ليعلم أن عدول **عدلى باشا** عن الإستقالة أمر غير ممكن كما تتحدث مذكرات **هيكل باشا** فى السياسة المصرية. ولقد كان **ثروت باشا** متضامنا مع **عدلى باشا** فى إستقالته فكانت مهمة **سعد باشا** بالغة الصعوبة فى اقناع كل من الرجلين **عدلى وثروت** بأن مصلحة البلاد تقتضى ان يؤلف **ثروت باشا** الوزارة.

أليس فى تمسك **سعد باشا** بالإئتلاف بل والإندماج مايدحض الدراسات التى تزعم باختلاف الأحزاب الثلاثة أيدولوجيا وطبقيا وما إلى ذلك من مصطلحات التاريخ الحديث. إنهم فى رأينا ورغم المؤرخين الجدد حزب واحد وأسرة واحدة.

الحزب السعدى

أما وقد عرضنا لحزبى الوفد والأحرار الدستوريين ، فإننا ننتقل للحديث عن حزب السعديين بزعامة **أحمد ماهر والنقراشى وإبراهيم عبد الهادى** ، إكتمالا للصورة التى كانت عليها مصر قبل الإنقلاب العسكرى ١٩٥٢ ، ولقد كان الزعماء الثلاثة سابقو الذكر أقرب اصفياء **سعد زغلول** وتلاميذه وموضع ثقته ، كما كان **النقراشى** قريبا اليه أيضا بصلة النسب فهو زوج **ابنة عم صفية هانم زغلول أم المصريين.**

ولقد عمل هؤلاء الزعماء الثلاثه وبتشجيع من **أم المصرين صفية زغلول** على ترجيح كفه **النحاس باشا** فى خلافة **سعد زغلول** على زعامة حزب الوفد ، ضد **فتح الله باشا بركات** ابن **شقيقه سعد** ، وكانت حجتهم فى ذلك هى ضرورة تأكيد الصفة الشعبية لحزب الوفد وانتمائه إلى الطبقة الوسطى بإنتخاب **النحاس باشا** ، بدلا من **فتح الله بركات** الذى ينتمى إلى طبقة الأثرياء والذوات ، وكذلك فأنهم كانوا على ثقة من ان **النحاس** سوف يسلك الأسلوب الديموقراطى فى ادارة الحزب ، والرجوع إليهم مسبقا عند إتخاذ القرارات، أما الدوافع التى كانت وراء **صفية هانم** فى عدائها **لفتح الله بركات** فقد كانت ترجع إلى سلوكه الخشن إزاء خاله حال حياته وتجريحه كلما واتته الفرصة فقد سمع عنه مثلا قوله بأنه " **لايأتمن خاله على دجاجه"** كما أنه لم يستشر خاله عند اختيار زوجة لأبنه **بهى الدين بركات** ، ولم يكن راضيا على هذه الزيجه ، وقد يبدو للقارئ أن مثل هذه الأسباب هى من التوافه ، إلا أن السيدات لهن منطق آخر ورحم الله **عزيز باشا أباظة** حين يقول :

وعندما إنشق السعديون على زعامة الوفد فقد كونوا الهيئة السعديه وقد كانوا على يقين أنهم أحق من **النحاس** بزعامة الوفد وتمثيله والأحتفاظ بتراث سعد ومبادئه ، فهم أصفياء **سعد باشا** بينما كان **النحاس باشا** أحدث عهداً فى إنضمامه للوفد وأنه كان شريكا فى ثورة ١٩١٩ منذ البداية ، وقد كانوا وراء توليه زعامة الوفد وفى الواقع فإن الإنجليز أنفسهم كانوا يتوجسون خوفا من أن يقع **النحاس** تحت تأثير المتطرفين بعد أن رجح هؤلاء الزعماء الثلاثة (**ماهر** ، **والنقراشى** ، **إبراهيم عبد الهادى**) كفته فى الحزب.

ولذلك فإن الهيئة السعدية لم تنشئ برنامجا جديدا لها تمسكا بوفديتها وانتمائها إلى **سعد زغلول** مؤسس الحزب .

وكانت أسباب **النقراشى** فى معاضة الوفد وتنحية **النحاس** له من الحزب ترجع الى طلب **النحاس** فى مجلس الوزراء الموافقة على مشروع توليد الكهرباء من خزان اسوان واسناد العمل الى شركة بريطانية دون اجراء مناقصه عالميه ولعلنا بعد هذا العرض السريع لظروف إنشقاق الحزب السعدى فأننا نعود الى الموضوع الأساسى الذى نحن بصدده ، وهو أسباب قيام الثورة ، وعلاقتها بموضوع ٤ فبراير ١٩٤٢ أولا ثم موضوع الحرب العالمية ثانيا ، وهما الموضوعان اللذان كان لهما الأثر المباشر فى تكوين حركة الضباط الأحرار والتمهيد لها . فبينما كان كثير من الضباط المنتمين إلى الحركات السرية يتعاونون مع الجيوش النازية بقيادة **روميل**

داخل حدود مصر ، يقودهم فى هذا الإتجاه فكر ضحل وعقول مضطربة فقد كان للحزب السعدى موقف آخر معاكس رغم اتجاهات الأحزاب الأخرى، وكذلك موقف القصر الملكى الذى كان يتعاطف ولاشك مع جيوش المحور يحركه بغضه للإنجليز وللسفارة البريطانية المتغطرسة فى مصر . كما كان عامة الشعب متعاطفة أيضا مع الجيوش النازية أملا فى إنهاء الإحتلال البريطانى وإعجابا بالجيش الألمانى وقائده ذائع الصيت والذى أصبح أسطورة فى العالم كله.

وكذلك فقد كان موقف الوفد غير محدد ولا يتسم بالوضوح عند إعلان الحرب فى بادئ الأمر وكذلك كان موقف الأحرار الدستوريين بدعوى إنها حرب لا ناقة لنا فيها ولاجمل .

- إلا أن موقف الحزبين الوفدى والدستورى أصبح محبذا لدخول الحرب عند نهايتها وبعد أن لاحت بوادر النصر للحلفاء وأصبحت المسأله محسومة ورهن الوقت فموضوع دخول الحرب اذن لم يكن خلافاً على مبدأ بقدر ماكان مضاربة على الزمن ، إشفاقا على مصر من ويلات الحرب وإحتمالات الهزيمة.

وكذلك كان موقف **على ماهر** حينما كان رئيسا للوزراء ، وهو المعروف بتعاطفه مع قضايا المحور أو هكذا كانت مزاعمه ، فقد كان موقفه بالغ التردد ، وحينما عرض الأمر على مجلس الوزراء فقد وافقت الأغلبية على دخول الحرب وهى الموافقة التى دفعت **عبد الرحمن عزام** إلى تقديم إستقالته ، وازاء موقف القصر الملكى ، وتلويح عزام بالإستقالة فقد تراجع **على ماهر** عن موقفه والتزم بسياسة الحياد.

ولم يكن **على ماهر** من النسيج الصلب الذى كان عليه اخوه **أحمد ماهر** وإنما كان كما وصفه "**لامبسون**" من الخامة التى يصاغ منها الدكتاتوريون إلا أنه تنقصه الشجاعة والعزيمة وعندما تصل المسائل إلى النقطة الحاسمة ، فإنه يبدو كما لو كان يرتجف خوفا من القرارات الخطيرة. وهو وصف صادق مع الأسف وان كان يتسم بالقسوة ولكننا رأينا أن نورده[1] بعد أن إتضح لنا صدقه ونرى أنه بعد أن كلفته ثورة يوليو بتأليف الوزارة ، فإذا بهذه الشخصية الفخمة الضخمة تسفر عن ضعف فى النفس وخضوع للسلطة العسكرية.

- أما موقف السعديين برئاسة **أحمد باشا ماهر** فقد كان واضحاً ومحدداً منذ البداية ، بل وعندما كانت الغيوم تحيط بموقف الجيوش البريطانية فى مصر من كل جانب ، فقد طالب الحزب السعدى بدخول مصر الحرب منذ البداية إلى جانب الإنجليز ، وهو الأمر الذى كان يدعو إلى الدهشة لأن زعماء هذا الحزب هم أنفسهم قاده الحركة السرية فى مصر ١٩١٩ ضد الإنجليز ، والذين طالب الإنجليز برؤوسهم فى يوم من الأيام . بل أن الإنجليز ظلوا على عدائهم لهم حتى النهاية وحتى مصرع الشهيدين العظيمين **ماهر والنقراشي**.[2]

إلا أن العواطف شئ وحسابات السياسة الباردة شئ آخر ، فقد كان **أحمد باشا ماهر** بطبيعته المغامرة يرى أن إحتمالات انتصار الألمان بالغة

١- مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية -مؤسسة الأهرام-مصر والحرب العالمية الثانية ص ١٤٠.
٢- صوره فوتوغرافيه لأحمد باشا ماهر ودسوقى باشا أباظه.

الضعف ، فهو يضارب على الإحتمالات الأقوى بإنتصار الحلفاء والتى كانت تقترب لديه إلى حد اليقين . والسياسة فى مضمونها لاتقتصر على معالجة الأمور الجارية والملموسة وحسب ولكنها فى جوهرها هى الرؤية البعيدة واستشفاف المواقف المستقبلية التى يتحدد عندها مصير الأمة نحو الأفضل والأحسن وهى من الأمور التى تغم على الأخرين الذين لاشأن لهم بالأمور السياسية . ولعل الأيام قد أثبتت بعد نظر الحزب السعدى فى تمسكه بإعلان الحرب منذ البداية ولقد كانت دوافعه فى ذلك تتلخص فيما يأتى.

أولا: ان نكوص مصر عن الدفاع عن حدودها ، تاركة هذا الواجب المقدس إلى الجيوش البريطانية منفردة كان يعنى فى رأى الحزب الإعتراف الضمنى بالحماية البريطانية.

ثانيا: إن عدم إعلان الحرب يضعف ولاشك من مركز المفاوض المصرى عند نهاية الحرب كما يضعف من قضية وحدة وادى النيل .

ثالثا: إن الحزب السعدى كان مدركا لخطورة المشكلة الفلسطينية ، والمساعدات التى تقدمها الدوائر الصهيونية للحلفاء ، والمشاركة برجالهم فى الحرب ، إنتظارا لرد الجميل بعد نهايتها وكذلك انتهازا لفرصه تدريب العصابات اليهودية على الأسلحة الحديثة . وقد كان **أحمد باشا ماهر** يرمى بإعلان مصر الحرب إلى سد الطريق أمام المطامع الصهيونية.

رابعا: إنتهاز فرصه ضعف الموقف العسكرى للحلفاء فى الشرق الأوسط عند بداية الحرب واضطرار الإنجليز للعمل على تسليح وتدريب الجيش المصرى ، وهو الأمر الذى لم تكن بريطانيا لتقبل عليه مختارة.

ولم تكن مطالبة السعديين بدخول الحرب مجرد رأى عارض ، وإنما كان موقفهم بالغ الوضوح والصلابة مما أدى إلى استقالتهم من حكومة **حسن باشا صبرى** إحتجاجا على إصرار الوزارة فى التمسك بالحياد بدعوى تجنيب مصر ويلات الحرب.

ولعل القارئ يتيقن من مدى بعد نظر الزعماء السعديين من واقع البرقيات الصادرة فى هذا الشأن عن دار السفاره البريطانية بتاريخ ١٣ ديسمبر سنه ١٩٤٠ (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية – مؤسسة الأهرام صـ٢٤٣ **تحت عنوان مصر والحرب العالمية الثانية**).

فبعض الفقرات الواردة فى البرقية تشير إلى مايأتى :

" بعد التشاور مع القائد العام للشرق الأوسط فيما يلى أراؤنا المشتركة" نحن نوصى بعدم الضغط على الحكومة المصرية فى الوقت الحاضر لإعلان الحرب اللهم إلا اذا رغبت هى من جانبها وبإرادتها الحرة فى ذلك ، فلن يكون من الحكمة السياسية منعها : " ومن الزاوية السياسية أستطيع أن أضيف أنه اذا ما أعلنت مصر الحرب سوف تشعر أن من حقها الحصول على عضوية مؤتمر الصلح وطرح ادعاءاتها أمامه (على حد نص البرقية).

" ويمكن أن تكون إدعاءات مربكة لنا. وذلك أن هناك اعتقادا عاما إن مصر سوف تطلب فى نهاية الحرب ثغييرت جذرية للمعاهدة، وأن المشاركة المصرية فى الحرب سوف تدعم مثل هذه المطالبة . وهناك أيضا ذلك الإحتمال المربك بإدعاءات مصرية إقليمية فى ليبيا".

وهكذا وبعد أن قويت شوكة الإنجليز ولاحت لهم بوادر النصر فقد أصبحوا لايأبهون لدخول مصر الحرب ، كما أصبحوا غير مستعدين لدفع المقابل العادل لمساهمة مصر بعد ضياع الفرصة وفواتها .

ونرجع إلى مذكرات السادة الضباط الأحرار فنجد أنهم قد أفاقوا ففى كتاب البحث عن الذات **لأنور السادات** نجده وهو الذى كان معجبا بالنمط الألمانى والعسكرية الألمانية كما تعاون معهم واشترك فى قضايا التجسس لحسابهم يندد بالنظام الفاشى والنازى الذى لاينطوى إلا على قهر الإنسانية وارادتها الحرة.

كما نجد فى كتاب **خالد محى الدين** والآن أتكلم[1] مايشبه الإعتذار عن موقفهم أثناء الحرب العالمية الثانية فيقول : "وصحيح أيضا أن التواطئ مع الفاشية كان خطأً فادحا، واضراراً شديداً بمصالح الوطن . لكن ذلك كله كان يمكن التحدث به فى أروقة السياسيين أو بعد هدوء العواصف والعواطف والدخول فى تحليلات لأحداث وقعت فى الماضى، أما ساعتها فقد كان الأمر جد مختلف . كانت مشاعرى غاضبه بصورة لم أعتد عليها وأحسست بمهانة شديدة كمصرى وكعسكرى. ولم يكن هذا احساسى وحدى...

١- خالد محى الدين والآن أتكلم ، ص ٣٥ .

ربما كنا جميعا كذلك ... " نعم كانوا جميعا كذلك يتعاونون مع المحور ويتخابرون لحسابه ... ونود هنا أن نتوقف قليلا لتدبر أمر هذا الجيش الذى فشت فيه الأفكار السياسية الرديئة وعاث فيه المخربون والمضطربون عقليا – فمنهم الشيوعيون والإخوان المسلمون واعضاء الجناح المتطرف للحزب الوطنى ومنهم اعضاء التنظيم الملكى المعروف باسم **الحرس الحديدى** ومنهم النازيون الذين يتجسسون لحساب الألمان ويمدونهم بالمعلومات والمواقع الحصينة للدفاع ، من واقع الوثائق التى تم العثور عليها فى حوزة الجيش الألمانى بعد الحرب ... ومن واقع مذكراتهم كما سبق أن أسلفنا ، فإننا نعجب من عمق هذه الهوة التى ترددوا هم فيها ثم أنهم كانوا يحاولون جهدهم أن يوقعوا ببلدهم فى أعماقها.

أى جيش هذا الذى يتخابر مع غزاة يتدافعون إلى داخل حدود بلادهم إلا أن يكونوا من الخونة أو الجهلاء!!!.

فالعواطف مهما بلغت من السمو فى عقيدة أصحابها ، فأنها لاتشفع لهم إرتكاب الجرائم الوطنية ، وخصوصاً بالنسبة للجهلاء والحمقى الذين يندفعون فى طريق الخراب والدماء بدعوى الوطنية والوطنية منهم براء ، والقبول بمثل حججهم فى القتل السياسى أو التخابر مع اعداء الدولة إنما هو التبديد والتفريط فى حقوقها وميراثها وسلامتها ولايجدى معه الندم أو الإعتذار.

الظروف السياسية قبل

ثورة يوليو ١٩٥٢

حينما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ فقد أعلنت عن مبادئها السته وهى القضاء على الإستعمار وأعوانه ، والقضاء على الإقطاع ، والقضاء على احتكار وسيطرة رأس المال ، وإقامة عدالة إجتماعية ، وإقامة جيش وطنى قوى ، وإقامة حياة ديمقراطية سليمه.

ولقد قابل الشعب إعلان الثوره بمظاهر الإبتهاج والرجاء ولقد خدعتهم الثورة برئاستها السمحه ممثلة فى اللواء **محمد نجيب** ومظهره الأبوى وتاريخه المعروف فى الوقوف ضد رغبات الملك فى إنتخابات نادى الضباط ، وانتصاره على الطغمة الباغية من ضباطه ذوى السيرة العفنة ، والذين انغمست أيديهم فى عمليات الإغتيالات فى منظمة تحمل أسم الحرس الحديدى.

وكان الشعب قد سئم من تلاعب الملك بالدستور ، وسرعة تغير الوزارات بما ينم عن الجزع وعدم الإستقرار السياسى فى مصر . كما أنه كان يقحم على هذه الوزارات المتلاحقة بعض المستوزرين سيئ السمعة والذين يمقتهم الشعب كل المقت من أمثال **الياس أندراوس** وكريم ثابت **وحسين** سرى **عامر الذين** رفض جميع رؤساء الوزارات قبولهم فى تشكيلات وزاراتهم إلا كريم بعد ضغط شديد من **الملك.**

وأذكر أن أحدى المجلات قد خرجت فى ذلك الوقت برسم يمثل يدا مصابة بمرض جلدى ، وهو ماكان يشكو منه كريم ثابت وتحت الصورة كتبوا ذلك البيت من الشعر:

أنا لا أرضى بتقبيـل يـدٍ   قطعها أفضل من تلك القبـل

وكانت الأحزاب السياسية تقف بعيداً عن هذه التطورات السريعة بعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، وقد أغضبهم رد فعل القصر إزاءها، وهو التصرف الذى كان يتسم بالحماقة وقصر النظر ، فبدلا من التنبه للخطر المحدق بالبلاد، ومسانده وزارته الوفدية فى ذلك الوقت العصيب ، فإنه قد اتخذ من هذا الحدث البالغ الخطورة تكأه للنكاية بالوفد والتعريض به وتحميله مسئولية الخراب والدمار الذى حل بالبلد.

بل أنه كان يحتفل بمناسبة ميلاد **ابنه أحمد فؤاد** فى هذا اليوم المشئوم ، وقد دعا كبار رجال الجيش بقصر عابدين لهذه المناسبة . وحينما استنجد **فؤاد باشا سراج الدين** بالجيش بصفته وزيراً للداخلية فقد رفض **الملك** الإستجابة لطلب وزيره فى أول الأمر مما أدى إلى تفاقم الخطر ، وكأن **الملك** كان يتآمر على عرشه ، ولم يكن ذلك الموقف من جانبه إلا بقصد تعرية الحكومة الوفدية وإظهارها فى موقف العاجز عن حماية الأمن ، توطئه للإطاحة بها.

وعلى مايبدو أن هذه الوزارة قد حاولت جهدها فى أول أمرها التقرب إلى **الملك** ، وطى صفحة العداوة المتبادلة والموروثة منذ عهد أبيه **الملك فؤاد** بينه وبين زعيم الوفد السابق **سعد زغلول** ، إلا أن **الملك** لم يكن لتقر له عين أو يهدأ لـه بـال وحزب الوفـد قائم بالحـكم ، ورغـم طبيعـة **فؤاد باشا سراج الدين** الرواحة ، وصداقته بكثير من رجال القصر والمحيطين **بالملك** إلا أن الثأر القديم وذكرى ٤ فبراير لم تكن لتخمد أبدا فى صدره.

أما الأحزاب الأخرى كالأحرار الدستوريين والسعديين والتى كان الملك يستند إليها فقد خرجت عليه هى أيضا ، وهى الأحزاب التى كانت تمثل عقلاء الأمة وحكماءها ومركز الثقل فى استقرار الحكم ، وقد قذفت فى وجه الملك بعريضه كانت تمثل قمة التحدى لذاته . وقد يحسن أن نوردها كاملة حتى يتبين القارئ مدى خطورتها وماتقدمه من صورة قاتمة لما كان عليه الحال فى مصر ، حتى ضاقت صدور الشعب بالملك وبالحكم الملكى والنظام الذى خرج عن حدود الحرية إلى غوغائية الفوضى ونص العريضة هو كالآتى :-

ياصاحب الجلالة.

إن البلاد لتذكر لكم أياماً سعيدة كنتم فيها الراعى الصالح الرشيد، وكانت تحف بكم أمة تلاقت عند عرشكم آمالها والتفت حول شخصكم قلوبها فما واتتها فرصة الا دلت فيها على عميق الولاء والوفاء ، وما العهد ببعيد بحادث القصاصين ، وقد انقذكم الله من مخاطره وهو أرحم الراحمين.

واليوم تجتاز البلاد رحلة قد تكون من أدق مراحل تاريخها الحديث ، ومن أسف إنها كلما إتجهت إلى العرش فى محنتها حيل بينه وبينها ، لالسبب إلا لان الأقدار قد أفسحت مكانا فى الحاشية الملكية لأشخاص لا يستحقون هذا الشرف ، فأساؤا النصح وأساؤا التصرف ، بل إن منهم من قحامت حول تصرفاتهم ظلال كثيفة من الشكوك والشبهات وهى الآن مدار التحقيق الجنائى الخاص بأسلحة جيشنا الباسل ، حتى ساد الإعتقاد بين الناس إن يد العداله ستقصر حتماً عن تناولهم بحكم مراكزهم.

كما ساد الإعتقاد من قبل إن الحكم لم يعد للدستور وإن النظام النيابى قد أصبح حبراً على ورق منذ أن عصفت العواصف بمجلس الشيوخ فصدرت مراسيم يونية ١٩٥٠ التى قضت على حرية الرأى فيه وزيفت تكوين مجلسنا الأعلى كما زيفت الإنتخابات الأخيرة من قبل تكوين مجلس نوابنا.

ومن المحزن أنه قد ترددت على الألسن والأقلام داخل البلاد وخارجها أنباء هذه المساوئ وغيرها من الشائعات الذائعات التى لاتتفق مع كرامة البلاد حتى أصبحت سمعه الحكم المصرى مضغة فى الأفواه وأمست صحافة العالم تصورنا فى صورة شعب مهين يسام الضيم فيسكت عليه بل ولا يتنبه إليه ، ويساق كما تساق الأنعام والله أعلم أن الصدور منطوية على غضب تغلى مراجله وما يمسكها الا بقيه من أمل يعتصم به الصابرون.

ياصاحبا الجلالة.

لقد كان حقاً على حكومتكم أن تصارحكم بهذه الحقائق ، ولكنها درجت فى أكثر من مناسبة على التخلص من مسئوليتها الوزارية بدعوى التوجيهات الملكية . وهو ما يخالف روح الدستور وصدق الشعور ، ولو أنها فطنت لأدركت أن الملك الدستورى يملك ولا يحكم ، كما أنها توهمت أن فى رضاء الحاشية ضماناً لبقائها فى الحكم ستراً لما أفتضح من تصرفاتها ، وما إنغمست فيه من سيئاتها. وهى هى لا تزال أشد حرصاً على البقاء فى الحكم وعلى مغانمة منها على النزاهة . ولهذا لم نرْ بدا من أن ننهض بهذا الواجب فنصارح حكم بتلك الحقائق إبتغاء وجه الله والوطن لا

إبتغاء حكم ولا سلطان وبراً بالقسم الذى أديناهً أن نكون مخلصين للوطن والملك والدستور وقوانين البلاد . وما الاخلاص لهذه الشعائر السامية إلا إخلاص الأحرار يوجب علينا التقدم بالنصيحة كلما أقتضاها الحال.

ياصاحب الجلاله .

أن إحتمال الشعب مهما يطل فهو لابد منته إلى حد ، واننا لنخشى أن نقوم فى البلاد فتنة لا تصيب الذين ظلموا وحدهم بل تتعرض فيها البلاد إلى إفلاس مالى وسياسى وخلقى فتنتشر فيها المذاهب الهدامة بعد أن مهدت لها آفه إستغلال الحكم أسوأ تمهيدً .

لهذا كله نرجو مخلصين أن تصحح الأوضاع الدستورية تصحيحا شاملا وعاجلا فترد الأمور إلى نصابها وتعالج المساوىء التى تعانيها مصر على أساس وطيد من إحترام الدستور وطهاره الحكم وسيادة القانون، بعد إستبعاد من أساؤا إلى البلاد وسمعتها ومن غضواً من قدر مصر وهيبتها ، وفشلوا فشلاً سحيقاً فى إستكمال حريتها ووحدتها ونهضتها حتى بلغ بهم الفشل أن زلزلوا قواعد حكمها وأهدروا فوق كل إهدار إقتصادها القومى فإستفحل الغلاء إلى حد لم يسبق له مثيل وحرموا الفقير قوته اليومى ولا ريب أنه ما من سبيل إلى إطمئنان أية أمة لحاضرها ومستقبلها إلا إذا إطمأنت لاستقامة حكمها فيسير الحاكمون جميعاً فى طريق الأمانة على إختلاف صورها ، متقين الله فى وطنهم ومتقين الوطن فى سرهم وعلنهم .

والله جلت قدرته هو الكفيل بأن يكلأ الوطن برعايته فيسير شعب الوادى قدما إلى غايته. **إبراهيم عبد الهادى - محمد حسين هيكل - مكرم عبيد - حافظ رمضان - عبد السلام الشاذلى - طه السباعى - مصطفى مرعى - عبد الرحمن الرافعى - دسوقى أباظة - أحمد عبد الغفار - على عبد الرازق - رشوان محفوظ - حامد محمود - نجيب أسكندر - زكى ميخائيل بشارة - السيد سليم .**

ولعل القارئ يتبين مدى خطورة العريضة وما تصوره من واقع قائم ما تمثله من تحدى سافر **للملك** حتى إنها تكاد أن تكون نبوءة صادقة بما سيحل بالبلاد وبالعرش من كوارث ولقد أغضبت العريضة **الملك** غضباً شديداً حتى أنه قد توعد الأفراد الذين قاموا بتحريرها بالعمل على إبعادهم عن الحكم ما بقى على قيد الحياة رغم إن الموقعين كانوا يمثلون السعديين والدستوريين وحزب الكتلة والحزب الوطنى وكبار رجال الدولة .

وبذلك فقد فقدّ **الملك** أصدقاءه ، كما فقد أيضاً حزب الوفد الذى يمثل الأغلبية الشعبية . ولا شك أن حزبى الأحرار الدستوريين والسعديين لم يكن يدور فى خلدهما إستبعاد النظام الملكى كأساس ثابت للحكم ، وإن كانت ثقتهم فى قدرة **الملك فاروق** نفسه على إدارة دفة البلاد والقيام بدوره كرمز دستورى يملك ولا يحكم قد اهتزت إهتزازاً شديداً.

وإزاء هذا فقد إضطر الملك إلى الإستعانة برجال مستقلين لا يمثلون ثقلا محسوساً فى الحياة السياسية بمصر وليس لهم من سند يرتكنون إليه

فى المجالس النيابية ، من أمثال **حسين باشا سرى** أو **نجيب باشا الهلالى** أو **على باشا ماهر** ، كما أن ولاء هؤلاء الزعماء الذين لا يمثلون إلا أنفسهم كان قد أهتز هو أيضاً فمنهم من كان يلوذ بالإنجليز ومنهم من كان يلتمس الرضاء لدى حزب الوفد فهم جميعاً من نسيج ضعيف لا يثبت أمام العواصف والأعاصير التى إجتاحت مصر ومنهم أيضاً من كان فليسوفاً حكيماً وإن كان بعيداً عن فنون السياسة فهم ليسوا من رجال الساعة من أمثال **أحمد ماهر** أو **إسماعيل صدقى** .

ومن ناحية أخرى فإن الثورة الوشيكة والتى دهمت بعد ذلك البلاد كانت تركن على تنظيمات سرية وهيئات وأحزاب ذات طابع ثورى أو هو طابع فوضوى، مثل الإخوان المسلمين والجناح المتطرف من الحزب الوطنى وحزب مصر الفتاة والشيوعيون وخصوصاً منظمة حدتو بزعامة المليونير الصهيونى **كوربيل** وكذلك منظمات الجيش المختلفة الميول والمذاهب ، ومن ضباط الملك أنفسهم ممن ينتمون لتنظيم الحرس الحديدى ، ووجة الخطورة فى التنظيم الأخير إنه كان يتدثر بالعباءة الملكية والرعاية السامية التى كانت تغض عنهم عيون الرقباء من الجيش أو رجال البوليس.

وأذكر إن **حيدر باشا** نفسه وزير الحربية ورجل الملك كان فى فندق سان إستيفانو بعد إندلاع الثورة بأيام وكان يجالس والدى المرحوم **دسوقى باشا أباظة وأخى ثروت** ، وقد كان يزهو بأن أسماء الضباط الأحرار جميعاً كانت فى درج مكتبة .

ولعله كان يحمل فى نفسه ضغناً شديداً **للملك** الذى كان يلهو به ويسخر منه بعد أن فقد لديه الثقة والإعتبار . ويروى الدكتور **منصور فايز** فى كتابه مشوارى مع **جمال عبد الناصر** وقد كان طبيب **حيدر** الخاص وموضع ثقته أنه تلقى ذات يوم هدية من الملك وحينما شرع فى فتحها وجد أمامه صندوقاً كبيراً فلما فتحه وجد بداخله أخر، واستمر هكذا يفتح صندوقاً من بعد صندوق ، حتى فتح الأخير فقفزت فى وجهه ضفدعة كانت حبيسه فيه . وقد صارح **حيدر** طبيبه إنه كان يساوره شعور جارف بأن الملك كان يعمد إلى التخلص منه ولو أدى ذلك إلى إغتياله ، ولا عجب فى ذلك كما يروى الدكتور **منصور فايز** فقد كان **حيدر** على علم بنشاط الحرس الحديدى للملك لإغتيال الشخصيات غير المرغوب فيها . ولعل شكوك **حيدر** فى نوايا **الملك** كانت ترجع فى أساسها إلى أسباب مرضيه فهو مصاب بتليف فى الكبد مما يؤثر على سلامه تقدير المريض للأمور وتضخيمها وفقاً لتقرير طبيبه ، كما ترجع شكوكه أيضاً إلى فقدانه لثقة الملك وتحولها إلى **حسين سرى عامر** المعروف بالشدة والصرامة والذى كان يشغل مدير سلاح الحدود فى ذلك الوقت ، وقد راودت **حيدر** الشكوك إن الملك سوف ينتهز الفرصة المواتية لتعيينه بدلاً منه فى وزارة الحربية ولعل غضب **الملك** على **حيدر** كان له ما يبرره فإن **حيدر** رغم أنه كان من ضباط البوليس فقد استطاع أن يستحوذ على ثقة الجيش عندما عين وزيراً للدفاع بما كان يغدقه عليهم من مكافاءات وعلاوات - وسرعان ما إلتف حوله المتآمرون فهو خال **عبد الحكيم عامر** كما كان **صلاح سالم** يعمل بمكتبه. ولنا عودة إلى هذا الموضوع عن مناقشة مدى ولاء رجال القصر.

وهكذا فإن الطريق أمام الملك كانت تحف به المخاطر والأنواء ، وقد ابتعد عنه رجال الحكم والسياسة ليحيط به المنافقون والمتمصرون والخدم كما أصبح الجيش الذى يناط به حماية الملك عباءه للتآمر عليه وإحكام الدسائس حوله وكذلك فقد كانت المخابرات الأمريكية قابعة ترقب مسار الأحداث أو لعلها كانت تحركها ترقباً للفرص المواتية لوراثة النفوذ البريطانى الذى آذن فى هذه الفترة العصيبة على الإنتهاء كما لم يكن بين **الملك والإنجليز** ود يحميه من الأعاصير التى تعصف به من كل جانب ونجد أن **تشرشل** نفسه فى أبريل ١٩٥١ قد صرح كزعيم للمعارضة فى ذلك الوقت إن الموقف فى الشرق الأوسط أصبح يستلزم جهداً مشتركاً ، بعد أن أصبحت بريطانيا لا تقوى وحدها على أعباء المسئولية السياسية فى دول البحر الأبيض المتوسط أو أنها تستطيع حتى القيام بالدور الرئيسى فى هذا المسرح الحيوى، ولكن الولايات المتحدة وإنجلترا معا وبمؤازرة فرنسا.

هؤلاء الثلاثة يستطيعون بكل حزم التعامل مع المشكلة المصرية وتولى الدفاع عن قنال السويس (١)

والذين يقرأون هذه السطور قد يدور فى خلدهم لماذا لم تقدم الأحزاب الثلاثة الرئيسية على إنقلاب دستورى ، طارحين الثقة بالملك عن طريق أغلبيتهم النيابية فى المجلسين بعد إجماعهم على أن الملك قد فقد الثقة والإعتبار.

ولعل مثل هذه الأمور كانت تدور فى أذهان كثير من ساسة الأحزاب ليس على سبيل التمرد على النظام الملكى ذاته ولكنه على العكس من

١- كتاب كيسنجر Diplomacy ص ٥٢٤.

ذلك وعلى سبيل الحفاظ على نظام الحكم وتمسكاً بروح الدستور وحماية البلد كلها من بطش الطغيان وطيش الفوضى على حد تعبير **الدكتور هيكل باشا** .

والجواب هنا يسير فإن الجيش ذاته هو الذى كان منحازاً إلى الملك فى الظاهر ويسانده فى كل ما يذهب إليه من أمور ، كما كان الإستعمار يتمسك بتوازن القوى فى مصر ويعمل على إيقاظ روح الفتن بينها فهو ينحاز إلى القصر حيناً وحيناً آخر كان ينحاز إلى حزب الوفد حينما تضطره الظروف الدولية أن يرتكن على الأغلبية الشعبية فى مصر .

ولعل القارئ لا يدرك مدى ما كانت عليه سطوه الإستعمار فى ذلك الوقت فى ظل نظام دولى إستعمارى يقتسم العالم ويرسخ الإستعمار كوسيلة عادلة فى رأيهم لتوزيع وتداول الثروات العالمية . كما أن على الذين يتساءلون ولماذا لم تتحد الأحزاب لتواجه القصر وتلزمه باحترام الدستور ولماذا لا يواجهون الإنجليز كرجل واحد ، فأننى وقد عاصرت فى شبابى كثيراً من رجالات الأحزاب المختلفة فأننى أعلم عن يقين مدى وطنيتهم وحرصهم على الديمقراطية والقانون، إلا أن الله لا يكلف النفس إلا وسعها فى ظل ظروف مختلفة كل الإختلاف تحت قهر الإستعمار وفى بلد لم تدركه المدنية بعد .

وهكذا شاء لنا الحظ العاثر أن تقع مصر تحت وطأة الإنقلاب سنة ١٩٥٢ مدعما مع بالغ الأسف بالقبول الشعبى ولقد مهد الملك لذلك أبلغ

تمهيد كما كان الإنقلاب يحظى بالتأييد الإمريكى ، ولم يكن الإنجليز ليأبهون لحماية النظام الملكى فى ظل **فاروق** بعد أن ثبت لهم بغضه الشديد للإحتلال.

وكذلك كان شأن الأحزاب الرئيسية الثلاثة فى مصر بعد أن يئست من إصلاح الملك والتزامه بقوانين البلاد ودستورها ، كما أن بعض رجال الوفد كانوا على صلة بالضباط الأحرار، وكانوا عقب إقالتهم فى ١٩٥١ على أتم أستعداد للترحيب بثورة يوليو ، وقد أحرق الملك السفن كلها فيما بينهم وبينه بعد أن أقال الوزارة وبعد أن حاول حرسه الحديدى إغتيال النحاس بأوامر مباشرة منه أكثر من مرة ، كما إنه قد أقدم بالفعل على إغتيال وزير وفدى وهنا نود أن نتوقف قليلاً لنناقش بعض مذكرات رجال الصحافة والأحزاب القديمة الذين تعاونوا مع هؤلاء الضباط تعاوناً وثيقاً مثل **العزيزين مصطفى أمين وأحمد أبو الفتح** .

ولعل عذر **مصطفى أمين** إنه صحفى بالسليقة ، وإبتعاده عن مراكز الأخبار ومنابعها ورجال الحكم الجديد يعنى خروجه من سوق الصحافة وهى حياته كلها ، فهو يتقرب إليهم بقدر ما كانوا يتقربون إليه ، وهو الذى سخر مؤسسة الأخبار للهجوم على الملكية قبيل نهايتها وقد مهد للثورة أبلغ تمهى إلا أننا لا نعلم عنه أنه كان على صلة بالمتآمرين من الضباط قبل قيام الثورة . أما حساب **أحمد أبو الفتح** فهو عسير لأنه قبل أن يكون صحفياً فهو حزبى من رجالات الوفد ، وقد تآمر مع المتآمرين ولف لفهم فخدعوه وغرروا به بعد أن عاهدوه على حكم جديد يسوده القانون

والدستور ويلتزم بالديمقراطية السليمة وقد أردت أن أناقش من خلاله وهو **الرجل العزيز الكريم** مجموعة ليست بالهينة من رجال العهد البائد الذين تآمروا على دولتهم ثم عادوا بعد الخراب والتخريب للتنديد بالثورة والحكم العسكرى الذى وسدوا هم له ومهدوا الطريق أمامه فالسياسة لا تعترف بالنوايا الحسنة والقصد القويم بقدر ما تعترف بحقائق الأمور وواقعها أما إن يقوم أحدهم بإحراق البلد بغير بصيرة أو تدقيق ثم يأتى بعد الطوفان ليعلن ندمه وإعتذاره بدعوى حسن النيه ، فإننى أرى أن عذره غير مقبول ولا يشفع له إدعاء بالغفلة أو حسن النية أو أنه كان ضحية إستدرجها الآخرون . وكذلك كان الأمر مع الفقيه العظيم **الدكتور السنهورى باشا وعلى باشا ماهر** رجل الملك والذى علق البعض من الذين يعرفونه على مواقفه خلال حياته كلها بأنه كان كالمصعد يصعد بالصاعدين كما يهبط مع الهابطين وغيرهم وغيرهم من رجال الدولة الذين أصابتهم الغفلة فضلوا وأضلوا.

أما الآخرون من المتآمرين مثل **الإخوان المسلمين ومصر الفتاة** والشيوعيين ومن لاعقى الدم الذين لا يأبه لهم فقد حق عليهم القول إن من يساعد ظالماً على ظلمه سلطه الله عليه . فقد أشعلوا نار الفتن ثم أصبحوا هم وقوداً لها .

ومن كتاب **أحمد أبو الفتح "جمال عبد الناصر"** نسوق روايته عن فوضى الحرية فى أيام الملك **فاروق** الذى تآمروا عليه ، فقد نشرت صحيفة المصرى أخباراً غير موثوق بها عن مشروع مصاهرة بينه وبين الأسرة

الهاشمية فى العراق . وغضب الملك غضباً شديداً وقام القصر بابلاغ النائب العام عدة مرات ، وإستدعى النائب العام الأستاذ **حسين أبو الفتح** وبعد أكثر من ساعتين خرج مع النائب العام، وسمعه **أحمد أبو الفتح** يقول لأخيه لا تغضب فإننى سأودعك فى سجن الأجانب أربعة أيام كى نهدئ من ثورة الملك ، وسأعطى أمراً بأن تخرج كل يوم ولا تعود للسجن إلا قبل الغروب ويستطرد **أحمد أبو الفتح** فى كتابه ليكمل أحداث هذه القصة فيقول أن أخاه أمضى ليلته فى سجن الأجانب ، وفى الصباح عندما خرج بصحبة ضابط بوليس بحجة العلاج إتجه بالسيارة إلى مكتب النائب العام، وعندما إستقبله قال: "كفاية كده، والله ما أنا راجع للسجن، وبعد تناول القهوة أصدر النائب العام قراراً بالإفراج عنه" . ولم تكن مثل هذه المعاملة الكريمة قصراً على الأستاذ **حسين أبو الفتح** نفسه بل إننا نرجو القارئ أن يرجع إلى مذكرات **أنور السادات أو حسن عزت أو خالد محى الدين** ليتبين مدى التسامح وإحترام كرامة الإنسان وحرية الرأى فى ذلك العهد وكانت القاعدة هى الإلتزام بالدستور والقانون .

أما ما كان يجرى فى الخفاء فكان على سبيل الإستثناء بعيداً عن أعين العدالة شأن كل الجرائم فى المجتمعات .

ولسنا هنا فى مجال الدفاع عن النظام الملكى أو الملك **فاروق** وإن كنت لا أخفى تشيعى تماماً للنظام نفسه لا لشخص **الملك** ، الا اننى أود أن أسجل أن مصير الملكية فى مصر عقب الحرب العالمية الثانية وظهور الولايات المتحدة على المسرح السياسى العالمى الذى يمثل الإستعمار

الجديد ، كان محتوماً ومقضيا عليه بالعدم، لأن مثل هذا الإستعمار لايستطيع أن يتم دورته إلا بانشاء نظام جديد يرتكز على الديمقراطية العسكرية المبتكرة والمصدرة من الولايات المتحدة ، وهى ديمقراطية الجرعات أو هى الديمقراطية ذات الأنياب أو هى الشئ الذى كانوا يصورونه على أنها الحرية كل الحرية للشعب ولاحرية لأعداء الشعب ، وتحت مثل هذه المسميات تجرعت مصر ما تجرعته من بطش بأهل الرأى ، ومن قيود للوطنية والكلمة الحرة ، ونهب للممتلكات وتخريب للمجتمع والأسر وتدمير للإقتصاد القومى وجهل بشئون الحكم والإدارة حتى انتهت الأمور إلى غايتها بتألق الصهيونية العالمية التى أصبحت تظلل المنطقة كحكم مستقر معترف به ، وكممثل للنظام العالمى الجديد فى المنطقة ولقد كانت ثورة ١٩٥٢ هى حصان طروادة فى منطقة الشرق الأوسط ويتساءل من يرى فى كفالة الولايات المتحدة لمشايخ دول الخليج تناقضاً بين هذا الواقع وبين ما أدعيه من أن السياسة الأمريكية لا تحبذ التعامل مع الملوك كما أنها تبغض النظام الملكى بطبيعتها ولذلك فاننا نؤكد أن بعض هذه النظم العربية هى بحكم تكوينها نظم عسكرية ترسخ الحكم فى يد الحاكم الفرد الذى يستطيع أن يلتزم بتعهداته قبل الولايات المتحدة ، فهم بحكم مواقعهم حراس لحقول البترول أو خفراء آبار الطاقة التى تعتبرها الولايات المتحدة مناطق لنفوذهم واحتكاراتهم وليسوا ملوكاً دستوريين يلتزمون بالقانون والروح الدستورية فى الحكم والإدارة.

ثورة ٢٣ يوليـو

عندما قامت الثورة فى ٢٣يوليو وخرجت بمبادئها المعلنة لم تكن فى رأينا جادة فى أى وقت من الأوقات فى الإلتزام بمبدأ أو عهد قطعته على نفسها منذ البداية.

بل أن مثل هذه الوعود كانت ضربا من المزايدات للإستهلاك الشعبى لفترة زمنية محدودة ريثما تتمكن الثورة من إحكام قبضتها على مقدرات الأمة ورقابها. فدعوى **جمال عبد الناصر** أنه وصحبه أعضاء مجلس قيادة الثورة قد اضطروا إضطرارا إلى الإمساك بزمام الحكم هى من الدعاوى الزائفة والتى يحيط بها الإفك من كل جانب.

يقول جمال عبد الناصر فى كتابه فلسفة الثورة **"أنه كان يتصور قبل ٢٣يوليو " أن الأمة متحفزة متأهبة وأنها لا تنتظر إلا طليعة تقتحم أمامها السور ، فتندفع الأمة وراءها صفوفاً متراصة تزحف زحفاً مقدساً إلى الهدف الكبير"** . بل قد كان الخيال يشطح بى أحيا ناً فيخيل إلى أننى أسمع صليل الصفوف المتراصة ، واسمع هدير الوقع الرهيب لزحفها المنظم إلى الهدف الكبير ، اسمع هذا كله ويبدو فى سمعى من فرط إيمانى به حقيقة مادية ، وليس مجرد تصورات خيال."

"ثم فاجأنى الواقع بعد ٢٣ يوليو.

قامت الطليعة واقتحمت سور الطغيان ، وخلعت الطاغية ووقفت تنتظر وصول الزحف المقدس للصفوف المتراصة المنتظمة إلى الهدف الكبير وطال انتظارها."

"ولقد جاءت جموع ليس لها آخر ... ولكن ماأبعد الحقيقة عن الخيال."

"كانت الجموع التى جاءت أشياعا متفرقة ، وفلولا متناثرة وتعطل الزحف المقدس إلى الهدف الكبير ، وبدت الصورة يومها قاتمة مخيفة تنذر بالخطر.

وساعتها أحسست وقلبى يملؤه الحزن وتقطر منه المرارة ان مهمه الطليعة لم تنته فى هذه الساعة ، وإنما من هذه الساعة بدأت.

كنا فى حاجة إلى النظام ، فلم نجد وراءنا إلا الفوضى.

وكنا فى حاجة إلى الإتحاد ، فلم نجد وراءنا إلا الخلاف.

وكنا فى حاجة إلى العمل ، فلم نجد وراءنا الا الخنوع والتكاسل، ومن هنا وليس من أي شئ آخر ، أخذت الثورة شعارها."

ويعلم الله أنه كان منذ البداية شاخصا بنظره إلى الحكم وإلى السلطة وإن داس فى سعيه إليها أجساد جميع من أتو به أو ساعدوه، منذ بداية الثورة بل منذ أن إختمرت فكرة الإنقلاب فى عقله المضطرب. ومن أجل هذه الرغبة العارمة فى السلطة المنفردة فقد أعلنت الثورة عن أهدافها بعناية كما عنت باختيار الألفاظ المطاطة قدر جهدها حتى تتمكن من التلاعب بها والتحلل منها عند إقتضاء الأمر.

ولقد وجدت الثورة للأسف الشديد من طوعوا الفقه والقانون لخدمة اغراضهم الشريرة.

ولقد حاول الرجل العظيم **الدكتور وحيد رأفت** أستاذ القانون الدستورى إن يستوضح **عبد الناصر** معنى العبارات التى يطلقونها على عواهنها وفى مقال له يقول " **إنها عبارات مطاطة يمكن مطها لتشمل أيه عبارة منها أى إنسان لاترضى الحكومة عن ترشيحه**"(١).

ولنرجع إلى المبدأ الذى اعلنوه فى التزامهم بالديموقراطية ونصه "**إقامة حكم ديموقراطى سليم**" وتحت بند السلامة تتلاعب الثورة ماشاء لها الهوى أن تتلاعب ، لأن السلامة مسألة نسبية ، فدستور ١٩٢٣ لايحقق فى رأيهم السلامة المنشودة بقدر ماتحققه الشرعية الثورية ، رغم أن الشرعية الثورية هى معنى لايخرج عن ماكانوا يطلقون عليه فى غابر الأزمان حق الفتح أو حد السيف.

ولقد كلفت الثورة فى أول عهدها رجل الملك السابق **على باشا ماهر** بتأليف الوزارة ، ثم جعلت منه العوبة تحركها نزواتهم وشطحاتهم، بعد أن تم تكليف **أنور السادات وجمال سالم** من قبل مجلس قياده الثورة بتتبع أعمال الوزارة وتكليفها بالواجبات المناطه بها.

يقول **أنورالسادات** في كتابه " **البحث عن الذات** " أصدر مجلس الثورة أيضا في نفس الوقت قرارا باجراء الإنتخابات العامة في فبراير ١٩٥٣ أي بعد ستة أشهر فقط من قيام الثورة وحينما هاجم **علي ماهر** الأحزاب في بيانه لم يذكر فيه تاريخ الإنتخابات الذي حددناه في مجلس الثورة أي فبراير ١٩٥٣ أوقفنا مطابع الصحف وأصدرنا بيانا من مجلس الثورة يؤكد التزامنا باجراء الإنتخابات الديموقراطية في فبراير ١٩٥٣ وكانت صفعة لرئيس الوزارء(٢).

١- كتاب أبو الفتح ، ص ٤٩٨ .

٢- البحث عن الذات - أنور السادات ، ص ١٦٠ .

ويدعي **أنور السادات** في كتابه أن أقصي أماني الثورة كان أن تطهر الأحزاب نفسها وأن تقوم في مصر حياة ديموقراطية نظيفة وشريفة ، أما الجيش فلا شأن له بالحكم فهو قابع في الخلفية يراقب سير الأمور إلي أن تصل البلاد إلي بر الأمان وتؤصل الحرية والإستقلال.

ومثل هذا الكلام الوارد عن **أنور السادات** هو كذلك محض افتراء ، بل أن تصويره بقيام حياة ديموقراطية نظيفة وشريفة في ظل الأحزاب يضحضها قوله " **بأن الجيش يظل قابعا في الخلفية يراقب سير الأمور** " بمعنى أن يكون قيما على الحكم بل أن مايدعيه فى السطور السابقة يضحضه فى السطور اللاحقة من نفس الصفحة من واقع كتابه حيث يقول: مانصه " **لم تكن الوزارات مطمعنا فنحن لم نعد أنفسنا لها بل ولم نعد برنامج حكم معين ، ولكن رغم هذا كله حدث أننا فى أحد إجتماعاتنا (كذا) أننا قلنا لقد آن الأوان لكى نوزع أنفسنا لمتابعة أعمال الوزارات بمعنى أن يصبح كل واحد منا مسئولا عن وزارة أو مجموعة وزارات لكى نعطى العمل دفعة جديدة.**

ويجد القارئ أن المقطع الأول من كتاب البحث عن الذات رقم ١٦١ تحت عنوان **"الثوار يحكمون"** يناقض تماما المقطع اللاحق والذى اعترف فيه بأنه قد آن الأوان لتوزيع الأسلاب والغنائم على الفاتحين من رجال الثورة كل واحد منهم يلتزم بوزارة أو عدة وزارات. بل إنه يصور هذا الأمر على أنه لم يكن فى النية أو الحسبان ولكنه قد جاء عفو الخاطر فى جلسة من جلسات الأنس فى مجلس الثورة.

ولم يكن هذا ليغضب **على ماهر** وهو الذى عهدناه غضويا فى العهود الملكية فهو يصدع بمايؤمر ، وقد ألقى خطابا طويلا فى الإذاعة يوضح فيه برنامج الحكم وحمل فى خطابه حملة شديدة على الأحزاب السياسية القديمة ، وخصوصا حزب الوفد ، واتهم هذه الأحزاب بالفساد ، وبعد أن أحرق سفنه وخلع نفسه من مكانه الذى كان يحتله طوال حياته خادما للملكية مستندا على الأحزاب ، فقد أصبح يتكلم بلسان سادته الجدد من مجلس قياده الثورة .

ولقد جاء فى كتاب أبو الفتح " **جمال عبد الناصر** " إنه استشعر أن **عبد الناصر** كان قد " أعد ضربه جديدة من مقتضاها إقالة وزارة **على باشا** وتعيين حكومة جديدة يرأسها **محمد نجيب** ، كما أعد قوائم بشخصيات سياسية من أقوى رجالات الأحزاب السياسية ومن بعض أصحاب الملكيات الزراعية الكبيرة وبعض رجال **فاروق** ليعتقلهم فى تلك الليلة بعد منتصف الليل ٦ سبتمبر ١٩٥٢ .

وتمت الخطة وماكانت الثورة لتعنى بالتشاور مع رئيس وزارائها أو حتى اخطاره بمثل هذه الإجراءات، فهو مدنى لاقيمة له فى رأيهم ولايأبه به.

وفى هذه الليلة الليلاء يبلغ **أحمد أبو الفتح** وزير المعارف **شافعى اللبان** الذى حضر لزيارته نصيحه موجهه إلى رئيس الوزراء **على ماهر "بأن هذا هو آخر يوم بل لعلها تكون آخر ساعاته فى الحكم"** ، وعليه أن يستقيل قبل أن يقيله الضباط. ويرجوه **شافعى اللبان** أن يتدخل

لدى صديقه **جمال عبد الناصر** ، إلا أن **أبا الفتح** يعترض بشئ من الإنفعال بأن **على ماهر** قد أحرق مراكبه حينما استسلم للضباط وهاجم الأحزاب .

وفى كتاب الدكتور **منصور فايز** نجد قصه جديرة بالتسجيل هى أيضا وقد كان الطبيب الخاص **لعلى باشا ماهر** بحكم مرضه بقصور فى الشريان التاجى للقلب ، فهو يأنس لطبيبه ويشكو إليه ان الضباط كانوا يفرضون الحلول الفورية للموضوعات المطروحة غير مقيدين بقواعد البروتوكول على حد ماجاء بالكتاب ، والذى كان ثانويا فى ذهن ضباط الثورة وهم الذين لم يمارسوا الحكم وطقوسه ، وإنما تمرسوا فى القيادة الميدانية لقواتهم . ويستطرد **على ماهر** فيقول " إنه كان قد أقام حفلة شاى فى مساء ٢٦ يوليو ١٩٥٢ تكريما لرجال الثورة يوم مغادره الملك للبلاد ولكنه فوجئ بهم يعتذرون وتوجهوا إلى القاهرة مباشرة. وكأنما كانوا يلقنون رئيس وزرائهم درسا مبكراً أرادوا به تحديد الموقف منذ البداية إنه اذا ماكان ثمة تكريم فهم مصدره لاموضعه.

ويقول الدكتور **منصور فايز** فى كتابه " إن الأحداث توالت وإستقر الرأى على أن مهمة **على ماهر** بالنسبة للثورة قد إنتهت ، ولم يعد هناك مبرر لبقائه فى الحكم وتقرر خروجه وتأليف وزارة برئاسة **محمد نجيب** . وكان من الطبيعى كما جاء فى الكتاب أن يخص **على ماهر الرئيس جمال عبد الناصر** بكثير من الإنتقادات فيما بعد ، ويذكر **الدكتور منصور فايز** أحد هذه الإنتقادات ، وهو مايتعلق بموقف **عبد الناصر** من منطقة حلوان التى كان مقتنعا بإنها المستقبل لمجمع صناعى ضخم ، بينما كان

علی ماهر وحاول أن يحافظ على هذه المنطقة كقرية سياحية بحكم موقعها ومياهها المعدنية.

لقد عامل **عبد الناصر علی باشا ماهر** وكأنه خولى فى عزبته ولم يأبه لسنه أو مكانته أو ماضيه السياسى وان اختلف الرأى فيه اختلافاً واسعاً ولعل **علی ماهر** لم يكن يقرؤ من الشعر قديمه ليتمثل بالبيت الذى جاء فيه:

إذا أنت لم تعرف لنفسك قدرهـــا

هوانا بها كانت علي الناس أهـــون

يقولون إن الطريق إلى جهنم مفروش بالنوايا الطيبه ، ولكن طريق **عبد الناصر** إليها لم تكتنفه مثل هذه النوايا منذ البداية ، فقد كان يخطط للإعتلاء على كرسى الفراعنة منفرداً دون أصحابه الذين أتوا به فأتى عليهم واحداً بعد الآخر بوسيلة أو بأخرى . ونرجع لكتاب **خالد محى الدين** **حيث** يقول فيه : (١)

" أدرك **عبد الناصر** إن خطة ٥ مارس لايمكن تنفيذها مع استمرار إحتفاظه بالسلطة وبدأ فى الإلتفاف على هذه الخطة وترتيب الأمر للإتجاه فى مسار مضاد ، وطوال هذه الأيام إنهمك **عبد الناصر** فى تنفيذ خطته فحشد أكبر قدر من ضباط الجيش حوله بالتحديد حشدهم حوله على أساس رفض الديموقراطية ، وإنها ستؤدى للقضاء على الثورة ، وبدأ عن طريق **طعيمه والطحاوى** فى ترتيب إتصالات بقيادات عمال النقل العام

١- خالد محى الدين والآن اتكلم ، ص ٢٩٧ .

لترتيب الأضراب الشهير " وهو إضراب شهير بالفعل لأن **جمال عبد الناصر** باعترافه قد موّل الإضراب ونفذه ولم يخف مثل هذه الأمور على المحيطين به من أنه قد دفع أربعة آلاف جنيه لكى ينظم إضرابا للعمال يهتفون فيه : تسقط الحرية .. يسقط الدستور".

ويروى **البغدادى** فى مذكراته إنه بعد زيارة الملك **سعود** لمصر مباشره وقعت سته انفجارات دفعة واحده فى مدينة القاهرة ، منها انفجاران فى الجامع وانفجاران فى جروبى وآخر فى مخزن الصحافة بمحطة السكة الحديد.

وإنه كان فى زيارة لمنزل **جمال عبد الناصر** بصحبة **كمال الدين حسين** و**حسن إبراهيم** ليناقشوا معه تطورات الأوضاع ، وأبلغهم **عبد الناصر** أنه هو الذى دبر هذه الإنفجارات لإثارة مخاوف الناس من الإندفاع فى طريق الديموقراطية ، والإيحاء بأن الأمن قد يهتز وأن الفوضى ستسود . وبطبيعة الحال ، فأن الكثير من المصريين لايقبلون أن تسود الفوضى بصوره تؤدى إلى وقوع مثل هذه الإنفجارات ".

لم تكن وعود الثورة إذن بديموقراطية سليمه إلا ضرباً من الخداع والتزييف، ودعوى **عبد الناصر** إنه وصحبه من ضباط الثورة إضطروا إضطرارا لتولى السلطه ، بعد أن عجز أن يجد من الأحزاب أو المدنيين من هم مؤهلين للحكم وتولى مثل هذه المسئولية الخطيرة ، وإنه أدرك بكل أسف إن مهمه الثورة لم تنته بعد عند ٢٣ يوليو وإنما من هذه الساعة

فإنها قد بدأت وفقاً لما جاء فى كتابه فلسفه الثورة . فقبوله للحكم على حد ماجاء فى كتابه إنما هو ضرب من التضحية.

ومثل هذه السفسطة التى خرج بها فى كتابه إنما هى فى تعارض كامل وواضح مع الواقع ومع مسار الأحداث ، حيث أنه قد بذل كل مالديه من حيل ورشاوى ومآمرات فى سعيه للسلطه، بل إسنه عبر إليها على أجساد زملائه جميعا.

وهو حينما يلغى الأحزاب ليقيم نظام الحزب الواحد وهو الإتحاد الإشتراكى فهو أول من يعلم بفساد هذا النظام ونفاق أصحابه .

ويروى الدكتور **منصور فايز** فى كتابه "مشوارى مع **عبد الناصر** أنه كان جالسا فى شرفه إستراحه القناطر ، وإذا بشخص يتحدث بصوت عال فى الميكروفون ولما سأل عن من يكون هذا الشخص رد الرئيس بسرعه " **لازم واحد من بتوع الإتحاد الإشتراكى**" ويقول الدكتور إن الصمت قد ساد ولم يعلق أحد من الحاضرين ".

فجمال **عبد الناصر** لا يخفي إحتقاره لأدواته التى يستخدمها فى تسييس حكمه بإسلوبه الرخيص ، ونجد الوزير البريطانى **أنتونى ناتنج** وهو صديقه والذى خرج من وزاره **ايدن** فى حرب ١٩٥٦ لمخالفته لرأى الوزاره البريطانية يصف فى كتابة " ناصر " أن الرئيس كان يعتمد على المصفقين والمتظاهرين الذين يستأجرهم ويصفهم " **بصبية العشرة قروش** " ومنذ عهد **عبد الناصر** حتى الأن ومصر تعيش عهود الحزب الواحد منذ هيئة التحرير عبورا إلى الحزب الوطنى الديموقراطى ، والتحوير الذى يجرى

على الأشكال إنما يجرى ليناسب مختلف العصور وفقا لإستبدال أصحاب السيادة فى البلد من القوى العظمى ، وإن ظل المضمون واحدا لا يتبدل وهو تكريس مقومات الدوله فى سبيل الحكم العسكرى .

وفى مقال **لصلاح سالم** بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٠ مايو ١٩٥٣ حمل فيها حمله شديدة على من أسماهم " **بالباكين والمتباكين على الدستور** " وقد جاء بها ان المريض إذا ما أعطى غذاءً كاملا قبل أن تتم نقاهته فلن تكون النتيجه إلا نكسه "

وفى فقره أخرى فأنه يتساءل "ماذا أفاد الفلاح من سياستكم الماضية ومن برلمانات الماضى ودساتير الماضى الا الوعود من تجار ومحترفى السياسة" .

ألا يجد القارىء أن الحجج التى ساقتها الثورة فى بدايتها هى نفسها ما تردده توابع الثورة من رجال الحزب الوطنى الديموقراطى فى هذه الأونه وبعد شيخوختها من المناده بالديموقراطيه ذات الجرعات التى يقررها الحاكم وفقا لما يراه مناسبا لمدى نضوج الشعب، وكذلك الإحجام عن الإصلاح الدستورى باعتباره مسأله ثانويه لا يجوز إثارتها فى الظروف الصعبه التى تجتازها مصر .وبين هذين التصريحين المتطابقين فى نبذ الحريه والديموقراطية كأساس للحكم نيف وأربعين عاما منذ تصريح **صلاح سالم** حتى يومنا هذا .

واذا ما شاء القارئ أن يتتبع تصريحات الثورة منذ قيامها يجد أنها إختارت ادواتها بعنايه من المشرعين المخدوعين أو المرتزقة ، وأود هنا أن

أشير إن كثيرا من العلماء أو المشرعين الأجلاء ليسوا بالضروره من أهل حرفه السياسه . بل إننا نجد أن **السنهورى باشا** نفسه كان من المتحمسين للإنقلاب فى أول الأمر . وقد مهد له بتخريجاته وباسمه اللامع وبتلاميذه بما مكن الثوره من احكام خداعها للشعب . وكذلك فقد سخرت الثوره عدداً ليس بالقليل من أهل الفكر والعلم والفقه وإن كان لا يرقى أحد منهم إلى مكانة **السنهورى**.

ولم تكن الثوره لتجرؤ فى بدايتها بالإفصاح عن عزمها فى الغاء الدستور بل إنها كانت تزعم أن هذا الدستور أصبح يضيق عن حجم الحريه الجديدة التى أصبح يتطلع إليها الشعب فى عهدهم السعيد.

وأن مصر ليست بصدد إنقلاب عسكرى يستهدف الوصول إلى الحكم بل أن الضباط الأحرار هم من نسيج فريد سوف يعيد للشعب حقه المسلوب باعلاء إرادته وتحرير عقله وإحياء الشعور الوطنى بالإنتماء .

ولذلك فقد أعلن الرئيس **محمد نجيب** عن تكوين لجنه من خمسين عضوا يمثلون مختلف الإتجاهات والأحزاب والطوائف لوضع الدستور الجديد . وشرعت اللجنه فى أعمالها فى ٢١ فبراير ١٩٥٣ وإنتهت من اعداده فى أغسطس ١٩٥٤ ليلقى بالمشروع فى سله المهملات - كما أصدر الرئيس **محمد نجيب** إعلانه الدستورى بوصفه القائد العام للقوات المسلحه فى ١٠ فبراير ١٩٥٣ وهو يتضمن مبادىء عامه لتثبيت قواعد الحكم أثناء فتره الإنتقال وتنظيم الحقوق والواجبات .

ولقد عهد الإعلان باعمال السياده الى قائد الثورة فى مجلس قيادة الثورة كما عهد اليه بحق تعيين الوزراء وعزلهم وهى الحقوق التى كانت مخوله للملك من قبل فى ظل دستور ١٩٢٣ .

– وبذلك انتقلت مصر إلى مايسمى بالشرعية الثورية حيث أن مجلس قيادة الثورة قد أصبح منفرداً بالسلطة العليا فى الدولة وممثلا شرعيا لها.

أما مشروع الدستور الذى أجهد الخمسون أنفسهم فى صياغته وإعداده فما كان **جمال عبد الناصر** ليقبل مافيه من قيود على سلطة الحاكم المطلق ، فلقد كان منذ البداية معترضا على ماوصلت إليه اللجنه من الأخذ بنظام الجمهورية البرلمانية على غرار النظام الفرنسى، بينما كان **عبد الناصر** يميل إلى نظام الجمهورية الرئاسية على غرار النظام الأمريكى . وهو الأمر الذى استدركه فى دستور ١٩٥٦ ثم الدستور المؤقت عام ١٩٦٤، والذى كان يحمل كل بذور الديكتاتورية. كما قام بتشكيل تنظيم شعبى جديد فى أول ١٩٥٣ وهو هيئة التحرير، ووضع ميثاقا جديدا للحزب الجديد وشعاراً جديداً كذلك هو الإتحاد والنظام والعمل . ولقد بلغ التطرف ببعض فقهاء القانون الدستورى فى مصر إلى حد إعتبار أن مثل هذه المواثيق هى أسمى مرتبه من الدساتير المكتوبة ذاتها [١].

ولقد إشتمل الميثاق فى ١٩٥٣ على تعريف مبتكر للسياسة جاء فيه " **إنه للمرة الأولى فى تاريخ البلد تتحول السياسة إلى عمل**". فلقد كانت فكرة العهد الماضى عن السياسة أنها مناورات وحيل ومغامرات ومكاسب ومغانم ، أما فكرة العهد الجديد عن السياسة إنها عمل وإنتاج".

١– كتاب الدكتور وحيد رأفت – فصول من ثورة ٢٣ يوليو ، ص ٩٤ .

" فكل مصرى يعمل وينتج هو سياسى فى نفس الوقت . لأن الإنتاج يزيد الثروة الفردية والثروة القومية فإذا زادت الثروة الفردية إنحلت الكثير من مشاكل الفرد ، واذا زادت الثروة القومية إزداد مركز مصر فى العالم تفوقاً.

وهكذا بكل تبجح إحتكرت الثورة لنفسها سلطة الهيمنة والتفكير السياسى والتخطيط لتترك لجموع الشعب بمثقفيه وفقهائه مجال العمل والإنتاج ، فى خنوع وبغير حق فى مراجعة أو مناقشة.

كما جاء فى البيان إن الهيئه هى طريق العمل المفتوح أمام المصريين جميعا ، بل هى مصر كلها منتظمة فى هيئة متشعبة الجوانب متعددة وجوه النشاط.

ولعل القارئ يدرك أن البيان ساقط لتفاهته وركاكة أسلوبه وعباراته إلا أنه يزخر بالمعانى التى لاتخفى على أحد ، فهى تفصح عن أغراض الطبقة الجديدة وفلسفة زعيمها جمال عبد الناصر فى الحكم منفرداً ، وفى حظر الأحزاب المختلفة الإتجاهات جميعا لتنطوى تحت فكر الثورة ، وبزوغ عهد الحزب الواحد فى مصر .

وإلا فما معنى أن مصر كلها منتظمة فى هيئة واسعه متشعبة الجوانب إن لم يكن هو المعنى السابق الإشارة إليه ، والا فما معنى التعريف الجديد للسياسة الذى تحول فى قاموس الإنقلاب إلى عمل وإنتاج وحسب، إلا أنه منذ اعلان هذا الميثاق فقد أصبحت الأمور السياسية من قبيل الأعمال السيادية التى ليس للشعب الخنوع إن يقترب من ساحتها. وهكذا منذ أن تكونت الهيئة وحلت الأحزاب وخرج الضباط من جحورهم

وثكناتهم إلى كراسى الحكم والهيئات والوزارات والمصانع والشركات بغير فكر مدروس أو إعداد ، حتى أصبح الأمر أمرهم والبلد بلدهم ،وأصبح نشيد الإتحاد والنظام والعمل هو الصوت النشاز الذى لاتسأم الأذاعة من ترديده حيث لانظام ولا إتحاد ولاعمل.

وليتتبع القارئ دساتير الثورة جميعها منذ الإعلان الدستورى الأول لمحمد نجيب ١٩٥٣ وحتى دستور **السادات** عام ١٩٧١ والمعدل سنة ١٩٨٠ ليجد أن هذه الدساتير جميعا قد فصلت لتلائم قدم الحاكم ، وتعبر عن رؤيته الخاصه فى الحكم من تمثيل العمال والفلاحين فى المجالس النيابية وغيرها بما لايقل عن نسبة الخمسين فى المائه ، إلى كيفية انتخاب رئيس الجمهورية إذا ماجاز ان تسمى مثل هذه الطقوس انتخابا. والخروج بكل غريب وشاذ من القوانين سيئة السمعه مثل قوانين العيب والطوارئ والمدعى الإشتراكى وحجب مجلس الشعب عن إقرار ميزانيات الدولة واضحه ومتكاملة بعد إستبعاد مخصصات الرئاسة وميزانية القوات المسلحة وإيرادات قنال السويس والبترول ، وهى واجبه الأساسى الأول وإستصدار تشريع من مجلس الشعب بتفويض رئيس الجمهورية باحتكار وتوريد السلاح إلى الجيش.

ولعل التجاوزات قد أصبحت ظاهرة عالميه ، ولكن الجديد فى مصر أن تصدر التشريعات التى ترسخ يد السلطات فى استغلاق الأمور وحجب الميزانيات والتربح.

إن مثل هذه الدساتير التى لاتحمل من اسمها شيئا تتناقض تناقضاً ذاتيا بمعنى أنها تتعارض مع فروعها من القوانين والنظم الإدارية للدولة

فبينما ينص الدستور على حماية المكاسب الإشتراكية، وان دعمها والحفاظ عليها واجب وطنى، نرى ان الدولة قد عدلت مسارها إلى الإقتصاد الحر ، مع الإبقاء على مواد الدستور المتعارضة على ماهى عليه ، وفى ذلك إقرار بأن الدولة وهى تفرط فى المكاسب إنما تقوم باعمالها فى تناقض مع دستور البلاد بل أن فى بيعها للشركات والمؤسسات التابعة لها تفريط فى الواجبات الوطنية وفقا لنصوص الدستور القائم وبالمخالفة مع النص القائم بترسيخ سيطرة الشعب على كل أدوات الإنتاج . مع استمرارية النصوص الخاصة بانتخاب رئيس الجمهورية ومطها بما يتيح له الترشيح لفترة ثالثة.

وقد رأينا من فنون التخريج فى المجلسين النيابيين ماهو جدير بالتسجيل بعد ان تباروا فى تزيين مبايعة رئيس الجمهورية لفترة ثالثة، وهو ما يناقض ماسبق أن أعلنه الرئيس ذاته عند توليه الرئاسة عقب مصرع الرئيس السابق. وقام جميع الأعضاء من المجلسين يبايعون الرئيس لفترة ثالثة وقد كانت الجلسة مذاعه فى التلفاز ، واذا بأحد الأعضاء ينادى بفترة ثالثة ورابعه أيضا ، وهنا اشتعلت المزايدة حتى قام آخر ينادى بترشيحه مدى الحياة ، وقام بعده كثيرون يأيدون هذه الفكره مما ظننا معه ان باب المزايدات قد أغلق وماذا بعد الحياة!!

واذا بنائب يطلب الكلمة وينادى بمد فترة الرئاسة إلى مدى الحياه على أن يطيل الله فى عمره . ورغم هذه الصورية التى يتخفى وراءها الحكم العسكرى فأن الصحف واجهزه الدعاية بل وكثير من الكتاب لايسأمون من الإشادة بهامش الحرية الكبير الذى تنعم به مصر فى عهدها الأخير مستشهدين بحرية الصحافة الحزبية المعارضة.

ومثل هذا الحوار يتسم بالعور إن لم يكن العمى والصمم أو ليس فى جملة **سعد زغلول** المختصرة مايغنى عن الإطالة فى تعريف الحرية والديموقراطية" **الحق فوق القوة ، والأمة فوق الحكومة**" . فإن الديموقراطية ليست حكم الشعب بالشعب من أجل الشعب وحسب ولكنها إحساس بالكرامة الوطنية وفرض الإراده الشعبية الحره النزيهه على أرض الوطن .

ولعلنا بعد الخوض فى أمور الدستور وهى ثقيلة أستسمح القارئ أن أعود به إلى بلدتنا فى الريف لأنقل له قصه لاتخلو من الطرافة رغم سذاجتها وهى تدور فى مملكة القرود. فقد زعموا أن ملك القرود كان قد مات ، وإجتمعت الرعية ورأت أن لاتستخلف من بعده قرداً إلا أن يكون مهيبا جسورا كالملك الراحل ، وأن يأتى لهم بالأسد مكبلا فى قيوده وان يجئ به مجرورا من ذيله . وسعى قرد عجوز إلى أسد الغابة وروى له ماكان من أمر هؤلاء القرده الأراذل الذين يجمح بهم الخيال. مذكرا إياه إنه خادمه الأمين وسيظل على عهده ما امتد به العمر ، وأنه أحق من غيره بالمنصب الملكى . وماذا يضير الأسد أن يشترك فى حبك مثل هذه التمثلية؟ كأن يأذن لخادمه القرد أن يجره من ذيله بعد أن يكبله بالأصفاد!!! واذن له الملك فربطه ثم أذن له فجره إلى حيث تنتظره الرعيه من القرده. التى هللت وعمها الإبتهاج والفخار وانتخبت القرد ملكا . وعندئذ التفت إليه الأسد وطلب إليه أن يحله من قيوده واذا بالقرد يرمقه بازدراء ويذكره أنه يخاطب الملك الذى انتخب بأغلبية ٩٩٫٩ فى المائة ، وأمر حاشيته أن تقذف بالأسد الأسير بعيدا عن ناظريه وأقبل الليل

والأسد يتجرع مراره الغفله والقيود حتى أقبل عليه كلب، وما أن رآه على هذه الحال حتى أسرع لنجدته وتخليصه من قيوده. وعندما تحرر الأسد هم بالإنطلاق بعيداً . فصاح به الكلب إلى أين يامولاى وبلدنا أحسن من غيرها ، واذا بالأسد يجيبه أنه لم يعد له مكان فى بلد : القرد فيه يربط : والكلب يحل.

وهكذا يسخر الفلاحون من أهل الحل والعقد بعد أن فسد أهل الحل والعقد.

ولعل القارئ مدرك بالفعل أن دعوى الثورة فى إقامة حياة ديمواقرطية سليمة كانت ضربا من الخداع ، فإن فكره الحرية والديموقراطية لاتنسجم وطبيعة التفكير العسكرى حيث تستلزم العسكرية أن يتلقى الضابط الأمر فيصدع له بغير تفكير أو نقاش والا فسد الأمر وإنعدم الضبط والربط.

كما كانت دعوى الإنقلاب فى القضاء على الإقطاع أكذوبه أخرى وإن كانت أكثر تعقيدا فلقد قضت الدولة على طبقة نشطه عامله لها تراثها ومعرفتها بالسوق وبالحرف المختلفة لتقيم طبقة جديدة من الخطافين والإنتهازيين الذين يسيطرون على ثروات الغير ومقدرات الدولة من خلال الثغرات القانونية التى أسفرت عنها التشريعات المتعجله أو التى عمد إليها المشرعون الجدد عن قصد أو عن جهل ، وأصبحت الطبقة الجديدة ذات ثراء عريض فى البنوك الخارجية ، حيث أنهم قد فطنوا للدروس التى تعلموها من أساليب الثورة فى السلب والنهب .

بل أن الدولة حينما قامت بتأميم الممتلكات فإنها لم تدفع المقابل العادل أو انها لم تدفع أى مقابل لأصحابها من المصريين بينما التزمت بدفع كافة التعويضات للأجانب واليهود.

وحينما إدعت الثورة إقامة العدالة الإجتماعية ، فلم تكن لها برامج مدروسة لتحقيق هذا المبدأ المعلن والذى إقتصر على سلب أموال الآخرين وتوزيعها وحينما أعلنت الثورة عن مبدأ إقامة الديموقراطية والقضاء على الإقطاع وسيطرة رأس المال فإنها لم تدرس سياسة ناجحه لتحقيق مثل هذه المبادئ السامية ، وإنما كانت الفكرة التى نادت بها الثورة هى نتاج عقل مضطرب لايعرف من مبادئ العدالة إلا بعض الدروس المبتسره من الماركسية ولعلنا فى هذا المجال نرجع إلى مذكرات **البغدادى** الجزء الثانى حيث يقول[1] : تحت عنوان **جمال** والماركسية مانصه :

" ولقد قال **جمال** فى سياق الحديث أنه متأثر بالفكر الماركسى ولكنه ليس بشيوعى وإنه مؤمن ان اشتراكيتنا لابد أن تتطور إلى ملكية الشعب لأدوات الإنتاج بدلا مما هو وارد فى الميثاق عن سيطرة الشعب على هذه الأدوات وهذه كانت نقطة جديده لم يسبق له أن أشار إليها من قبل . وكنت لاحظت ان **عبد الحكيم قد** ذكرها قبل أن يقولها **جمال** ولكننى لم أعر ذلك اهتماما لعلمي أنه أى **حكيم** يخلط فى تعريف مثل هذه الأمور. ولكن عندما ذكرها **جمال** سألته " **هل هذا يسرى على جميع الوحدات الإنتاجية مهما صغر حجمها** " فأكد هذا وقال " **طالما أن هذه الوحده بها عمال ومهما قل عددهم ، ولأنه فى هذه الحالة سيصبح هناك استغلال**

١- مذكرات البغدادى - الجزء الثانى ، ص ٢٢٩.

الإنسان لأخيه الإنسان " . ولقد ضرب مثلا بخاله الذى توفى ، وكان يكسب على حد قوله ستمائه جنيه فى الشهر الواحد من تشغيل ثلاثه لوريات . وقال" وهو طبعا كان قاعد فى المكتب ويستأجر سواقين ويكسب من عرقهم .

وسأله **كمال** " هل الميكانيكى الذى يملك ورشه صغيره ويعمل عنده اثنين من الصبيان ينطبق عليه نفس الحالة ".

فأجاب **جمال** " فى تصورى أيوه – أو يشاركوه فى الأرباح بنسب متساوية ".

وجاء رد **كمال** مفاجأة له ولنا جميعا على السواء وذلك بقوله **"يبقى فى المشمش"** "ويظهر أن المفاجأة فى قول **كمال** عقدت لسان **جمال** – فنظر إليه باندهاش ولكنه لم يرد عليه".

وفى رأينا إن **جمال عبد الناصر** لم يكن كاذبا أو غير كاذب حينما قال أنه ليس شيوعيا ولكنه يؤمن بالفكر الماركسى ، ولعل ماعبر عنه من أفكار فى السطور السابقه لاتقل تطرفا عن أكثر الشيوعيين جنوحا. وربما كانت أهم الدوافع التى تحرك هذا الفكر المريض وتجتذبه للأفكار الماركسية هو الصراع الطبقى والتصفيه الدموية ووأد الحريات . ولعل المناداة بالعدالة الإجتماعية التى نادى بها **جمال عبد الناصر** ، لا تخرج عن التطبيقات المحرفه أو الصحيحة الماركسيه.

كما يقول **البغدادى** فى كتابه [1] إن **جمال عبد الناصر** قد إنزعج أشد الإنزعاج حينما جاءته الأخبار إن **فؤاد سراج الدين** ذهب للتعزية فوقف له جميع المعزين.

١– مذكرات البغدادى ، جزء ثانى ، ص ١٤٧ .

وكان رد الفعل لديه هو حتمية القضاء على الرجعيين والرأسماليين ونزع سَلاحهم بمصادره ممتلكاتهم . مستشهداً **بلينين** الذى حاول فى بداية الثورة البلشفية ان يتعاون معهم ولكنه كما يستطرد **جمال عبد الناصر** قد فشل واضطر للقضاء عليهم . وكان يعتقد أن **لينين** كان مخطئا ولكنه قد ثبت أخيرا أن لينين كان على صواب ، وكان هو المخطئ ويقترح **جمال** عمل منفستو جديد وثوره جديده إلا أنه يستدرك فيقول " **الحقيقة**" إن هناك نقطه مهمه اثيرت وتحتاج إلى تفكير وهى أن الثورة غالبا ماتقوم لتنزع السلطة من الحاكم ، فكيف نقوم بثورة والسلطة فى يدنا ؟؟؟

ولاشك أن القارئ قد أدرك إن المبادئ المعلنه لم تكن الإ اختراعا أو تنفيسا عن أحقاد دفينه فى صدور أصحابها . وإن ما أسوقه من أدله هو من واقع مذكراتهم المنشوره والتى يستطيع القارئ أن يتبين منها إنها نتاج عقول مضطربه وشخصيات مهتزه ليس لها من الثقافه أو الفكر إلا الحظ الضئيل . وهذا هو قدر مصر.

ونخلص إلى أن المبادئ السته التى أعلنتها الثوره ، أنما كانت من قبيل التلاعب بالشعب وخداعه ، فالثوره ذاتها كانت بالغه الضحاله فى ثقافتها ومثلها وفكرها.

كما أن الألفاظ الضخمة التى كانت تتشدق بها لاتؤدى نفس المعانى المستقره فى المجتمع والمتعارف عليها فهى ثورة لاتمثل مجموعة متناسقة ذات أهداف واحده أو فكراً واحداً ، حتى كأن كل ضابط من مجلس قياده الثوره هو نسيج وحده فى مجموعته ، فمنهم الشيوعى المثالى والآخر الإنتهازى ومنهم من صرح بأنه ماركسى ، وان لم يكن شيوعيا ومنهم

اللبرالى ومنهم الإخوانى والذى كان يوزع كتب **السيد قطب** بينما كانت الثوره فى سبيلها إلى إعدامه شنقا . ومنهم من هو عميل للمخابرات الأمريكية كما سيأتى الذكر فى الصفحات التالية . كما أن آخرين ممن ينتمون إليهم من هو متهم بالعماله للمخابرات الروسية وقد قفز هؤلاء إلى قمة الحكم حتى كان من بينهم من شغل منصب رئاسة الوزاره.ومنهم من كان عميلا للملك فى منظمة الحرس الحديدى، وقد قرأنا مذكرات **البغدادى** واذا بها تنطوى على أبلغ الإنتقادات لشخص **جمال عبد الناصر** وأسلوب حكمه.كما قرأنا **للبغدادى وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم** فى كتابهم **"الصامتون يتكلمون "** ولقد صمتوا حينما كان الكلام واجبا تحتمه المصالح الوطنية العليا ، ثم تكلموا بعد أن أصبح الكلام لا يجدى فسيان كلامهم وصمتهم ، إنما هم يتحسرون على حظ فاتهم ومجد أخطأهم .

كما قرأنا" البحث عن الذات " **للسادات** وهو يحمل كل الضغائن **لعبد الناصر** وعصابته ، كما قرأنا كتابا يحمل أسم الشافعى وآراءه ، وهو يشن حمله شعواء على **السادات** ويتهمه بالعماله بعد أن كان نائبه ثم سرحه بأسلوب غير كريم.

فإذا ماكان عدد مجلس الثورة اثنى عشر شخصاً فأنهم يمثلون أثنى عشر اتجاها ، كما أن المبادئ السته التى أعلنتها الثورة لها فى رأينا اثنى عشر تفسيرا ، وكلها فاسد لأنها صدرت عن المفسدين فى الأرض ، كما أنها تعبر عن الجهل والمتفاقم كلما طال بهم العمر ورحم الله الشاعر **توفيق العوضى أباظه** حينما يقول.

جهـــول يطـلب الجهـــل   مـــن المهـد إلى اللحــد

وبتتبع الأسلوب الناصرى فى الحكم نجد إننا نحمل اللفظ مالايحتمله من معانى فى ظل عقل مضطرب أشد الإضطراب . ولعل أكثر مايميز هذا العهد هو انه كان بعيدا عن الجاده أو الدراسة أو التخطيط السليم بما يحقق الأهداف المنشوده بل إن الإجراءات التى أسفر عنها الواقع إنما كانت من قبيل ردود الأفعال ، ويسعفنا فى هذا المجال خطاب [1] كان **عبد الحيكم عامر** قد أرسله إلى **جمال عبد الناصر** يتحدث فيه عن الديموقراطية ووجوب تحقيقها ، وقد جاء به إن النظام الجمهورى إما ان يكون رئاسيا أو برلمانيا ذلك لأنه لايوجد هناك نظام آخر غير هذا ، وإنه من الواجب الإستفاده من خبرات الدول الأخرى فى التنظيمات السياسية بدلا من ابتكار أنظمة خاصة فريده فى نوعها !!!

وفى رأينا إن المبادئ التى أعلنتها الثورة كانت يافطات على دكان خردوات يبيع من كل صنف وصنف ومنها المحرمات أيضا . وكما سبق أن ذكرت فإن **الحكم الناصرى** كان يتسم بردود الأفعال العنيفه لأحداث لاتستدعى مثل هذا التضخيم.

ولنرجع ثانيه إلى الواقعة التى اوردها **البغدادى** فى مذكراته حينما نما إلى علم **جمال عبد الناصر** إن **فؤاد سراج الدين** حينما ذهب للتعزيه فى وفاة المرحوم **حجازى** وقف له جميع المعزيين ، فقد تملكه الغيظ حتى أنه ذكر **للبغدادى** وآخرين من أعضاء مجلس الثوره " إن الرجعيين والحزبيين قد نشطوا جدا فى هذه الأيام ، وثورتنا ثوره برجوازيه وقد جمدت من سنه ١٩٥٦ ، وانعزلنا وإنغمس كل منا فى الروتين ، وقد آن الأوان أن نحولها إلى ثورة جماهير. ويستطرد ليقول . " **وكما قال لينين لابد من القضاء**

١- مذكرات البغدادي – الجزء الثاني صـ ٢٠٥.

على الرجعيين والرأسماليين ونزع سلاحهم بمصادره ممتلكاتهم" . وهو يزعم ان الناس فى انتظار ثوره فلنقم نحن بها " وهو يقترح **للبغدادى** أن تشكل مجالس ثورية فى كل قرية وفى كل مصنع ثم يعيدالكره مرة أخرى بطرح مثل هذه الأفكار أمام مجموعة من زملائه اعضاء قيادة الثورة بعد أيام من حديثه الأول أى أن مثل هذا التفكير لم يكن تنفيسا وحسب عن غضب وقتى وإنما هى رغبه تتملكه فى نصب المشانق للرجعيين والحزبيين.

كما يستدرك ليقول أن المعنى الذى يفهمه عن قيام الثوره هو مفاجأه الشعب بقاده جدد يستولون على السلطة بالقوه . أى أنهم اساسا بعيدون عن مركز السلطه ثم هم يقومون بالثوره بطريقة أو باخرى للإستيلاء على هذه السلطه.

ولكن **جمال** يحتار فهو ومجموعته هم الذين إستولوا بالفعل على السلطه والسلطه فى أيديهم على حد قوله ، فكيف يتسنى لهم القيام والإعلان عن قيام ثوره جديده وتشكيل مجلس قياده جديده ، وكأنهم يثورون على أنفسهم ويستدرك **جمال عبد الناصر** ليقول إن هذا يتناقض مع مفهوم قيام ثوره ، وماسنفعله هو إفتعال قيامها.

أى أنه يورد الرأى الذى يتحرق شوقا إلى تنفيذه ثم يهدمه لصعوبه سبكه وحبكه على الناس ملتمسا أى أسلوب آخر يمكنـــه من الفتك **بسراج الدين** وامثاله.

اليس مثل هذا الطرح الجديد لمفهوم الثوره والسلطه فى مفهوم الناصرية لايعنى إلا إن الرجل المريض قد سئم الحياة الرتيبه وأنه يفكر فى

القيام بثورة مضاده جديده على ثورته القديمة للتسليه والأثاره ولأشباع نهمه إلى الدماء وإذلال الشعب وقهر إرادته فى التطلع إلى حريته المسلوبه؟

إننى حينما أسوق مثل هذا التخريف وأفسح له مثل هذه المساحه فى كتابنا ، فإننى أعود بالقارئ إلى ماكان يردده المرحوم الدكتور **أنور المفتى** من أن **جمال عبد الناصر** كان يعانى من اضطرابات نفسيه خطيرة تؤثر ولاشك على سلامة أحكامه فى الأمور المصيرية وتعرض مصر إلى أشد الأخطار ، ولطالما سمعت منه شخصيا مثل هذه الآراء وفى كثير من المناسبات . ولعله أيضا كان قد همس بها إلى المحيطين به فقد كان رحمه الله شجاعا فدائيا فى حبه لوطنه.

إما وقد خلصنا من مقدمه الكتاب فى تبيان الظروف الداخلية التى كانت تمر بها مصر قبل الثورة ، وكذلك القوى العظمى الجديده التى كانت تتطلع إلى وراثه الإستعمار القديم فى منطقة الشرق الأوسط والعالم . واختلاف المناهج بينهما ، فقد رأيت ان أعرض لمذكرات الساده الضباط الأحرار وخصوصا رؤساء الجمهورية المتعاقبين **محمد نجيب** فى كتابه **"كلمتى للتاريخ "** ثم **" فلسفه الثورة "** **لجمال عبد الناصر** ثم **" البحث عن الذات "** **للسادات** ، وكل كتاب منها يتعارض فى وقائعه وفكره مع الآخر.

كما أن هذه المذكرات جميعا تختلف اختلافا بينا مع مذكرات الآخرين من ضباط مجلس الثوره ، وخصوصا مذكرات **البغدادى** ، وهى

أفضل ما إطلعت عليه بين هذه المجموعة لأنها لم ترد على سبيل الذكريات والإعتماد على الذاكره ، بل أنها كانت نتاج عقل منظم وقد عنى **البغدادى** بتدوين إحداث مذكراته مرتبه عقب عودته لمنزله فى كل مساء كما جاء بها ، ومانظنه فى هذا الأمر إلا صادقا ، ولذلك فقد رأيت إن أعطى لهذه المذكرات ماتستحقه من إهتمام .

كما رأيت أن أفرد جزء خاصاً لكتاب **خالد محي الدين** والآن أتكلم، ولعله لم يجرؤ علي الكلام إلا بعد أن مات صاحبه وأصبح الكلام مباحاً.

خلا لك الجو فبيضي واصفـري ونقري ماشئت أن تنقري

ومبعث اهتمامي بهذا الكتاب إن **خالدا** يدعي إنه الديموقراطي الحر الوحيد بين أصحابه. وقد رأينا إن نناقش مثل هذه الديموقراطية الغريبه في عالم الديموقراطيات.

كما قد عرضنا لكثير من المراجع الأخري وعلي وجه الخصوص مؤلفات كاتب الوحي الناصري الأستاذ : **حسنين هيكل** ، وكذلك بعض المراجع الأخري الأجنبيه والتي رأيت أن لاأستند إليها حتي لايجد المعترضين علينا من سبيل ، حيث أن مذكرات الساده الضباط الأحرار من أعضاء مجلس الثوره وغيرهم الذين أصيبوا بمرض التأريخ قد قدموا من الأحداث والوقائع مايغني عن اللجوء إلي غيرها في فساد الحكم ، وضلال الرأي ، وخراب الذمه والوقوع في حبائل كل من القوتين العظمتين بتعاقب الأولياء والرؤساء. .

كما قدموا لنا الأدله علي مدي تعطشهم إلي السلطه ، والغدر بأصحاب الرأي من المصريين بل وبأصدقائهم المقربين أيضاً ، وقد خصصت لهذه المذكرات السابق التنويه عنها بابا مستقلا تحت عنوان **"مذكراتهم تنم عليهم"**.

ولنا بعد عرض هذه المذكرات أن نعقب عليها وأن نفصح عن مدي اختلاف ما تعنيه الفاظهم في تعبيرها عن المعاني المستقره والمتعارف عليها سواء في الفقه أو السياسة أو علم الإجتماع أو حتي في مجال الحياة العادية ذاتها.

ثم نخلص بعد ذلك إن شاء الله إلي القوي المحركه لهذه الثوره سواء من الناحية الأيدولوجية أو المادية - ومن هم أباء هذا الإنقلاب الحقيقيون والذين خرجت الأفاعي من أكمامهم :

فمذكراتهم تنم عليهم".

كتاب محمد نجيب "كلمتي للتاريخ"

وأود قبل أن أناقش هذا الكتاب أن أنوه إنني تلقيته هديه من مؤلفه الرئيس الراحل **محمد نجيب** ، ولو كان الأمر غير هذا لتصورت أن آخرين ممن يسمونهم بالثورة المضادة قد وضعوا علي لسان كاتبه هذا المؤلف بما يحتويه من أحداث تسئ لصاحبها بقدر إساءتها لمجلس قيادة الثورة بكل اعضائه من الضباط الأحرار .

فهذا الرجل الساذج الذي كان **أول رئيس للجمهورية** قد عذب وأهين وتعرض للإغتيال من قبل صبيان **جمال عبد الناصر** ، بل أنه قد عومل بما هو في رأينا أشد فحشا من الإغتيال رغم مكانته في قلوب المصريين ، ورغم كونه رئيسا سابقا لجمهورية مصر كما أنه كان من كبار رجال الجيش الذين لهم سجل مشرف في حرب فلسطين وماقبلها .

وقد تعدي عليه بالضرب والإهانه ضباط صغار بل وجنود أيضا ، حيث يعترف محمد نجيب في كتابه بما نصه[1] ، " وكنت الوحيد منهم الذي يعيش في اقامة محدده وكانت الزياره ممنوعه إلا بتصريح وللأقارب فقط ، وكنت أشفق عليهم من الحضور إلي منزل ليست فيه غرفه إستقبال، فلم يكن هناك مكان نجلس فيه إلا في الحديقة **(معتقل المرج بعد إن جرد من الأثاث والفراش)** إذا سمح الجو بذلك أو في غرفه النوم ، وكثيرا ماطالبني البعض بأن أشكو هذه الحالة التى أعيش فيها ولكنني كنت أصر علي الرفض ، فلم يكن معقولا أن أحني جبتهي من أجل أمور أعتبرتها صغيره مهما كانت مؤرقه أو قاسيه.

١- كلمتى للتاريخ - محمد نجيب ، ص ٢٤٥.

وذات يوم بالتحديد يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ سمعت صوت انفجارات متتالية حاولت أن أعرف السبب ، ولكن إجابات البوليس الحربي كانت مبتسره وغامضه".

وفوجئت بعد قليل بحضور قائد ثاني في كتيبه الحراسة الأولي التي أسند إليها حراستي ومعه ثله من ضباط الكتيبه وضباط البوليس الحربي .

قالوا لي أنني سأنتقل إلي الهرم حمايه لي من التعرض لغارات الأعداء ولم يكن أمامي مجال للرفض أو الموافقه . حملتني عربه البوليس الحربي ، واتجهت إلي الجيزه ، ولكنها تجاوزتها إلي مدينة الصف إلي إستراحة صغيره هناك .

كانت الإستراحه في غاية الإهمال والقذاره ولم تكن هذه هي المشكلة... وإنما كانت المشكله في سلوك وتصرف ضباط البوليس الحربي وغيرهم ، وما أحاطوني به من قلق وتوتر وعدم إحترام .

ولم يستقر بنا المقام في الصف ، وإنما سافرنا في اليوم التالي إلي نجع حمادي بالقطار (٧٠٠ كيلو جنوب القاهرة) في ديوان مغلق لم يفتح طول الطريق وعلي بابه حرس من عساكر البوليس الحربي ، ومن عساكر كتيبه الحراسه .

وبعد ٤٨ ساعه قضيتها في إستراحة الري بنجع حمادي فوجئت بحضور ضابطين من ضباط البوليس الحربي هما **جمال القاضي ومحمد عبد الرحمن نصير** لينقلاني إلي جهة أخري ، وحاولت التعرف منهما عن الهدف

من هذه الرحلة الطويلة .. ومن ابتعادي عن أسرتى وأولادي.... ومن ترحيلي من القاهرة في وقت يتعرض فيه الناس لقنابل الأعداء.

وكان الجواب بشعا .... أود الا اكتبه أو أسجله ولكنني بذلك أطمس جانبا من الحقيقية ، والحقيقة أثمن مافي الوجود .. وهي التي تعطي لمعالم الصوره الوانها الطبيعية ... وتبعث النبض في التاريخ.

أمر شديد القسوه أن يكتب الأنسان عن إهانة تعرض لها ولكن روايه الحقيقة قد تمنع تكرار المأساه .

كان الجواب بشعا .. سيل من السباب ، حاولت وقفه بصرخه احتجاج، فإذا بضابط منهما يدفع يده فى صدرى يحاول ضربى.. وهانت عندي الحياه لحظتها ، وقلت فلتنته هنا هذه المأساه وهجمت على الضابط أحاول منعه من الإعتداء ، ولكن ايدى الجنود كانت أسرع الى قيدى بأوامر صارخه مرتجه من الضابط المعتدى أى هوان تعرضت له هذه اللحظه...ألم شعرت به يطعن صدرى كسكين .. بلدى مصر يضرب بالقنابل وأنا اضرب بالأيدى فى قلب الصعيد.. وايدى ضباط صغار لم يحترموا الرتبه الكبيره بل لم يحترموا العمر فقد كانوا فى سن اولادى فعلا.

أى تغيير حدث فى مصر؟

أى انهيار حدث فى تقاليد الجيش؟

جلست عاجزا.. ضاع منى كل شىء حتى الكلمات .. ارتفع الدم فى رأس فشعرت به يغلى و تبدد التفكير.

هانت عندى الحياه وتمنيت الموت.. ولم أكن قادرا على صنع شيء سوى الإضراب عن الطعام."

هذه هى روايته يسجلها فى كتابه وانتقل منها الى روايه **أنور السادات** فى بحثه عن ذاته لأقارن ومن واقع مذكراتهم بين عهد وعهد، وبين تقاليد من الكرامه والاحترام وأخرى هبطت بكرامة الإنسان الى ما دون البهيميه فقد سمعنا أن كثيرا من الحيوانات تتبع قائدها وتعبر عن احترامها له بما تتحدث به الكتب المتخصصه فى هذا المجال ، مثل قطيع الذئاب نفسه.

يتحدث **أنور السادات** فى بحثه عن ذاته عن تفتيش منزله عقب القبض على الجاسوسين الألمانيين والراقصه **حكمت فهمى** فى قضيه العوامه الشهيره.

"وكانت القوه كما يدعى مؤلفه من المصريين والإنجليز قرعوا الباب مره أو مرتين حتى استيقظ وسألوه اين حجرتك يقول " فأشرت الى احدى حجرتين كنت أشغلهما فى بيت أبى " بكوبرى القبه"[1] وكانت حجره نومى ... فتشوها وفى أثناء التفتيش لاحظ سيف اليزل ضابط المخابرات المصري وجود مسدس آخر الى جانب مسدسي العسكرى فما كان منه الا أن تناوله ووضعه فى جيبه ببساطه .... لم أكن أعرفه معرفه خاصه أو يعرفنى ولكن كانت صله أقوى من أية صلة.... وهى الوطنيه المتأججه فى صدر كل مصرى أيا كانت وظيفته... بعد الانتهاء من تفتيش حجرة نومي طلبوا تفتيش الحجره المجاوره وكانت حجره مكتبى ، فقلت لهم ان حريم

١- ارجع إلى كتاب هيكل وروايته عن بيت كوبرى القبه.

الأسرة بهذه الحجرة، وان تقاليدنا تقتضى اخلاءها قبل دخولهم فسمحوا بذلك.

- ودخلت الحجرة.... كان بها جهاز لاسلكى وصفيحة بارود كنا نصنعه فى القرية من خشب شجر الصفصاف والسماد... طلبت من أخى الأكبر **طلعت** أن ياخذ الصفيحة والجهاز ويخفيها فى أى مكان وفعلا اخذها **طلعت** وخرج من الباب الخلفى للبيت حيث دفن الجهاز فى وقود الفرن وتركه والصفيحة فى حراسة الكلب الطيب الذى غطى بنباحه المستمر جميع تحركات **طلعت**.

- فى حجرة المكتب لم يجدوا غير بعض الكتب فاخذوها... وطلبوا منى أن أذهب معهم... واخذونى الي سجن الاجانب ... رفضت دخوله فالقانون يقضى بأن حبس أى ضابط فى الجيش المصرى لايكون الا فى ميس الضباط حيث يقوم على حراسته ضابط مثله.... هكذا قلت لهم،وخضعوا لسيادة القانون... واقترحوا أن اقضى بقية ليلتى ضيفا على البوليس فى مكاتب الفرقة (ب) بجاردن سيتى الى أن ترسل قيادة الجيش فى طلبى فى الصباح.[1].

- ولنا هنا تعليق بسيط للمقارنة بين كيفيه اعتقال اللواء **محمد نجيب** رئيس الجمهورية والتعدى عليه بالضرب من الجنود والضباط. وإهانته باقذع الشتائم كما جاء بكتابه" **كلمتى للتاريخ**" فى عهد الثورة وبالتحديد بتاريخ ٢٩ اكتوبر سنه ١٩٥٦ ص ٢٤٥ من الكتاب.

١- البحث عن الذات - أنور السادات .

ثم نسرح ببصرنا ألى العهد البائد عهد ما قبل الثوره فى كيفية معاملة الضابط الشاب الصغير الحديث التخرج فى قضية التخابر مع دوةه أجنبية وهو **انور السادات** ، وهى فى رأينا من قبيل الخيانة العظمى مهما كانت بواعثها ومبرراتها، مع الأخذ في الحسبان إن **السادات** نفسه وفى كتابه هو يعرِّض فيما بعد بالدكتاتورية والنازية والشيوعية أشد التعريض. ولنا هنا أن نتأمل ماذا يكون عليه الأمر لو انفرد كل ضابط برأى وكل مجموعة بسياسة تخالف سياسة بلدها- فقد رأينا فى مجموعته من هم شيوعيون ، وأخوان مسلمون ، ونازيون وفوضويون يتصلون باعداء البلد،يحددون لهم مراكز القوات المصرية والإنجليزية والمواقع الحصينة فى الصحراء.

ومع ذلك لقد حظى الضابط المتآمر على بلده بهذه الرعاية ثم نجده بعد الانتهاء من محاكمته والإستغناء عن خدماته معتقلا فى سجن الأجانب وما أدراك ما سجن الأجانب يقول سيادته فى كتابه : **"كان سجن الأجانب يختلف عن بقية السجون ... ففى كل زنزانه سرير وبطانيه وكرسى وطاولة صغيرة حتى التدخين كان مسموحا به ... الخ ويستطرد فيقول ولما وجدت الأمور بهذا الشكل تشجعت وطلبت الجرائد فاحضروها لى ومعها بعض الكتب"** وفى موضع آخر يقول **"وذات صباح فوجئت بالسجان يفتح الباب ويحمل بعض الطعام من البيت عندنا ومعه روب شتوى ممتاز... فردت الروب أمامى على السرير ووقفت انظر اليه وألمسه... كان شيئا جميلا للغاية كالأشياء التى نراها فى السينما"** ويمضى فى السرد فاذا بهذا المعتقل اذا ما صدقت روايته وكأنه فندق خمس نجوم. ولمن؟ لضابط متآمر على نظام بلده.

ونعود ثانيا الى كتاب اللواء **محمد نجيب** أول رئيس للجمهورية فى مصر حينما انتهى به المطاف إلى بيت فى **طما** قاده الضباط اليه، عرف سيادته فيما بعد أنه بيت محامى فى طما وانه زوج شقيقة **احمد انور** وعديل **حسين عرفه**. ويقول ما نصه ص ٢٤٧ من الكتاب "**وبقيت وحدى فى إحدى الغرف ٥٩ يوماً كامله لا تدخل الشمس من النوافذ، ولا يصرح لى بالخروج منها، وعند النوم يشاركنى فيها ضابط وصول وشاويش .... حتى حرية النوم وحدى فقدتها**" .

- ونتحول الى مذكرات أخرى والآن أتكلم **لخالد محى الدين** الذى نفوه المسكين الى جنيف بمرتبه وبدل سفر . ثم أنعموا عليه بعد ذلك حينما احالوه الى المعاش برتبة **اميرالاى** متخطيا بذلك رتبته بأربع رتب حتى تبقى حصيلة دخله كاملة لا تمس رغم أنه شيوعى خرج على نظام بلده فى الحالتين سواء قبل الثورة أو بعدها- وعلى إتصال **بكوريل** الزعيم الصهيونى والأب الروحى للشيوعية فى مصر بل إنه كما جاء فى كتابه "**والآن اتكلم**" وليته ما تكلم انه كان ينفذ تعليمات **كوريل** او ان شئت أن تكون رفيقا به فانه كان يستمع لنصائحه ولنا فى هذا الشأن عودة حينما نناقش الذى هو الآن يتكلم.

لا أستطيع أن أتابع كتاب الرئيس **نجيب** دون ان أرتد بذاكرتى الى روايات الآخرين ، وقبل ان اترك هذا الفاصل من كتابه أرجع إلى كتيب آخر عنوانه "**الصامتون يتكلمون**" وما نظنهم قد تكلموا إلا بعد أن مات صاحبهم وأصبح الكلام مباحا ورخيصا لايجدى وإلا فكيف نصف رواية **البغدادى** عن استقالة **نجيب** ص ١٨ حيث يقول" وجلسنا نبحث فى المشكلة

كل منا يقترح .. والوحيد الذى لا يتكلم **عبد الناصر** كانت استقالة **نجيب** واعلانها قد تؤدى الى ثورة داخل البلد نتيجة حب الناس المتزايدة له.... وعدم قبولها هو رضوخ لتصرفاته... ورأى البعض إقالته واعلان ذلك للناس وأسبابه...ورأى البعض أن يترك رئاسة الوزارة **لجمال عبد الناصر**... ووافقنا على هذا الرأى بالاغلبيه واعترض اثنين فقط هما **جمال سالم وحسين الشافعى**.

وتركنا **عبد الناصر** نناقش ثم قال بصوت هادىء - النهارده ايه؟ واجبنا كلنا ٢٣ فبراير (١٩٥٤) فقال بنفس الصوت الهادىء يوم ٢٣ مارس مش حيبقى فيه **نجيب** وسألناه: ازاى ؟

فأجاب بهدوء " **نخلص منه**"... ووجدت نفسى أبكى واصرخ ازاى واحد منا نخلص منه.... واجاب **عبد الناصر** بنفس هدوئه : لانه اشد إجراما على الثورة من اعدائها ... انه خان مبادئها.

وتساءل **جمال سالم**: لو اكتشف فى المستقبل ان المجلس رسم خطة التخلص من **نجيب** إيه حيكون مصير الثورة من سيثق فى مبادئها.

وقال **صلاح سالم** : مش ممكن اوافق على كده.... إن إبعاد **محمد نجيب** معناه ان الإتحاد مع السودان يضيع إلى الابد .... فالسودانيون ينظرون إلى **نجيب** على انه واحد منهم(١).

وقلت وأنا لا أزال أبكى: إن هناك إحتمال واحد فى المليون تنكشف الحقيقة وعندها ستنتهى الثورة وتنهار مبادؤها.

١- الصامتون يتكلمون ، ص ١٨ .

وإذا ما أردنا أن نناقش اقوال **البغدادي** وهي ذات مغزى محدد لأنه كما ذكر في كتابه إنه كان يدون حصيلة كل يوم في كتابه نقول انه أحد افراد عصابة بالغة الهوان: ضابط لايملك الا البكاء وكأنه يجهل معنى الرجولة والفداء ... كل ما يخافه هو مغبة إن تكتشف الجريمة ولا شأن له بعد ذلك بمخافة الله او محاسبة الضمير او التمسك : بالحدود الدنيا لمبادىء الأخلاق حتى لمن لا يعترفون بالواحد الأحد الذي يعصم دماء عباده جل وعلا.

ضابط لايملك إلا البكاء والعويل ازاء مثل هذه المواقف حتى يحار المرء ماذا تركوا للنساء اللواتي لايملكن من إمر انفسهن شيئا ، هكذا يتكلم الصامتون اللذين صمتوا دهرا ثم نطقوا كفرا وربما يقول قائل ان حديث **عبد الناصر** عن اغتيال الرئيس **نجيب** ربما كان تنفيسا عن ضيقه بحيث لا يتعدى حدود الكلام المرسل، الإ إننا حينما نعود لكتاب **محمد نجيب** . نجد أن المؤامرة الناصرية كانت في طريقها للنفاذ حيث يقول[1] في الساعة الثالثة بعد منتصف ليلة ٢٦ فبراير فوجئت بطارق على الباب .. (أي بعد الحديث سابق الذكر بليال ثلاث فقط)... كان **خالد محي الدين** ومعه ثمانية ضباط من سلاح الفرسان حضروا ليبلغوني أن مجلس الثورة قرر إعادتي لرئاسة الجمهورية وتعيين **خالد محي الدين** رئيسا للوزراء .... ثم تمضي المذكرة إلى أن يقول " وما كاد **خالد محي الدين** يغادر منزلي وأتهيأ للنوم من جديد ، حتى فوجئت بطارق آخر... اليوزباشي **كمال رفعت** ومعه اليوزباشي **داود عويس** يطلبان مني أن البس لأخرج معهما وتساءلت عن السبب فقالا لي إن قرارات مجلس الثورة قد

١- كلمتي للتاريخ - محمد نجيب ، ص ١٩٢.

الغيت ... واستنكرت ذلك راويا لهما زيارة **خالد محى الدين** ، ولكنهما اصرا على موقفيهما ورفضا السماح لى بالإتصال التليفونى تحت تهديد السلاح.

وخرجت معهما وتعمدت أن أقف عند باب المنزل ليشعر الجنود بانني قد وضعت في الإعتقال ولكنهما دفعاني إلى العربة التى اسرعت بى الى مبنى سلاح المدفعية بالماظة حيث وضعت فى غرفة لاتدخلها الشمس فى يوم كان شديد البرودة بعد ان رفضا جلوسى فى الشمس فى حديقة المبنى.

وحاولت التعرف على ما يدور حولى ، ولكنى قوبلت بصمت مريب وإستمر ذلك حتى الظهر إلى ان حضر اليوزباشى **حسن التهامى** ومعه خمسة من الضباط وابلغنى ان **خالد محى الدين** كان يدبر انقلابا شيوعيا واننى شاركته فى ذلك..وضحكت من الحديث ساخر وموجها له القول بان تصرفكم نحوى الآن يخرج عن حدود الإلتزام بمبادئ الثورة وباهداف الشعب... ولكن المناقشة معه كانت عبثا فهو ضيق الافق يردد الفاظا غير ذات مدلول.

وخرجوا معى الى عربة جيب بدعوى أننا سنذهب الى منزلى وتجمهر عساكر المدفعية عندما لمحونى وخشى **حسن التهامى** من مغبه هذا التجمهر، فاسرعوا بى فى اتجاه الصحراء ، فقلت لهم **" اذا كنتم تريدون ان تغتالونى فأنا لا أخاف الموت.... وقد عشت حياتى شجاعا وسأموت الآن شجاعا .**

ولكن العربة اتجهت بعد ذلك الى ضاحية مصر الجديدة ومنها إلى منزلى ، حيث حضر الى بعد ذلك **شمس بدران** ، وابلغنى ان مجلس القيادة قرر عدم قبول الإستقالة وعودتى رئيسا للجمهوريه"

انتهى الحديث

ولنا هنا ان نتساءل كيف قبل **نجيب** أن يعود لرئاسة الجمهورية رئيسا صوريا وهو فى الحقيقة رهينة فى أيدى الإنقلابيين **جمال عبد الناصر** وزمرته.

- أعود بذاكرتى إلى خطبة **عبد العزيز باشا فهمى** الشهيرة فى ذكرى تأسيس حزب الأحرار الدستوريين حينما هاجم **عبد العزيز باشا فهمى الملك فؤاد ونشأت باشا ويحيى باشا إبراهيم** حيث يقول أن **الملك** يأمر **يحيى باشا** أن يكون رئيس حزب فيكون رئيس حزب أو بعبارة اخرى **"شالوه فانشال وحطوه فإنحط "** وهكذا كان **نجيب** شالوه فأنشال وحطوه فانحط.

وقد علمت ان **إبراهيم باشا عبد الهادى** نصح الرئيس **نجيب** فى هذه الاونة ان يبادر بحسم أموره أو إنه مقبل على نهاية رئاسته ، خاصة انه قد عاد للرئاسة بالإرادة الشعبية الجارفة ورغم أنف المتآمرين. وكانت رسالة الباشا عبر أحد أطباء المعتقل الذى سبق ان ائتمنه الرئيس **نجيب** على رسالة منه الى إبراهيم باشا يطمئنه أنه يقف وراءه وإنه لن يصدق على حكم الإعدام الذى أصدره مجلس الثورة.

– ورغم النصيحة فقد خرج اللواء **نجيب** يحى جماهير الشعب واضعا يده فى يد **جمال عبد الناصر** معلنا إنه قبل العدول عن الإستقالة وانه غفر لمن اساءوا إليه – وكأنه خلاف عائلى مدعيا أن ذلك من أجل الحرية والديموقراطية. ثم تشاء الظروف أن يتلاقى الرجلان بمنزل **النقراشى باشا** الذى كنت مقيما فيه وقد قدما للتعزية فى وفاة السيده الجليله **حرم النقراشى باشا**.

ويقبل الرئيس السابق محمد نجيب معانقا إبراهيم باشا بمودة غامرة ولعله كان لقاءاً رتبته الظروف بعد انقطاع دام ربع قرن من الزمان وما أن جلس حتى قال لقد خشيت أن أعمل بنصيحتكم مخافة أن ينتهز الإنجليز الفرصة للتدخل – قال هذا وكأن النصيحة قد وصلته بالامس أو أمس الاول وإذا بإبراهيم باشا يلوح بيده متمتما ياشيخ .... ياشيخ . رحم الله فتى ثوره ١٩١٩ وخطيبها وعظيمها.

قضيـــه الديمـقراطيـــه

حديث الأفاعى يطول ولكننا بصدد قضية استعصت على قضاتها...
قضية ثورة سنة ١٩٥٢ التى مازالت مستمرة حتى الآن لإثنين واربعين عاما متصله .. فالحكومة حكومة الثورة والدولة دولتهم.

وفى هذا المستنقع الآسن أغمس قلمى لعلى أتعرف على ما تخبؤه هذه المياه الراكدة. ونعود[1] إلى مذكرات الرئيس **نجيب** حيث يقول " **ولكن يبدو أن قدرة العسكريين على استيعاب المعانى السامية للديموقراطية امر شديد الصعوبة نتيجة لطبيعة حياتهم داخل الجيش حيث تنفذ الأوامر بلا تردد ولا مجال للشورى وتبادل الرأى".**

" **مثل هذه الحياه قد تكون طبيعية فى الجيش حيث الإنضباط اساس للقتال ... ولكن السياسة أمر يختلف عن ذلك تماما فهى يجب ان تكون تفاعلا حيا وحرا الآراء الجماهير ومعتقداتها".**

" وكل أعضاء المجلس أسهموا بدرجات متفاوتة فى خلق شخصيه الحاكم الفرد الذى تتركز فيه السلطة ثم تتشكل بعد ذلك تبعا لمزاجه وهواه وهؤلاء الذين اسهموا فى ذلك دارت عليهم الدوائر، وخرجوا من دائرة الضوء والسلطة الى الظل والوحدة ... البعض منهم مستقيلا ، والبعض منتحرا ولست من الشامتين . ولكنى اعتقد إنه لابد ان نخرج من الحقيقة بالخبرة والموعظة. تحويل مصر، أكبر الدول العربية وقلبها النابض إلى

١- كلمتى للتاريخ - محمد نجيب ، ص ٢٥٠ .

ضيعة يتحكم فيها واحد مهما سمت غاياته وعظمت قدراته وتعددت طاقاته هو أمر لابد وان ينتهى بكارثة".

"وعندما تسلب ارادة الإنسان، ويصادر رأيه ويحجر على حريته يتحول إلى كيان سلبى لا يقدم لمجتمعه ما يفيد وإنما يفكر فى الهروب والانطلاق. والهجرة من مصر اصبحت مع الأسف طابع المرحلة.

بعد أن كان المصرى يضرب بجذوره فى وادى النيل كما يضرب النخيل ويرتفع ... أصبح مثل النبت الصغير تذروه الرياح وتحمله معها إلى حيث يسير.

انتهى النص.

وان كان لنا هنا من تعليق - فإن ما اورده **الرئيس السابق** فى السطور السابقة هو تعبير جيد يصور مدى بعد العقلية العسكرية عن الفكر الديموقراطى والسلوك الديموقراطى. ومع الاسف فإن **محمد نجيب** الذى يدعى الديموقراطية وينعى على الجيش بعده عن الديموقراطية نجده مسئولا عن كثير من جرائم الثورة التى إرتكبت فى فترة رئاسته كما سيتضح للقارئ. إلا إننى رأيت أولا أن انقل بعض السطور عن كبار أعضاء مجلس الثورة لتاكيد نفس المعنى ولعل خطاب **كمال الدين حسين** الى المشير **عبد الحكيم** يقدم لنا صورة لما يرونه هم انفسهم فى انقلابهم ولقد اجتزأت من الخطاب فقرة جاءت تحت بند ثانيا من الخطاب[1] توضح لنا

١- الصامتون يتكلمون ، ٩٠ .

رأيه بعدما ضاعت الاحلام الوردية واتضح الواقع بصورته القاتمة يقول :
"إنه وخاصه بعد تجربتنا الغير موفقة فى موضوع الحرية فانا لا اؤمن إطلاقا بان اى نوع من الإنقلاب او التآمر يمكن ان يؤدى الى الحرية بل سيؤدى الى دكتاتورية أشد قطعا ، فإذا أرتكب باسم الدين كانت أدهى وأمر".

ونعود إلى مذكرات **البغدادى** الجزء الثانى ص ٢٩٠ تحت عنوان **"تحطيم الالهة"** لنجد صرخة لحالم وقد إستيقظ فجأة عند هزيمة سنة ١٩٦٧ .
فيقول ما نصه " اننا نشعر وكاننا فى حلم . كابوس رهيب. هل يدمر سلاحنا الجوى فى يوم وتدمر قواتنا الارضية فى يوم واحد آخر. هل هذه القوة الضخمة لاتصمد أكثر من ٣٦ ساعة.

وأخذنا نعود بذكرياتنا الى التصرفات فى الجيش ، وأسلوب الحكم ، وهذه هى نهاية كل نظام مثل هذا النظام - ومقامره جمال عبد الناصر بمستقبل أمه باكملها فى سبيل مجده الشخصى. ،كنا نعرف من قبل أنه يقامر وكنا نندهش من هذا التصرف . وهو كان قد قدر أنه سيحقق نصرا يرفعه الى السماء دون ان يخسر شيئا - فجاءت النهاية - نهاية نظامه ، وخزى وعار على الأمة - ربما يكون خيرا من يدرى"

"ربما أراد الله انقاذ هذه الأمة من استعباد جمال لها ومن تاليههم له. وإستمرار هذه الصورة كان سيؤدى بها الى اسوأ مصير. فربما اراد الله بهذه الأمة ان تصحو من غفوتها وتحطم الآلهة وتصحو لنفسها ، وأن لاتدع شخصا آخر يسيطر عليها كما سيطر جمال من يدرى (انتهى النص).

وأود هنا أن اسائل السادة الثوار من الذى صنع الصنم ، ومن تآمر بليل سواء بالطريق المباشر أو بالتحالف مع القتلة والافاكين. لقد خرجت الثورة بمفاهيم غريبة وبقواميس ذات الفاظ فخمة ليس لها من معنى مدروس أو مفهوم ، وصكت شعارات ما زالت تتردد حتى الآن.

فالثورة مازالت باقية والدكتاتورية مازالت مخيمة كالسحاب الأسود فوق البلاد– بقوة السلاح ومباركة المنافقين والآفاقين.

كانت الثورة تصف قدامى رجال الدولة والحكم بإنهم سياسيون محترفون عل سبيل التهوين من شأنهم ، وكأنما كتب على هذه الأمة ان لايحكمها إلا الهواة والجهلاء باصول الحكم وعلوم السياسة وفنونها وأساليبها.

يقول سيادة النقيب **البغدادى** إنهم أى مجموعة الانقلابيين كانوا يعلمون من قبل أن **جمال عبد الناصر** كان يقامر فما معنى خطابه إلى رئيسه المبجل **جمال عبد الناصر** فى ٢٦ مايو سنة ١٩٦٧ أى قبل النكسة بأيام قليله يسجل فيه تشرفه أن يجد له **الرئيس** مكانا فى صفوف جنوده المقاتلين على الخطوط الأمامية حتى ينال شرف الجهاد عن الوطن – بل إنه ابتدأ الخطاب بتمجيد قرار الدكتاتور فى استرداد حقوق السيادة على قطعة عزيزة من أرض الوطن هى **شرم الشيخ** ، ثم يعرض **البغدادى** مشروع خطابه على زميليه **كمال الدين حسين حسن إبراهيم** فيستبدلونه بخطاب آخر فى ٢٧ يونيو قد يكون أقل تبذلا ، ويحدد لهم الزعيم موعدا فيسعون

إليه، وحينما يلاحظ **عبد الناصر** إن شعر **البغدادى** قد زاد بياضاً يرد بقوله "**عجزنا** " فينفى **عبد الناصر** إنه قد شاخ فيتملقه **البغدادى** بقوله "**اصلك مش خرع زى ايدن**" ويتبسط معهم جمال قائلا " البلد بلدكم والثوره ثورتكم، والواحد بيتخانق مع أخوه ومراته واحنا برضه بشر- يمكن كل واحد إختار له طريق يمشى فيه - ولكن البلد بلدنا كلنا - والثورة ثورتنا - وعلى العموم الموقف كويس ومطمئن " ثم يقول ان الملك **حسين** متلهف على زيارتنا والح على السفير حتى كاد يقبل....." ولما احسوا بتجاهل **ناصر** لهم حينما وقف شأن الملوك - وكإنه يشعرهم بإنتهاء المقابلة. يعود **حسن ابراهيم** ليكرر أثناء انصراف الفرسان الثلاثه " احنا فى الخدمة ، ونحب نشارك فى المعركة" ولست أدرى من أى كلية تخرج هؤلاء الثلاثة أمن الكلية الحربية الملكية أم من مدرسة فندقية مادام شعارهم " **نحن فى الخدمة**".

ولنا أيضا أن نتساءل ماداموا بالشجاعة التى يدعونها وهم يطلبون أن يكونوا جنودا فى الصفوف الأولى - أما كان الأجدر بهم ان يحذروه من مغبه هذه المغامرة الغير محسوبة بل وأن يتصدوا له اذا ما تطلبت ذلك مصلحة الوطن.

ثم نرجع لكتاب الرئيس **محمد نجيب** حيث يقرر : "**أن قدرة العسكريين على إستيعاب المعانى السامية للديموقراطية أمر شديد الصعوبة نتيجة لطبيعة حياتهم داخل الجيش ، حيث تنفذ الأوامر بلا تردد ، ولا مجال للشورى وتبادل الرأى**". كما يقول " إن طبيعة الحياة فى الجيش

هى الإنضباط وكلامه يغنى أى معقب عن الإستطراد ولم يأتى المغفور له **اللواء نجيب** بجديد - إلا اننا نتساءل وفيما إذن كانت الثورة وفيما إذن كان رئاسته لها واشتراكه فى هذه المؤامرة الكبرى أم أنه كان يظن مع الشاعر:

وإنى وإن كنت الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل

لقد ارتكبت أشد الجرائم والكبائر فى عهده **السعيد** ، فالثورة منذ بدايتها خليط من المهاويس أمثال **عزيز باشا المصرى وعبد العزيز على** والجناح المتطرف من الحزب الوطنى القديم ، ومن الإخوان المسلمين بعد أن إتضح لكل ذى عينين جرائمهم السياسية وغير السياسية.

كما وضعوا أيديهم فى أيدى الشيوعيين ، وكانت الشيوعية المصرية فى ذلك الحين نبتا يهودياً صهيونيا برئاسة **كوريل** ،(الأب الروحى للشيوعية فى مصر) ولقد تعاونت الثورة مع كل نوعيات المخربين فى مصر بل إن الثورة ذاتها كانت من نبت هذه العصابات.

وتحت زعامة الرئيس **نجيب** كانت بدايات التلاعب بمقدرات البلد ومن واقع كتابه " **كلمتى للتاريخ**" أسوق بعض الأمثلة ، فقد شهد عهده **السعيد** تسلل السادة الضباط إلى الوظائف المدنية الى أن أصبح هذا التسلل إقتحاما وقحا.

وكما يقول **محمد نجيب** فى كتابه إن تعيين **رشاد مهنا** فى منصب كبير خارج الجيش كان فاتحة لتعيين ١٨ من اللواءات وكبار الضباط

ومنهم شقيقه **على نجيب** سفيراً بسوريا بدعوى الرغبة فى تحسين العلاقات بين البلدين وكذلك نزولا على رغبه **الشيشكلى** نفسه، ثم اتخذ مجلس القيادة برئاسته قرارا بتكليف أعضائه مباشرة الإشراف على الوزارات المختلفة ، فأصبح فى كل وزارة مندوب قيادة.

ويقول **اللواء الرئيس** إنه قد أعترض ، ولكنه رضخ لحكم الأغلبية، وهذا الرضوخ لحكم الاغلبية يفسره سيادته بأنه هو الإسلوب الديموقراطى فى الحكم. وحتى لا أتهم بمط المعانى او تخريجها فإنى أنقل من كتابه نص ما يعتقده كأصول للديموقراطية فيقول **" كنا فى هذه الفترة نمارس عملنا ممارسة ديموقراطية ، لا يستبد أحد برأيه ولا يستطيع أن ينفرد بإرادته... وكانت الاغلبية هى المعيار الوحيد فى ترجيح كفة على أخرى وكنت أنا صاحب الرأى فى اتباع هذه القاعدة الديموقراطية"**

وهكذا تحت ما يعتقده **سيادة اللواء** إنه الديموقراطية. عصفوا بالدستور عصفا ، وبعد أن وعدوا الشعب بدستور جديد سوفوا وأخلفوا ثم اصطنعوا من الدساتير ما يعجز عنه شيطان **ميكافيلى** نفسه ترسيخا للدكتاتورية العسكرية الى الأبد ، كما اتخذوا بالإغلبية الديموقراطية كل ما تأباه الديموقراطية من تصرفات كحل الأحزاب السياسية فى ١٧ يناير سنه ١٩٥٣ كما اجتهد **سليمان حافظ** فى إعداد كافة التشريعات توطيدا لدكتاتورية الثورة اذا أعطى السلطة حق اقالة الموظفين عن غير الطريق التأديبى ، وحرمان رجال القضاء المعزولين من معاشهم أو مكافآتهم ، وإحالة جرائم الإصلاح الزراعى للمحاكم العسكرية.

كما إعتقل **الزعماء السياسيين** ، وتكونت محاكم الغدر ثم تكونت محاكم الثورة سنة ١٩٥٣ التى تحاكم مناوئى الثورة أو من يظن بهم هذه الظنون ليصبحوا هم الخصم والحكم ولتصفية كل صاحب رأى حر وشريف، **وكان على رأس هذه المحكمة عبد اللطيف البغدادى، وانور السادات وحسن ابراهيم كعضوين.**

كل هذه الإجراءات التعسفية صدرت بالإسلوب الديموقراطى وفقا لدعوى اللواء **نجيب** ، بل أن مجلس الثورة قد إستهان برئيس الجمهورية ذاته كل الإستهانة بنشر قرارات برفع الجنسيه عن آخرين نشرت فى الوقائع الرسميه على أنها قرارات جمهورية دون أن يعلم عنها الرئيس شيئا ، كما أضافوا اسم **النحاس** إلى كشف الزعماء السياسيين المطلوب اعتقالهم بعد توقيع **نجيب** وكان الكشف خاليا من اسم **النحاس** لان أغلبية مجلس الثورة سبق لها أن اعترضت على اعتقال **النحاس باشا**.(١)

ويدعى **نجيب** انه قد غضب غضبا شديدا حيث أنه يعتبر أن مثل هذه الإضافة هى من قبيل التزوير ، ولقد كانت فعلا من قبيل التزوير المادى كما انها زورت أيضا إراده مجلس الثورة بل ورئيس الجمهورية نفسه — الا أن **جمال** قد احتج بأن الأفراج عن **النحاس** يزيد الموقف بلبلة – وهكذا ابتلع الرئيس **نجيب** إعتراضه وكرامته المرة تلو الاخرى حتى أدرك **جمال عبد الناصر** ما أصاب رئيسه من ترهل وعشق للمنصب فاصبح يناور من هذا المنطلق. ومن ناحية أخرى نجد **نجيب** يسجل فى كتابه " **كلمتى للتاريخ** " **أن كلمة الدستور أصبحت لبعض أعضاء المجلس كشكة الدبوس**

١- تحديد إقامه بمنزله .

تثير غضبهم وثورتهم وتصور الأمور لهم كأنها نهايه لحكمهم" بينما ينسب لنفسه ولعه بالدستور الذى كان يرى فيه طوق النجاة كما يسجل انه كان دائما ضد الدكتاتورية العسكرية، وكانه هو نفسه كان بعيدا عن الصلف والدكتاتورية العسكرية التى يتنكر لها، إلا أن **ناصر** كان قد ادرك ما يعترى قلب الرجل البسيط من عشق لكرسى الرئاسة الذى بذل فى سبيل الإحتفاظ به ماء وجهه بل وربما ماء النيل كله بمنابعه ومصبه حرصا وطمعا.

يقول **اللواء المسكين** الذى لا أستطيع حياله إلا ان أشعر ببالغ العطف وإستمطار المغفرة فلم يكن مثله للسياسة ولم تكن السياسة لمثله وهكذا تلاعب به البكباشى كل التلاعب وأسوق من كتاب اللواء مقطعا ثانيا حتى نتبين مدى السذاجة السياسية التى كان يتصف بها حيث يقول بعد أن أعاده الشعب الى رئاسته معززا منتصرا[1] : "كان الشعب ينتظر فى تأهب وغضب قرارات تحقق له حريته ، "وكان هذا يؤرق **جمال عبد الناصر** الذى تهاوت سمعته بين الناس وظهر فى صوره المدافع عن قيام ديكتاتورية عسكرية. وعقدنا إجتماعا فى منزل **على ماهر** حضره الدكتور **عبد الرزاق السنهورى** و**جمال عبد الناصر** لمناقشه الخطوات القادمة..... واقترح **جمال** اقتراحا مريبا هو عودة دستور سنة ١٩٢٣ فلم اوافق على ذلك!!!

ألم يخرج مجلس الثورة بشعار: نحن حماة الدستور حيث لا دستور ولا حماة.

١- كلمتى للتاريخ – محمد نجيب ، ص ١٩٨ .

وهكذا فأن مجلس الثورة كله وعلى رأسه اللواء كانوا ينظرون إلى الدستور ليس كشكة الدبوس وحسب بل وكأنه طعنة الخنجر. إنها عصابة بعضها من بعض، يتباكون على الحرية والديموقراطية ويؤلفون الكتب التى يتبارون فيها على تصوير بطولاتهم الزائفة. ونرجع إلى بعض السطور السابقة لنجد سيدى **البغدادى** الذى كان يرأس محكمة الثورة التى تحاكم زعماء مصر ، وفقا لأحقر محاكمة شهدها التاريخ، هو نفسه الذى يجلسونه على كرسى الرئاسة فى مجلس الأمة حتى إذا نبذوه ورموه عاد ليكتب عن الحرية وان من يدعى الحرية لا يرأس محكمة مثل محكمة الثورة التى تتلقى الأمر بالأحكام قبل إنعقادها - وترمى رجلاً من أعظم أبناء مصر بالخيانة العظمى مثل **إبراهيم عبد الهادى** زورا وعدوانا فهو ليس فردا من الأفراد ولكنه جزء من تاريخ مصر هذا الذى يتهمونه بالتخابر مع الإنجليز ، حقا انها محكمة لا تعرف الحياء ولا الخجل.

ولنرجع ثانيا لكتاب **نجيب** ففى كل كتاب لأحد منهم ما يعرى هذه الثورة ويفضحها ويخزيها.

قضية نزاهة الحكم

- من خصائص الحكم الشمولى هو انعدام الرقابة على تصرفات الحاكم الفرد.

فإذا ما كانت الوظيفة الأساسية لمجلس الشعب هو اقرار الميزانيات، ومراجعة التصرفات المالية والرقابة على أداء السلطة التنفيذية، فإن عهد الثورة فى مصر قد حفل بالمجالس الصورية التى لا تستطيع بطبيعة تكوينها أداء مثل هذه المهام الحيوية ، هذا اذا ما كان المجلس قائما أصلا.

ولعل منطق الحاكم الفرد فى النظام الشمولى هو **أنا الدولة والدولة أنا** - ونحن حماة الدستور حيث يعطل الدستور أو تخرج الدولة بدساتير هزيلة تؤكد قبضة الحاكم وترسّخ حكمه الشمولى الثقيل.

إلا أن مثل هذا النظام لن يتمكن من إحكام قبضته الا بالأجهزة المعاونة كالجيش والبوليس وأجهزة المخابرات والدعايه والاعلام والأحزاب الصورية وإحكام قبضة الدولة على مصادر الرزق ، وتملك أدوات الانتاج وتأميم البنوك والشركات وتحديد الملكية الزراعية ، وعزل من يسمونهم بالرأسماليين والبرجوازيين ومحترفى السياسة على حد مصطلحاتهم المنتقاه ، حتى أنه قد تردد أن **جمال عبد الناصر** افصح لحوارييه أنه يريد أن يشعر كل فرد فى مصر أنه يأكل من قبضته هو ، فإذا ما كان مثل هذا الحديث مختلقا ، فإن واقع الحال فى مصر كان كذلك طوال عهده.

وهكذا خدع بعض المصريين الذين كانوا يعانون من ديكتاتورية الحاكم ولكنهم كانوا لا يشكون فى ذمته المالية،وقد أصبحت دفة الحكم

تدار فى الخفاء وسط حجاب صفيق ، كما كانوا يظنون أن الحاكم نفسه لم يكن بحاجة إلى النهب والسلب مادام هو الدولة والدولة هو- إلا أنه بعد وفاة هذا الحاكم ومن بعده خليفته فقد ظهرت على ورثتيهما معالم الثراء الفاحش. كما ظل مصير ثروات العائلة المالكة وكذلك ثروات من وضعوا تحت الحراسة غامضا رغم ما يتردد من وقائع وقصص معينة على السنة الشعب أو فى الصحف والمجلات الحكومية ذاتها وكذلك الصحف الأجنبية بل وبعض المؤلفات. إلا أن الورثة ، وكذلك بعض كبار رجال الثورة مازالوا ينعمون بالحماية والتدليل فى مصر ، كما هربت الأموال المنهوبة الى الخارج حيث تنعم بالدفء فى البنوك الغربية تحسبا للأعاصير القادمة.

- وقد يظن ان هذه الأمور تخرج عن مجال دراستنا المحددة التى نحن بصددها وهى إظهار التناقض الواضح بين مذكرات السادة الضباط أعضاء مجلس الثورة. إلا أن هذا التمهيد كان ضروريا حتى تقع الأحداث التى أوردها نجيب فى مكانها الصحيح:

يقول نجيب فى كتابه **"كلمتى للتاريخ"** : " كنت متجها فى عربتى الى نادى الضباط بالزمالك لتهنئتهم بعيد الأضحى وكان معى فى العربة البكباش **جمال عبد الناصر** . واقترب منى **جمال** ، وكان ذلك قبل أن يصبح نائبا لرئيس الوزراء وقال:

- إنى أود أن أعرض عليك أمرا ناقشته مع بعض الزملاء . وأصغيت إليه فى اهتمام وبدأ يتحدث قائلا: أعتقد أن ظروفنا الحاضره تقتضى أن ننظر الى مستقبلنا ومستقبل ثورتنا ، ونحن الآن تحيط بنا عواصف مضادة لانعرف مصيرنا معها ثم استطرد قائلا:

– " ولذا فكرت فى أن يأخذ كل عضو من أعضاء المجلس مبلغ عشره الاف جنيه، وتأخذ أنت أربعة عشر الف جنيه فيكون المجموع ١٣٤ ألف جنيه وقد طلبت من زكريا أن يحجزهم نقودا جديده."

ويستطرد اللواء نجيب فيقول" ورأيت الدم يغلى فى رأسى ولم تحتمل أعصابى الحديث فصرخت فى وجهه طالبا منه ان يسكت عن الحديث حتى لا ينفجر رأسى من هول ما سمعت... وبدأت أعنفه تعنيفا شديدا على الحق الذى استباحه لنفسه بخلط مال الشعب على ماله الخاص. وكان رد جمال ضحكة عصبية وهو يردد متلعثما : أنا كنت متأكد إنك حترد على بالشكل ده".

هذه رواية **نجيب** ولم نجد لها صدى فى مذكرات الآخرين بما ينفى هذه الوقائع رغم أنها تصيبهم جميعا ... وقد أتهمهم **نجيب** بواقعة محددة.

وفى مجال آخر يقول أنه ذهب لزيارة أحد أعضاء مجلس القيادة فى منزله فوجد فنانا يصنع له تمثالا يكلف ٢٠٠ جنيه ، وكان الرئيس يعرف أن حالته المالية لا تسمح بذلك– فعنفه وخرج غاضبا.

– واود هنا أن اتطوع بمعلومة صغيرة وهى أن الجنيه المصرى فى ذلك الوقت كان أعلى قيمه من الجنيه الذهب اى ان المئتى جنيه هذه تصل قيمتها الحالية إلى الألوف من الجنيهات ص ١٧٠.

كما يقول فى روايه أخرى أنه قد لاحظ وهو مقبل على تناول العشاء فى مجلس قيادة الثورة أن بعض أدوات المائدة كانت من الفضة مكتوب عليها " **القصور الملكية** " فثار وأمر بإبعاد الضابط الإدارى المسئول عن ذلك ، وأمر بإعادة الأدوات الى القصور الملكية."

ثم نجد إن كتاب كلمتى للتاريخ يحفل فى نهايته بتفاصيل مهمة أوردها **هيكل** فى كتابه **ناصر** والعالم عن واقعة تسليم مبلغ ثلاثة ملايين دولار من المخابرات المركزية الأمريكية الى مصر حيث يقول[١]:" وذات يوم كان **عبد الناصر** وأعضاء مجلس قيادة الثورة يبحثون مسألة بناء برج لاسلكى للإتصالات العالمية التى تقوم بها وزارة الخارجية وإدارة المخابرات، وقيل **لعبد الناصر** أنه سبق وأن تم شراء بعض المعدات ، ولما احتج بأنه ليست هناك أموال مرصودة فى الميزانية لهذا الأمر قيل له ان المال جاء من إعتماد أمريكى خاص. ودهش **عبد الناصر** اذ كانت هذه أول مره يسمع فيها بوجود أى إعتمادات خاصة. وقيل له عندئذ أن وكالة المخابرات الأمريكية وضعت تحت تصرف اللواء **محمد نجيب** ثلاثة ملايين دولار.

وكان المبلغ قد تم تسليمه بواسطة عميل أمريكى فى حقيبة ضخمة عبئت بقطع نقدية فئة المائة دولار. وسلمت الحقيبة فى الواقع الى ضابط فى المخابرات المصرية كان يعمل كضابط اتصال بين المخابرات المصرية ووكالة المخابرات الأمريكية وتمت عملية الدفع والاستلام فى بيت العميل الأمريكى فى ضاحية المعادى الأنيقة. واستشاط **عبد الناصر** غضبا عندما سمع ذلك. وتوجه بالسيارة فورا إلى مجلس الوزراء ، وطلب تفسيرا من **محمد نجيب** الذى كان آنذاك رئيسا للوزراء. وتستمر رواية **هيكل** فهو يقول " وأصر **نجيب** على انه فهم انه ليس للمخابرات الأمريكية علاقة بذلك المبلغ وأنه مرسل من **الرئيس ايزنهاور** الذى خصص اعتمادات مالية لبعض رؤساء الدول ليتمكنوا من تجاوز مخصصاتهم المقيدة بالميزانية من أجل الدفاع عن انفسهم وعن بلادهم ضد الشيوعية"

١- كلمتى للتاريخ - محمد نجيب ، ص ١٧٠ .

" وهنا طلب **عبد الناصر** إيداع المال فى خزينة ادارة المخابرات وأمر بعدم صرف أي شيء منه الا بإذن من مجلس قيادة الثورة" . "وفى النهاية بنى البرج وكان مخططا له فى الاصل أن يكون برجا بسيطا وعمليا يعلوه هوائى لاسلكى وشبكة أسلاك تنحدر إلى الاسفل عبر وسطه . لكن **عبد الناصر** قرر أن يبنيه كنصب يشهد على حماقة المخابرات الأمريكية فاستخدم الأموال الأمريكية لبناء البرج الفخم المزركش وبنى المطعم الدوار فى قمته والذى يطل اليوم على منظر القاهره كلها. وقد لقى البرج انتقادا شديدا عند تشييده لأنه لم يكن فى وسع أحد أن يفهم إهدار المال عليه . وإذا كان قسم المواصلات فى مبنى البرج جديا وجوهريا فقد كانت الإعتمادات متاحة ولم يكن هناك بأس من بناء المطعم ومن الهندسة الباذخه، وبشكل ما فإن ذلك كان اهانة إلى وكالة المخابرات المركزية " وقد غضب **عبد الناصر** من الأمريكيين غضبا شديدا بسبب هذه الحادثة التى اعتبرها محاولة للأفساد. **(انتهت رواية هيكل)**[1].

ويقول اللواء **نجيب** المفتري عليه إن حديث **محمد حسنين هيكل** باطل من جذوره لسبب بالغ البساطة ، وهو أنه كان معتقلا عند وصول هذا المبلغ ، وإن **جمال عبد الناصر** هو الذي استلمه ، كما كانت له صلات متعدده ببعض عملاء وكالة المخابرات المركزية ، بينما كان **نجيب** بعيدا عن هذه الصلات التحتية والخفية تماما. ولاشك إن تسليم هذا المبلغ في الوقت الذي كان الرئيس **نجيب** فيه معتقلا لهو دليل مادي علي براءته تماما.

١- محمد نجيب - كلمتى للتاريخ ، ص ٢٥٣ ، وكتاب حسنين هيكل - ناصر والعالم .

ويسوق **محمد نجيب** برهانا لايقبل المناقشة أيضا وهو مانشره **مايلز كوبلند** عميل المخابرات المركزية المقرب من **جمال عبد الناصر** في كتابه لعبة الأمم أنه سلم المبلغ **لحسن التهامى** فى منزله بالمعادى ليوصله إلى **جمال عبد الناصر** كهدية شخصية له وغنى عن البيان إن **حسن التهامى** كان على أوثق صلة **بجمال عبد الناصر** وممن كان **جمال عبد الناصر** يعتمد عليهم فى حركاته السرية.

وقد سبق أن إشترك معه فى محاولة إغتيال **حسين سرى عامر** قبل الثورة كما إشترك معه فى الإتصالات السرية مع الأمريكان بعد الثورة.

وقد أقام **محمد نجيب** دعوى أمام محكمة الجيزة يتهم فيها هيكل بالتزوير فى نوفمبر ١٩٧٢ إلا أنه كشأنه فى التفريط فى حق نفسه قبل إعتذار **هيكل** فى بيان نشر بالأهرام والديلى تلجراف والنهار اللبنانية كشرط للتنازل وقد جاء تكذيب الواقعة والإعتراف بالتزوير مهزوزا حيث نشر بالأهرام فى ١٩٧٢/٦/٢ وهو بيان طويل نجتزئى منه الفقرة التالية " **فواضح من سياق الخبر أن الولايات المتحدة لم تضع هذا الإعتماد تحت تصرف اللواء محمد نجيب ، ولكنها وضعته تحت تصرف السلطة المصرية تنفيذاً لسياستها حينذاك فى محاولة احتواء الثورة المصرية**".

ونود أن نعقب على هذا التكذيب ، بأن جرأة فليسوف الثورة وكاتب الوحى تتوافق وجرأة رئيسه **جمال عبد الناصر** على الحق وكل

المقدسات . والقول بإن الولايات المتحدة لم تضع هذا الإعتماد تحت تصرف **نجيب** هو اعتراف ضمنى ولكنه لايقبل الشك أيضـا إن **جمال عبد الناصر** نفسه هو المستفيد وإدعاء **هيكل** بأن السلطة المصرية هى التى تسلمته تكرار **لمبدأ أنا الدولة والدولة أنا ، أو أنا السلطةوالسلطةأنا.**

وبذلك يكون **هيكل** قد أوقع رئيسه فى مأزق مريب.

وقد تختلف الآراء حول شخصية الرئيس **نجيب** ولكن أحدا من الناس لايجرؤ أن يتناول ذمته المالية بأدنى شبهة أو سوء كإستثناء وحيد فى ثورة مصر بل والثورات الأخرى على مدى التاريخ.

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذاعفة فلعله لايظلم

ولعل هذه العلة التى يتحدث عنها الشاعر هو أن جيل **نجيب** كان أنقى وأطهر كما كانوا من أصحاب الرسالات فمنها الصالح ومنها الرسالات الساذجة والجانحة، ولقد وقع **نجيب** فريسة سهلة لعصابة بالغة الخبث والدهاء ، بل أن توجهاتها الوطنية يعلوها الضباب الكثيف ولقد آن لنا أن نتحسس ماوراء هذا الظلام والتعتيم

السودان فى مذكرات الرئيس نجيب

" إنما يخشى الله من عباده العلماء"

صدق الله العظيم "من سورة فاطر"

لقد كانت السودان دائما موضع الخلاف الرئيسى بين مصر وبريطانيا فى مفاوضات الجلاء..

ومنذ حادث إغتيال سردار الجيش المصرى وحاكم السودان ، **السيرلى ستاك** سنة ١٩٢٤ ، التى أتخذتها بريطانيا ذريعة لفصل السودان ثم مفاوضات ١٩٣٦ والتى أكد فيها الجانب المصرى ومن جانب واحد تمسكه بالسيادة على السودان ، ثم مفاوضات **صدقى- بيفن** التى كان من أسباب فشلها قضية السودان ، رغم إن الجانب البريطانى كان قد سلم ببعض وجهات النظر المصرية الخاصة بالسودان.

فقد نجح السياسى الفذ **إسماعيل باشا صدقى** رجل الملمات الصعبة فى مصر على حمل الجانب البريطانى على الإعتراف بوحدة وادى النيل بشطريه الشمالى والجنوبى تحت التاج المصرى . وقد لاقى هذا الإعتراف بالوحدة صداه فى السودان . حيث يقول الأزهرى فى مذكراته. "وعندما وقع بروتكول **صدقى - بيفن** الذى نص على التاج المشترك لمصر والسوادن " نحن انصار وحدة وادى النيل ، ابتهجنا بالإتفاق وخرجت مظاهراتنا فى الطرقات تفصح عن بهجتها". ورغم

ذلك فقد قامت الصعوبات ومن داخل مصر فى وجه **صدقى باشا** الأمر الذى حال دون استمراره فى الحكم ثم يلى **النقراشى باشا** الحكم فى نهاية ١٩٤٦ ليحيل قضية الجلاء ووحدة مصر والسودان إلى مجلس الأمن بعدما أتضح له تعنت الجانب البريطانى وقد طالب بجلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان جلاء تاما ناجزا بأقوى العبارات وأشجعها ومنها عبارته الشهيرة " **اخرجوا من بلادنا أيها القراصنة**".

إلا أن مجلس الأمن لم يتخذ قرارا حاسما فى الموضوع مؤثرا تعليق القضية على أمل أن يتوصل الطرفان مصر وبريطانيا إلى إيجاد تسوية عن طريق المفاوضات المباشرة وهكذا تمضى وزارة **النقراشى** ، لتخلفها وزارة **النحاس** وتفشل كذلك مفاوضات الدكتور **صلاح الدين باشا** وزير الخارجية فى حكومة الوفد حيث كان الإنجليز يرفضون ربطه قضيتى الجلاء عن مصر والمسألة السودانية الواحدة بالأخرى، بينما لايستطيع الجانب المصرى فصل قضية الجلاء عن مصر باعتبارها القضية الأساسية مع تأجيل قضية السودان إلى أجل لاحق حيث كان المصريون يرون أن المسألتين هما قضية واحدة لاتتجزأ.

كل هذه الشخصيات الفذة بما لها من حنكة سياسية طويلة وأحزاب ذات تاريخ تقف وراءها ، مع جهاز دبلوماسى متمرس لم يكن قد أصابه الخلل بعد كما حدث بعد الثورة حينما أصبحت وزارة الخارجية منفى للضباط الذين يراد إستبعادهم أو مكافأتهم دون أن

يكون لهم أدنى دراية بطبيعة العمل الدبلوماسى ناهيك عن الجهل باللغات والإفتقار إلى الثقافة العامة بل واللياقة فى التعامل .

كل هذه الأجهزة الضخمة والشخصيات المتمرسه قد إستهانت بها الثورة كما إستخفت بمقدسات مصر حتى إنها نصبت لقضية السودان الصاغ **صلاح سالم** الذى أصبح وزيرا لشئون السودان كشخصية أساسية فى حل القضية !!!

وتحت رئاسة اللواء **محمد نجيب** شكلت لجنة من الصاغ **صلاح سالم** والصاغ أو المشير فيما بعد **عبد الحكيم عامر** والصاغ **كمال الدين حسين** ونود هنا أن ننقل بعض الفقرات لنتبين رأى **محمد نجيب** من مسألة السودان وهو مشرف على الضياع ، حيث كانت الفكرة السائدة لدى الضباط هى كيف نطالب باحتلال السودان إذا ماكانت مصر نفسها محتلة ورافضة لفكرة الإحتلال .

يقول **محمد نجيب** : " وبدأت أواجه البريطانيين بأسلوب جديد ، وكان الخط الوطنى لجميع الأحزاب والمفاوضين المصريين فى السابق هو فرض سيطرة مصر على السودان مستندين إلى أسباب تاريخية وحق الفتح " ثم يستطرد فيقول وجرؤت على اعلان موافقتى على تقرير المصير مخالفا الخط الذى أجمع عليه السياسيون قبل الحركة... وحاصرت الإنجليز بإسلوبهم وفى صباح ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ تم توقيع إتفاقية السودان ، ووقعتها عن مصر..... ووقعها **رالفستيفنسون** عن بريطانيا " **ويمضى فى سرده إلى أن يقول وهكذا**

" يتقرر مصير السودان : (أ) إما أن تختار الجمعية التأسيسية إرتباط السودان بمصر على أيه صورة (ب) أو أن تختار الجمعية التأسيسية الأستقلال التام".

ثم يقول على سبيل التمجيد والتفخيم لإتفاقيته إنه بذلك قد أوقع الإنجليز فى الفخ !!!(١)

ولم تكن الإتفاقية التى تم الإتفاق عليها قد جاءت بجديد عن رأى الإنجليز أنفسهم سواء قبل **نجيب** أو بعده ثم يستطرد ليقول : **"وهكذا أسقطنا نهائيا فرصة بريطانيا فى ربط السودان بها ... ولم يعد أمام الشعب السودانى إلا الإرتباط بمصر أو الإستقلال التام"** .

" وكأن هذا انتصار ساحق على محاولات بريطانيا التى أمتدت أكثر من نصف قرن وازاء ادعائه هذا لانملك إلا أن نقول : **إنما يخشى الله من عباده العلماء"**.

ومن ناحية أخرى كان الوحدويون فى السودان وهى السودان على درجة أعلى من نظرائهم من الضباط المصريين ، فقد حبكوا التمثيلية الوحدوية كما استطاعوا تحت عباءتها ضم صفوف الشعب السودانى الذى كان يتطلع للوحدة مع اشقائه المصريين كما تقاضوا مبالغ طائله مقابل ذلك من السادة ضباط الثورة الذين هذا دأبهم فى تذليل الأمور.

١- كلمتى للتاريخ - محمد نجيب .

وعندما اعترف الوزراء والحزب الوطنى السودانى بحقيقة تقاضى الرشاوى والحصول على الأموال المصرية أثناء الحملة الإنتخابية لم يملك الأزهرى ووزراؤه الإتحاديون الحقيقيون إلا تأييد الأستقلال لحماية أنفسهم من الخزى والرشوة والعار (١)

أما السودانيون الآخرون الذين تظاهروا بتأييد الوحدة فأن هذا التأييد لم يكن إلا خطة تكتيكية من جانب واحد ، أو كما أدعى الأزهرى بعد توليه الوزارة ودعوته للإستقلال إنها كانت تكتيكا ولم تكن هدفا حقيقيا لهم . وكان الإستقلال هو الهدف منذ البداية" . كما عبر عن ذلك **السيد على الميرغنى** نفسه عندما قال للإنجليز : "تأييدى للأشقاء تحالف مؤقت مثل تحالفكم مع السوفيت أثناء الحرب العالمية الثانية فلم يكن يعنى تأييدكم للشيوعية ، وكذلك مساندتى للأشقاء لاتعنى رغبه فى الوحد ةمع مصر" (٢) : " كما يقول الأزهرى.أنه وجد **جمال عبد الناصر وصلاح سالم** يريدان تحقيق طموح شخصى أكثر مما يرغبان فى الوحدة " .

- ولقد تغلب الأزهرى عليهم فى المناورة السياسية ، وكان المسمار الأخير ضد الوحدة عزل **محمد نجيب** ، بينما كان الأزهرى فى لندن ، ولقد كان **محمد نجيب** بالنسبة للسودانيين رمزا للوحدة يثق به الشعب السودانى ".

" كما وجه **السيد عبد الرحمن المهدى** نداء إلى أعضاء البرلمان السودانى بعد عزل **محمد نجيب** لإعلان تأييدهم للإستقلال بغير قيد

---

١ ، ٢- مصر والسودان - محسن محمد بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية ، ص ٣١٨ .

ولاشرط ، فإن عدم الإستقرار فى مصر يعتبر فألا سيئا للسودانيين ليبتعدوا عن المصير المجهول لمصر ، فالاطاحة **بنجيب** كما قال **المهدى** نهاية لمرحلة فى الثورة المصرية ، تشير إلى أن مصر غير مستقرة ولايعتمد عليها.

وهنا نقف قليلا لنسأل أنفسنا هل انفصال السودان جاء عفويا ونتيجة لقيام دكتاتورية غافلة فى مصر وقد عصفت فيمن عصفت بهم برئيس الإنقلاب **محمد نجيب** الذى كان يثق به السودانيون ويعتبرونه واحداً منهم؟

أم أنها كانت صفقة منذ البداية ، وكانت نتيجة لتعجل الثورة فى احراز نصر سريع رخيص لحسابهم وليس من أجل مصر ، للحصول على إتفاقية الجلاء مع الإنجليز دون أى اعتبار للسودان ، واقحام الأمريكيين فى المفاوضات والتسليم بكافة مطالبهم ومطالب المستعمر البريطانى .

" **البغدادى** يعترف منذ البداية بأن أغلب اعضاء مجلس الثورة رأوا أن **صلاح سالم** لم يكن إلا منفذا لسياسة المجلس فى السودان ولم تكن سياسته هو ، **وإنما كانت أخطاؤه فى التنفيذ وحسب** ".

بل أن **صلاح سالم** قد رفع عن نفسه الحرج حيث يقول فى مذكراته " **لم تكن لى سابق دراية أو خبرة بمثل هذا العمل . لم أقرأ**

فى حياتى عن السودان سوى النذر اليسير . ولم يكن لى صديق سودانى واحد يحدثنى وأتحدث معه فى شئون بلاده".

كما يصف **خالد محى الدين** زميله **صلاح سالم** فيقول فى كتابه: " **والآن أتكلم** " **صلاح سالم** عاطفى إلى درجة كبيرة ينتقل بعاطفيته من النقيض إلى النقيض بسرعة مثيرة للإرتباك. وكان تقلبه العاطفى يقتاده إلى تقلب سياسى أيضاً " كما يصفه **أنور السادات** فى كتابه البحث عن الذات فيقول : " كان رحمه الله حاد المزاج .. عصبيا إلى حد غير طبيعى ... غير متزن فى جميع نواحى شخصيته".

وفى كتاب الإنفصال **لمحسن محمد** يروى أن **صلاح سالم** أراد أن يفرض رأيه على الأزهرى والوزراء، وأن يظهر بمظهر حامى حكومة الحزب الوطنى الأتحادى ، كما زار جنوب السودان وحرص على أن يمشى فى شوارع الجنوب بملابسه الداخليه ، كما فعل أثناء رقصته الشهيرة التى لاقت نجاحا مثيرا فى ذلك الوقت ولكنها لم تعد ذات تأثير كما كانت أول مرة.

وكان **جمال عبد الناصر** يرقب تحركات **صلاح سالم** وهو موقن تماما بالنهاية المحتومة لإنفصال السودان ، ويدرك أن مسألة السودان انتهت كما أن الثورة قد فشلت فى تحقيق الوحدة ، ولم يبق إلا إجتماع مجلس النواب السودانى ليؤكد حدسه فى أن الإستفتاء على تقرير المصير لا يعنى إلا إستقلال السودان .

ومعنى ذلك أن اختيار **صلاح سالم** لم يكن وليدا لصدفة أو سوء اختيار كدأبهم وكما يحدث دائما بمجلس قيادة الثورة فى إضفاء المناصب على الأنصار وأهل الثقة وإنما هو تدبير مبيت للوصول إلى غاية مرسومة. وقد أقتنع **صلاح سالم** بأنه كان كبشا للفداء وأن اختياره كان لتنفيذ سياسة محددة حيث قال " أن أشخاصا مسئولين يعملون على استقلال السودان ويشجعون المسئولين هناك على السير فى هذا الإتجاه ، وإن **جمال عبد الناصر** يؤيد هذه السياسية"[١].

ولم يكتف **صلاح سالم** بذلك بل قال فى إجتماع بمجلسى قيادة الثورة" **هناك مؤامرة كبرى تدبر لعدم إتمام أتحاد مصر مع السودان. ويشترك فى هذه المؤامرة بعض المسئولين من داخل المجلس ومن خارجه**" . وإن الذى سيؤدى بالبلاد إلى التهلكة ، هو **زكريا محى الدين وعلى صبرى** مدير مكتب **جمال عبد الناصر** للشئون السياسية الذى ينفذ سياسة الأمريكان والإنجليز ".

وفى الإجتماع التالى لمجلس الثورة يدلى **جمال عبد الناصر** بتصريح بالغ الأهمية حيث يقول : " المسألة أصبحت أخطر مما نتصور، وهى اتهام لبعض أعضاء المجلس بالخيانة ، وكذلك مدير مكتبى للشئون السياسية . ومعنى ذلك أننى أنفذ سياسة الأمريكان والإنجليز - والمسألة أصبحت اليوم مسألة **صلاح** أو المجلس وليست مسألة السودان التى أصبحت فرعية الآن بعد فقدان كل أمل فى الأتحاد".

١- مصر والسودان - محسن محمد بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية .

" ويجب أن نتحلل من العواطف ونبحث عن المصلحة " وأخذ جمال يشرح خطورة **صلاح** بعد مارأى فشل قضية السودان ، وليس لديه مانعـــا من هدم كـــل شئ فـــوق رؤوسنـــا". وهكـــذا نجـــح **جمال عبد الناصر** فى تعرية **صلاح سالم** ولندع **مصطفى بن حليم** رئيس وزراء ليبيا السابق يصف لنا رأيه فى **جمال عبد الناصر** فى مذكراته "كانت الغاية عند **عبد الناصر** تبرر الوسيلة ، وكل الوسائل مشروعة وكنت الاحظ عنده ميلا لتوريط أصدقائه ، وسرورا عظيما عندما يقعون فى مقلب ينصب لهم ولايجد أى غضاضة فى ممارسته ضد خصومه السياسيين ولم يكن مطمئنا لشعبيته فى سنوات حكمه الأولى"(١) .

أما أن يدبر المقالب لزملائه فهذه هوايته وأما أن تكون هذه المقالب على حساب الوطن فهى من الأمور التى تخرج عن حدود المصالح القومية والوطنية - ولعل أطرف هذه المناورات هى تكليفه لصديقه المسكين **صلاح سالم** ومعه وفد مؤلف من عشرين عضوا لمقابلة السياسى المخضرم **نورى السعيد** لإقناعه بالعدول عن حلف بغداد وتم اللقاء فى مصيف سرسنك بالعراق . ولعل الغرض من ذلك أيضا كان إبعاد **صلاح سالم** عن أحداث السودان الملتهبة سنة ١٩٥٥ . وبدلا من إقناع **نورى السعيد** أقتنع **صلاح سالم** بضرورة التعاون بين مصر والعراق .

وصدر بيان بأن الطرفين أتفقا على تقوية ميثاق الضمان الإجتماعى العربى للتعاون فى مكافحة المبادىء الهدامة ، وأعلن صلاح **سالم** تفاؤله بنتيجة الإجتماع وأشاد **بنورى السعيد** وحكمته .

١- مصر والسودان - بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية - لمحسن محمد.

وأود قبل أن انتقل عن موضوع السودان الذى مررنا به فى عجالة أن أذكر للمرحوم **صلاح سالم** بعض ما أعرفه من حسنات ، فقد سمعت من الأستاذ الفاضل **إسماعيل شيرين** كل الأشادة به ، وقد كان زميله فى حرب فلسطين من حيث المروءة والشهامة والإخلاص لأصدقائه إلى حد التضحية ، كما أنه كان ضابطا شجاعا .. كما نجد فى مذكرات الثوار التى خرجت منها بحصيلة الصفحات السابقة ما أوردته عن **صلاح سالم** من إتفاق بخصوص ذكائه الفطرى ولذلك فأن اتهامه للثوره بتنفيذ المخطط الأمريكى لم يكن من الأمور التى يمكن أهمالها على إطلاقها وخصوصا وإنها من الأمور التى لم تكن بعيدة عن تفكير الآخرين ومنهم الدكتور **عبد الرازق السنهورى** نفسه وقد سمعت منه مباشره هذا الرأى ، وكان ذلك فى ذكرى وفاة المغفور له **محمود فهمى النقراشى باشا** عند زيارته لمنزله بهذه المناسبة ، وكانت تربط الفقيدين العزيزيين روابط بالغة القوة .

ورأى **السنهورى باشا** فى موضوع السودان يضفى أهمية كبيرة على ما ذكره **صلاح سالم** وخاصة ان الثورة قد أوكلت **للسنهورى** فى أول أمرها مهمة التفاوض مع الجانب السودانى وذلك ضمن اللجنة التى شكلت لذلك .

وكان يعتقد أن قضية السودان قد تم التضحية بها مقابل أسراع الإنجليز بالجلاء ، وكانت المفاوضات بين الإنجليز **وجمال عبد الناصر** شخصيا تتم فى بعض الأحيان من وراء ظهر الرئيس **نجيب** بل إنه يقرر

فى كتابه كلمتى للتاريخ ص ١٥٨ أن مفاجأته كانت شديدة عندما وقع الإتفاق الأول للجلاء دون أن يتيحوا له فرصة ابداء الرأى وكانت نصيحة **سليمان حافظ** له هى أن يرفض التصديق إلا أن الإتفاقية قد أعلنت بغير تصديق رئيس الجمهورية ذاته.

" كما صدرت الصحف فى اليوم التالى بأن مجلس الوزراء قد وافق على الأتفاق باجماع الآراء".

كما أن أتهام **صلاح سالم لعلى صبرى** بالعمالة لم يكن غريبا أيضا ، وفى مذكرات **خالد محى الدين** مايشير إلى علاقته قبل الثورة بالملحق الجوى فى السفارة الأمريكية ، وإن هذه العلاقة كان محل استغلال **جمال عبد الناصر** للتأكد من نوايا الأمريكان - وعدم تدخل الإنجليز قبل قيام الثورة.

كما ورد بكتاب **براين فريمانتل** Brian Freemantle تحت عنوان - الصحبة المجيده The Honourable company C.I.A. - مانصه

In 1955 Nasser made an impressive showing at the Afro-Asia conference at Bandung in Indonesia, largely because his briefing and speeches had been written the U.S State Department. While the papers were being prepared. Copeland was lobbying the entourage travelling with Nasser, Particulary. the American

educated Minister without portfolio to the president, Ali Sabri, who was translating the American documents into Arabic for the president. Sabri undertook to do all he could to influence Nasser to turn Sukarno against Moscow. It was not until two years later that the C.I.A. discovered Sabri was a K.G.B. agent.

ولعل الجزء الذى يخص **على صبرى** من هذه الرواية - أنه كان فى صحبة **جمال عبد الناصر** فى مؤتمر باندوج ومعهم **مايلز كوبلاند** العميل الأمريكى المعروف وصاحب الكتاب الشهير لعبة الأمم. وقد تعهد **على صبرى** لهم بالعمل على إقناع **جمال عبد الناصر** بإحداث الوقيعة بين **سوكارنو وموسكو.**

إلا أنه قد أتضح بعد مرور عامين من المؤتمر إن **على صبرى** كان عميلا لجهاز المخابرات الروس K.G.B. .

كتاب فلسفه الثورة لجمال عبد الناصر

وقد أشيع أن **حسنين هيكل** هو مؤلف هذا الكتاب ، إلا أن صدوره باسم **جمال عبد الناصر** يحمل المعنى أن أفكار الكتاب هى **لعبد الناصر** وقد عبر عنها **هيكل** بإسلوبه ، والكتاب فى حد ذاته لايحتمل التحليل فهو بسيط غاية البساطة وإن استعاروا له عنوانا فخما ضخما يوحى بإن للثورة فلسفه ، وإن وراء الفلسفه ماورائها من الحكمة والمعرفة . وكذلك فإن صاحب الفلسفة هذه لابد وأن يكون فليسوفا حكيما مضطلعا مجربا.

وماأظن إلا أن **ناصر** قد أمر صاحبه أن يترك بعض المقاطع التى سطرها الزعيم بنفسه فى كتابه الذى **حرره له هيكل** على أغلب الظنون والتى ماكان **هيكل** ليرضى عنها رغم مايتسم به **هيكل** من سعه الصدر - إلا أن الأمر هو لصاحب الأمر .... استغفر الله.

يمضى كتاب فلسفة الثورة فيبتدر كتابه بقوله " قبل أن أمضى فى الحديث أريد أن أقف قليلا عند كلمة فلسفة : إن كلمة فلسفة ضخمة وكبيرة ".

وكان من الأوجب على الكاتب إن يقف طويلا قبل أن يتجاسر على اختيار الفلسفة عنوانا لكتابة وماكانت أفكار الكتاب لتسمو عن أبنسط المعانى وأكثرها سذاجة حتى إنها تعود بنا إلى كتاب القراءة الرشيدة الذى يدرس للأطفال.

إلا أننا نحاول أن نستشف من وراء هذا الكتيب الفكر الناصرى، فهو يقول " فقد كنا نحارب فى فلسطين ولكن أحلامنا كلها كانت فى مصر. كان رصاصنا يتجه إلى العدو الرابض أمامنا فى خنادقة . ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب ترعاه " ثم يستطرد بعد ذلك فيقول " ومنذ أشهر قليلة قرأت مقالات كتبها عنى ضابط إسرائيلى إسمه " **يردهان كوهين**" ونشرتها له جريده " **جويش اوبزرفر**" وفى هذه المقالات روى الضابط اليهودى كيف التقى بى أثناء مباحثات الهدنة وقال : " لقد كان الموضوع الذى يطرقه **جمال عبد الناصر** معى دائما هو كفاح إسرائيل ضد الإنجليز، وكيف نظمنا حركة مقاومتنا السرية لهم فى فلسطين وكيف استطعنا أن نجند الرأى العام وراءنا فى كفاحتنا ضدهم " . وإعادة حديثه مع زميله الضابط **كوهين** هو إقرار لما جاء به من أن فلسطين لم تكن القضية بل هو الإستعمار ، والخونة المصريون الذين وصفهم بالذئاب - وهو من أجل ذلك يطرق موضوع كفاح إسرائيل ضد الإنجليز. ولو دقق قليلاً لما جرؤ على كتابة هذه السطور ، فالعصابات اليهودية فى ذلك الوقت كانت جد مشغوله بنزع الأراضى من أصحابها العرب ، واقامة المذابح البشعة لأرهابهم وطردهم قسرا من ديارهم - وربما كان الإنجليز على استحياء يقفون فى وجه اليهود على سبيل الإحتجاج الصورى على تلك المذابح .

ونجد فى نفس الكتاب تأكيداً لهذا المعنى الذى أوزده صديقه **يودهان كوهين** عن **جمال عبد الناصر** نفسه صـ ٥٧ حيث يقول " وأنا

أكتب هذه الخواطر وأمامي مذكرات **حاييم وايزمان** رئيس جمهورية إسرائيل ومنشئها الحقيقي" وهي المذكرات التي نشرها في كتابه المشهور "التجربة والخطأ وثمة عبارات ذات طابع خاص تستوقفني فيه" يستوقفي قول " **وايزمان"** لقد كان يجب أن تساعدنا دولة كبري، وكانت في العالم دولتان تستطيع كل منهما مساعدتنا المانيا وبريطانيا".

" أما المانيا فقد آثرت أن تبتعد عن كل تدخل ، وأما بريطانيا فقد احاطتنا بالرعاية والعطف ".

انقل هذه الفقرة عن **جمال عبد الناصر** نفسه، فيفما اذن كانت نجواه مع الضابط اليهودي سابق الذكر " **يردهان كوهين** " عن كفاح إسرائيل ضد الإنجليز ، وكيفية تنظيم إسرائيل لحركة المقاومة السرية.

إن حركة المقاومة الصهيونية السرية التي وردت في فلسفة الثورة لم تكن موجهة ضد الإنجليز ولكنها ضد عرب فلسطين بكل تأكيد. ثم يستطرد مؤلف فلسفة الثورة ليقول مباشرة بعد مناجاته مع صديقه **يردهان كوهين** فيقول « ثم أن هذا اليوم الذي اكتشفت فيه بذور الثورة في نفسي - أبعد من حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ الذي كتبت بعده خطابا إلي صديق قلت له فيه « ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خانعين»؟ . « الحقيقية إنني اعتقد أن الإستعمار يلعب بورقة واحدة في يده بقصد التهوين فقط ولو أنه أحس أن بعض المصريين ينوون التضحية بدمائهم ويقابلون القوة بالقوة لأنسحب كأي أمرأة من العاهرات ».

وليس لدينا من تعقيب على مايكتبه فى فلسفة الثورة ، إلا أن ما أورده فى صفحات كتابه لايتفق وعلم الفلسفة التى لاتحتمل الأسفاف فى الألفاظ والأبتذال فى المعاني، وكان من اليسير على من يدعى الفلسفة أن يعبر عما يجيش فى صدره بأدق العبارات وأصدقها حتى يثرى نظرياته بمبادئها وعللها الأولى فى إنسجام مع العقل والأذن. ولعله قد علم حيث لايجدى علم، صدق النصيحة التى يقدمها المولى سبحانه لعباده أن « أعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ، لأن الأستعمار يرتكن على القوة والبطش أيضاً، وليس كما يدعى المؤلف على إطلاقه. فالإستعمار يرتكز أولاً على قوة السلاح كما إنه يتسلل إلى الخونه فأن استعصى عليه تواجدهم توسل بالحمقى وأدعياء السياسة فهم أشد أضراراً ببلدهم من العملاء والخونة . ولنا فى ثورة ١٩٥٢ المثل الذى تحقق . كما يقول فى مقطع آخر « وكذلك فأن هذا اليوم ابعد فى حياتى من الفوران الذى عشت فيه أيام كنت طالباً أمشى فى المظاهرات الهاتفه بعودة دستور ١٩٢٣ ... وقد عاد الدستور بالفعل فى سنة ١٩٣٥ ... وأيام كنت أسعى مع وفود الطلبة، إلى بيوت الزعماء نطلب منهم أن يتحدوا من أجل مصر، وتألفت الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٦ بالفعل على أثر هذه الجهود .

ثم نرجع إلى كتاب نجيب فى معرض شرحه لأسباب الغاء دستور سنة ١٩٢٣ حيث يقول « بأن كثيراً من الوزراء السابقين تقع عليهم المسئولية الجنائية أو السياسية [1]... وهؤلاء لايمكن الوصول إليهم لأن الدستور يحميهم من القضاء العادى ويجعل لهم محكمة خاصة لاترفع أمامها الدعوى من مجلس النواب». « وهكذا كان

١- كلمتى للتاريخ - محمد نجيب ، ص ٢٠٤.

القانون يصل إلى صغار الموظفين بينما يعجز عن الوصول إلى الوزراء . ولم يجد **سليمان حافظ** حلا إلا فى إلغاء الدستور كله الذى يستند إليه هؤلاء فى تهريبهم من المحاكمة ». وفى موضع آخر يقول : "أن الكلام عن عودة الدستور أصبح شكة الدبوس التى تؤرق أغلب أعضاء مجلس الثورة" . كما خرج **اليوزباشى أحمد حمروش** رئيس مجلة التحرير فى أول إنتاج صحفى للثورة بأفيشات غطت شوارع مصر تحمل صورة البرلمان وأمامه جندى فى يده حربة أو سكين وتحتها شعار « **نحن حماة الدستور** ».

ولعل كتاب **خالد محى الدين** يلقى كثيراً من الضوء على علاقة ثورة يوليو بالديموقراطية حيث يقول [١] " إننا منذ الأيام الأولى لمحاولة بناء تنظيم الضباط الأحرار كنا نعتقد ونعلن ونتمسك بالديموقراطية كمخرج للوطن وللشعب، لكننا نسينا فى غمرة حماسنا ونحن ضباط عاديون أن الديموقراطية تعنى فى الأساس تداول السلطة، فما أن أصبحنا حكاما حتى نسى البعض ماتعاهدنا عليه ، وتمسك بالسلطة ولعلة قد منح نفسه طمأنينة إذ أكد لها أن البقاء فى السلطة بذاته حفاظ على منجزات الثورة وحفاظ على مصالح الشعب، ولاشك أن موقفنا هذا قد إستند أيضاً إلى فساد الحكم فى العهد الملكي، وإلى شكليه التوجه الديموقراطى ».

وفى مقطع آخر يقول صـ٢١٤ " وعندما جاءت أحداث مارس سنة ١٩٥٤ خاضها **عبد الناصر** بكل ثقله واستطاع أن يسير مظاهرات تهتف « **تسقط الديموقراطية** » وانتصر **عبدالناصر** فى مارس ١٩٥٤،

١- والآن اتكلم - خالد محى الدين ، ٢١٤.

ولكنه لم يدرك أن كسب جولة كهذه شيئ ، وكسب المسار التاريخى شيئ آخر. وفى اعتقادى أن مارس ١٩٥٤ ونجاح **عبد الناصر** فيه مثل تجربة ظلت تهيمن لفترة طويلة على أسلوب **عبد الناصر** فى الحكم وتصرفاته إزاء معارضيه ، واستمد من نجاحه فى مارس أساساً فعلياً لتجربته ، ولم يدرك أن مثل هذا النجاح وقتى بالضرورة ، ولم يكتشف متى يتعين عليه العودة للديموقراطية ، والتعددية الحزبية ، وإنساق وراء وهم نجاح التجربة حتى كانت هزيمة ١٩٦٧ ».

« وفى اعتقادى أن هزيمة يونيو ١٩٦٧ لم تكن هزيمة عسكرية ، بل هى فى الجوهر هزيمة سياسية لنظام فشلت آلياته فى إكتشاف ما إذا كانت البلاد جاهزة للحرب أم لا . وبعد الهزيمة كانت هناك فرصةتاريخية لتحقيق الديموقراطية . لكن هذه الفرصة ضاعت لأن الديموقراطية تتطلب من الحاكم أن يقدم تنازلات للشعب، ولم يكن **عبد الناصر** مستعداً - حتى رغم الهزيمة - أن يقدم أية تنازلات».

ثم ننتقل إلى كتاب **السادات** صـ ١٧٧ « **البحث عن الذات** » حيث يقول « فى سنة ١٩٦٥ كانت حالة البلاد الداخلية قد وصلت إلى مرحلة يرثى لها **فعلى صبرى** كرئيس للوزراء لايتخذ قراراً فى أى شئ... لأنه بطبعه يخشى المسئولية وربما لهذا السبب وقع اختيار **عبدالناصر** عليه . **فعبد الناصر** بطبيعته الدكتاتورية كان يتطلب من رئيس وزرائه أن يكون مجرد مدير مكتب ينفذ أوامره وحسب ، "وفى موضع آخر من ذات الكتاب يقول **السادات** إنه زار **جمال عبدالناصر**

زيارة مفاجئة فوجده مهموما حزيناً، يضع رأسه بين يديه وحينما سأله **السادات**" مالك شايل الدنيا على دماغك ليه ياجمال» . « قال أيوه فعلا أنا شايل الدنيا على دماغى يا **أنور** البلاد تحكمها عصابة وأنا مستحيل أكمل بهذا الشكل»... « أنا أبقى الوزير المسئول واللى يحكم هو **عبدالحكيم** وينفذ اللى عاوزه» « طيب أخرج أنا أحسن وأروح أقعد فى الاتحاد الاشتراكى ويتولى هو رياسة الجمهورية وأنا مستعد لأن أسأل على الفترة اللى قعدتها لغاية ما حأخرج ، أجاوب عن أى شئ » .. ويستطرد **السادات** فيقول :- كان واضحاً أن **عبدالناصر** كان على معرفة بمايجرى فى البلد والمشاكل المتراكمة منذ سنة ١٩٦٢ وماتفعله لجنة الإقطاع بالناس ، وضراوة مراكز القوى سواء من ناحية **عامر أو شعراوى جمعه وسامى شرف** أو **على صبرى** أو مستشاره الصحفي... وحجرهم على الحريات واحتكارهم لجميع الامتيازات»[١].

وواقع الأمر أن **جمال عبدالناصر** نفسه هو الذى أشعل نار الفتن فى مصر خصوصا بعد انفصال سوريا وما أصابه من جرح عميق فقد صورت له نفسه إنه معبود الجماهير وأن وجوده هو الضمان الأكيد لإستمرار الوحدة ، وقد شعر بالغضب الشديد ولم يكن أمامه إلا شعب مصر المسكين ليفرغ فيــه نقمته وانتقامــه ، ويروى **البغدادى** أن **جمال عبدالناصر** قد اجتمع بهم **وكمال الدين حسين وأنور السادات والشافعى** ليتحدث عن منفستو جديد وقد أفصح عن اتجاهه الماركسى بصراحه لم يعهدوها من قبل حيث يقول « الصورة التى نحن عليها

١- البحث عن الذات - أنور السادات ، ص ١٧٧ ، ص ١٨٣.

اليوم هى نفس سنة ١٩٥٤، أيام أزمة **محمد نجيب**، والأسلوب الذى اتبع فى سوريا من الرجعيين والرأسماليين وترديد الإشاعات هو نفس الأسلوب المتبع حالياً فى مصر، والهدف هو تحقيق ماحقق فى سوريا وثورتنا ثورة برجوازية . وقد جمدت من سنة ١٩٥٦ وانعزلنا ، وانغمس كل منا فى الروتين. وآن الأوان أن نحولها إلى ثورة جماهيرية . وكما قال لينين لابد من القضاء على الرجعيين والرأسماليين ونزع سلاحهم بمصادرة ممتلكاتهم لأنه حاول فى بداية الثورة البلشفية التعاون معهم ولكنه فشل ولم يفلح واضطر للقضاء عليهم. وكنت أعتقد أنه مخطئ ولكن قد تبين لى الآن أنه كان على صواب وأنا المخطئ . وليس أمامنا من حل غير القضاء عليهم وذلك باعتقالهم جميعا ووضعهم فى منطقة الوادى الجديد . وتجميد أموالهم» ... إلخ[1] .

ومثل هذه التوجهات توضح بجلاء مدى خطورته وتعطشه للسيطرة والتدمير وتصفية معارضيه أو من يتوهم أنهم يعارضونه ، وقد يظن البعض ممن لم يعاصروا أو يطلعوا على ماكان يجرى فى سجون **صلاح نصر، والبسيونى** وزبانيه **جمال عبدالناصر** أن ما أورده **البغدادى** كانت مجرد امنيات وتنفيس عن غضبه بكلام عابر إلا أن ما ذكره **جمال عبدالناصر** قد نفذ على أسوأ وجه فقد كان دائماً يعنى ما يقول حينما يتصل الأمر بسلامته أو سلامه نظامه حتى لو كان ضرباً من الظنون أو هاجساً من الهواجس ، ونرجع ثانياً لكتاب **محى الدين** فى الفترة التى كان يجرى فيها النزاع بين **جمال عبدالناصر والرئيس**

١- مذكرات البغدادى ، ص١٤٧.

محمد نجيب الذى عاد بقوة الشعب وإرادته كما انضم جزء ليس باليسير من الجيش إلى الحركة الشعبية المنادية بعودة **نجيب** - ومطالبا بالديموقراطية ، حيث يقول « انهمك **عبدالناصر** فى تنفيذ خطته، فحشد أكبر قدر من ضباط الجيش حوله ، وبالتحديد حشدهم حوله على أساس رفض الديموقراطية ، وأنها ستؤدى للقضاء على الثورة ، وبدأ عن طريق **طعيمه والطحاوى** فى ترتيب اتصالات بقيادات عمال النقل العام لترتيب الاضراب الشهير».

ويستطرد **خالد محى الدين** فيقول « **ولك عزيزى القارئ أن تتصور إضرابا لعمال النقل تسانده الدولة وتحرض عليه وتنظمه وتموله**» وتستمر روايته للأحداث فيقول « وأتوقف تحديداً أمام كلمة تموله هذه فلقد سرت أقاويل كثيرة حول هذا الموضوع ولكننى سأورد هنا ماسمعته من **عبدالناصر** بنفسي، فعند عودتى من المنفى التقيت مع **عبدالناصر** وبدأ يحكى لى ماخفى من أحداث أيام مارس الأخيرة... وقال بصراحة نادرة : لما لقيت المسالة مش نافعة قررت اتحرك ، وقد كلفنى الأمر أربعة آلاف جنيه»[1].

والإستطراد فى شرح أسلوب **جمال عبدالناصر** فى الحكم ضرب من التزيد فلقد كانت مصر مسرحاً حزيناً لأسوأ حكم فى العصر الحديث، وأن ما خفى من الأسرار يربو بكثير على ماهو معروف حتى الآن. ولم تكن القوانين التى يصدرونها والنظم التى يرسمونها أسلوبا

١- والآن اتكلم - خالد محى الدين ، ص ٢٠٥.

مدروسا سبق تطبيقه فى بلدان أخرى ولكنه كان فى الكثير من الاحيان ابتكار لعقل مريض ولعصابة منتفعه، حتى أن **عبدالحكيم عامر** على سبيل المناورة والإبتزاز كتب إلى **جمال عبدالناصر** يطلب إليه « أن يكون النظام الجمهورى رئاسياً أو برلمانيا ذلك لأنه لايوجد هناك نظام آخر غير هذا . كما ذكر أيضاً أنه يجب علينا أن نستفيد من خبرات الدول الأخرى فى التنظيمات السياسية ، ولانبتكر لأنفسنا نظاماً ، فريداً فى نوعه ».

عمرو بن العاص ومعاوية : وبتداعى الأفكار أعود إلى صدرالإسلام والنزاع بين **على** كرم الله وجهه و**معاوية ابن سفيان** ، وما كان من انحياز **عمرو بن العاص لمعاوية** ، وان كنت أود قبل سردى لهذه الواقعة أن أقرر منذ البداية أنه لاوجه للمقارنة بين رجال هذه الثورة وبين **معاوية** أو **عمرو** ولنترك الأمام بعيدا حيث مكانه الرفيع فى تاريخ الإسلام بل والإنسانيه جمعاء. أما خصماه فهما من دهاة العرب، ومن القادة الافذاذ، ومن رجال العلم والأدب والقدرة على سبر أغوار النفوس الإنسانية بما فيها من ضعف وجشع.

فمما لاريب فيه أن **عمروا ومعاوية** فى نزاعهما مع **على** كانا يدركان تمام الإدراك فضله وعلمه ونسبه وسابقته فى الإسلام ، كما يدركان ايضا أن العلاقة بينهما هى المنفعة فنجد **عمروا** يخاطب **معاوية** بعد أن استتب له الأمر وحسمت الخلافة لصالحه فيقول **«أتظن اننى قد ناصرتك على علي لفضل لك عليه ، لا والله وإنما هى الدنيا ، لتقطعن لى من دنياك قطعة أو لأنابذنك».**

هذا هو منطق الثورة في انطوائهم تحت الزعامة الناصرية رغم مثالبها وجهلها واضرارها بالبلد اضراراً جاوز مصر لتلقى بظلها السمج على كثير من الدول العربية أيضاً .

ففى بداية الثورة كان **جمال عبدالناصر** حريصا على إبعاد الجيش عن العمل السياسى تأمينا للثورة القائمة من أخطار الثورات

المحتملة ، وحتى لا تصبح البلاد نسخة مكررة من دول أمريكا اللاتينية . وفى سبيل ذلك فقد أتاح كافة الفرص امام الضباط فى الاعمال المدنية كما اصبحت وزارة الخارجية منفى للمغضوب عليهم من الضباط كما كانت لبعض ضباط الصف الثانى الآخرين مكافأة سنية . ويقول **محمد نجيب** أن تعيين **رشاد مهنا** فى منصب كبير خارج الجيش كان فاتحة لتعين ١٨ من اللواءات وكبار الضباط فى الوظائف المدنية والدبلوماسية . ثم استمرت سياسة اغراق الجيش بالامتيازات كأسلوب لتأمين الثورة .

وكما سبق أن اوردنا من قصه **عمرو بن العاص** فى مناصرته لمعاوية وكلاهما داهية من دواهى العرب ويعلمان من أمر بعضهما مالايخفى على أحدهما فقد طالب **عمرو** بجائزته لقاء مابذله فى مناصرته لصاحبه من تفريط فى الحق والشهادة ، وهو يعلم بفضل **سيدنا علي** واحقيته فى الخلافة . وكذلك فعل ضباطنا الأحرار منهم والآخرون الذين ليسوا بالأحرار، فقد طالبوا بقطع من الدنيا، وقد سارع **عبدالناصر** فى تعيين **عبدالحكيم** عامر قائداً للجيش مع ترقيته أربع رتب ليصبح لواءاً، وكانت مثل هذه الترقية سابقة فى الجيش المصري، لم يسبق حدوثها . وذلك برغم إعتراض زملائه من اعضاء الثورة بأنه لايصلح وأنه غير مهيئ لذلك ، ورغم اعتراض اللواء **نجيب** - إلا أنها الدنيا كما يقول **عمرو بن العاص**، فقد جاء قرار تنصيب **عبدالحكيم** قائداً عاما للجيش فى نفس الوقت الذى نادوا باللواء **نجيب** رئيساً للجمهورية ، **وبجمال** رئيساً للوزراء وبصحبه من الضباط

وزراءً فخفتت الإعتراضات وكان فى ذلك التمهيد لكل الهزائم اللاحقة . بل أنه بعد طرد **عبدالحكيم المهين** من سوريا وتحميله باسباب هزيمة سنة ١٩٥٦ العسكرية ، والتصرفات الشاذة فى سوريا فقد أصبح المشير **عبد الحكيم عامر** نائباً للقائد الأعلي، وقد اشترط إطلاق يده فى الترقيات وإدارة الجيش وفقا لرأيه ورأيه منفردا وبذلك تحول هذا الجيش إلى انكشاريه عسكريه تدين بالولاء لولى نعمتها، وأصبح هو القائد الأعلى الفعلي.

كما اقتحم الضباط ميدان الصحافة فأصبح منهم رؤساء تحرير الصحف فخفت كل رأى حر لترتفع أصوات المنافقين الذين صاغوا المعلقات تمجيدا **لجمال عبدالناصر** وزعامته الدولية الفذة التى تضيق مصر بمداها وحجمها.

وأصبحت محاباة الضباط ديدنا لنظام الدولة كما أصبحت الأولوية الأولى فى شغل المناصب الرئيسية والشركات ووزارة الخارجية وقفا على الضباط الذين تركوا الخدمة . بل أن **شمس بدران** بصفته مديرا لمكتب المشير كان يحرر الخطابات الدورية لكافة المؤسسات والشركات لموافاته بالوظائف الشاغرة مع الإلتزام بوقف التعيين إلا بعد الرجوع إلى مكتب المشير - تمكينا من حصر الوظائف الهامة وشغلها بالعسكريين.

وعلى غرار ما كان يطلبه **عمرو** من صاحبه بغير موارية أو حياء أن يقطع له من دنياه قطعة - فقد صودرت القصور برياشها ومتاعها

وتحفها هبات مبذولة للضباط بدعوى تعويضهم عن حياة الجيش الخشنة ، والمهام الشاقة التى توكل إليهم من حماية الدستور وفرض النظام. ولعل مثل هذه الأمور كانت تجرى بينما تغض الزعامة أنظارها عنها. وفى رأينا أن هذه المهام التى يطلقون عليها حماية الدستور وحماية الشرعية لاتخرج عن تمكين يد الإغتصاب وتمكين الدكتاتورية العسكرية من احكام قبضتها فى إدارة شئون البلاد للحفاظ على المكتسبات والامتيازات ونجد فى كتاب **البغدادى** قصة أوردها بشئ من الدهاء حينما كان فى زيارة **عبد الناصر** فعرض عليه التنزه فى حديقة منزله الخلفية لمشاهدتها بعد التوسع الذى جرى بها بعد نقل سلاح الاشارة من مكانه ، والذى كان يقع خلف حديقة منزله مباشرة قبل هذا التوسع(١)

كما وضع الرؤساء ايديهم على القصور والإستراحات الملكية ، إلا أن هذه القصور والإستراحات لم تعد صالحة لعظمتهم ، فأعادوا بناءها وتأثيثها ، كما توسعوا فى بناء استراحات جديدة فى أجمل بقاع القطر المصرى من شماله إلى جنوبه. كما اختفت كثير من المجوهرات الملكية وكنوز أسرة **محمد علي**، وكأنهم الوريث الشرعى للأسرة العلوية .

وكذلك دأب الجيش على اغتصاب اجمل بقاع مصر وشواطئها- وعلى سبيل المثال فقد قامت القوات المسلحة باحتلال سته كيلو مترات

١- البغدادى - جزء ثانى ، صـ ١٤٩.

من شاطئ **سيدى كرير**، واخلتها من الأهالي، وأقاموا مصيفا بالغ الفخامة حتى اننا قد سمعنا أن بعضهم قد قام ببيع الشاليةالمخصص له بما يقرب من مليون جنيه . حتى أن **أمين هويدى** وهو كما يقول عن نفسه انه احد ضباط القوات المسلحة قد هاله الامر فكتب مقالا بجريدة الاهالى ١٩٨٦/٧/٣٠ ليقول فيها «ولكن ان يصل الامر إلى أن يصبح الكورنيش فى الإسكندرية ، وقد تملكت القوات المسلحة أغلب مساحاته فهذا أمر غير مرغوب فيه لأنه يثير بعض المشاعر، ويطلق بعض الألسنة ، ويعطى فرصة لمن يريد أن يستغل الموقف للإثارة ، ويطرح أسئلة وتساؤلات نحن فى غنى عنها، فى وضع ضاقت فيه الصدور وتأزمت الأمور ».

« فقد تعددت النوادى والثكانات والمستشفيات بل والمساكن التى تقدر بآلاف الوحدات السكنية لضباط القوات المسلحة . بل يصل الأمر بالمسئولين إلى الإقدام على هدم الطوابى التى كانت رمزا لأحداث تاريخية شارك فيها الأجداد وشيدت بسرعة صاروخية . العمارات العالية من الكورنيش حتى الترام .. مئات العمارات وآلاف الوحدات السكنية » .

وفى آخر المقال يصرح **الهويدى** إن دافعه هو الحب لزملاء السلاح والخوف من تقولات الحاسدين ، ولعل ماخفى كان أعظم فإننا لاندرى الكثير عن المدن العسكرية التى قاموا بتشييدها على أحدث وأضخم مايصل إليه خيال.

وكذلك وضع الجيش يده على المعسكرات القديمة الواقعة فى نطاق المدن ، وكذلك المنشآت التى آلت للجيش بعد جلاء الإنجليز عنها، وأقاموا عليها مساكن للضباط ومنشآت للترفيه بالمخالفة للمبادئ الدستورية المتعارف عليها وتشير المادة ٣٠ من الدستور أن الملكية العامة هى ملكية الشعب، والمادة ٣٣ التى تؤكد أنه «للملكية العامة حرمة وحمايتها ودعمها واجب على كل مواطن » ذلك إنه ليس لوزارة الدفاع شأنها شأن الوزارات الأخرى شخصية معنوية مستقلة ومتميزة عن شخصية الدولة ذاتها. وإن كل المنقولات أو العقارات أو الأراضى التى تشغلها الوزارات هى ملكية عامة للشعب وللشعب وحدة .

وقد إنتهكت المبادئ الدستورية المتعارف عليها كما ابتذلت مواد الدستور ذاته فى مصر حتى أصبحت حبرا على ورق واختلطت ملكية الدولة بملكية المميزين من رجال الحكم واصبحت قطعا من قطع الدنيا يبذلها أولى الأمر للأنصار والتابعين.

سياسية الجهل وجهل الساسة

رب جهل خير من علم

ونرجع إلى كتاب فلسفة الثورة [1] حيث يقول **جمال عبدالناصر** أنهم بعد قيام الثورة ذهبوا يلتمسون الرأى من ذوى الرأى والخبرة ، ومن سوء الحظ أنهم لم يعثروا لديهم على الشئ الكثير « فكل من يقابلونه من رجال الفكر أو السياسيين القدامى أو أساتذة الجامعات لا هدف لهم إلا الأطماع الشخصية فكل رجل يقابلونه منهم لم يكن يهدف إلا إلى قتل الرجل الآخر، وكل فكرة يسمعونها لم تكن تهدف إلا إلى هدم افكار الآخرين». حتى تبين له بجلاء « إن هذه الفئات من السياسيين وأساتذة الجامعات كانوا هباءً لافكر لديهم ولاخلق، ولايحملون لبلدهم الحب والإيثار والتضحية التى كان يتصف بها زملاؤه من أعضاء مجلس الثورة ، ومعظمهم كانوا أساتذة فى كلية أركان الحرب، وهذا دليل امتيازهم كجنود محترفين ».

وتمضى الأيام فإذا بهؤلاء المحترفين الذين كان يباهى بهم وقد ضربوا الأرقام القياسية فى هزائم الحرب، ولم يكن حظهم من السياسة بأسعد من حظهم من الحروب.

ويشئ كثير من الزهو والعجرفة يباهى رجال السياسة وأساتذة الجامعات أن ثلاثة من زملائه فى مجلس قيادة الثورة وهم **عبد الحكيم عامر، وصلاح سالم، وكمال الدين حسين** قد رقوا ترقيات

١- فلسفة الثورة - جمال عبد الناصر ، ص ١٧ .

استثنائية فى ميدان القتال وعلى حد تعبيره حرفيا يكتب « لم أشأ أن أقول لهم شيئاً من هذا ، لأنى لا أريد أن أفاخر الناس بأعضاء مجلس قيادة الثورة وهم أخوتى وزملائى ». ونرجع إلى التاريخ القريب من ثورتهم المشؤمة فنجد أن الثلاثة الذين يباهى بهم من زملائه ، وقد قضى عليهم جميعاً فأولهم **عبد الحكيم عامر** قد اضطره إلى الإنتحار بعد أن كبد مصر بأبشع هزيمة فى تاريخ الحروب فى العالم، أو إنه كما يروجون قد مات مسموما فى معتقله الصغير الذى أقتادوه إليه . كما قذف **بصلاح سالم** خارج كرسى الوزارة - ومجلس قيادة الثورة بعد أن إنتهت قضية السودان إلى فشل مدو على يديه ، وتمخضت عن كارثة مازالت آثارها تلاحق مصر حتى الآن، وقد تخلص **جمال عبد الناصر** من مسئوليته التاريخية ليلقى بها على رأس **صلاح سالم** وحدة ، وقضى الرجل نحبه وهو يتجرع مرارة الحسرة والغضب بعد أن وجه اتهاما صريحا **لجمال عبدالناصر** وبطانته بالعمل على إفشال المفاضات تنفيذاً لسياسة الأمريكين والإنجليز . كما اعترف **البغدادى** منذ البداية، بأن أغلب أعضاء مجلس قيادة الثوره يوقنون أن **صلاح سالم** لم يكن إلا منفذاً لسياسة المجلس فى السودان ، ولم تكن تلك سياسته هو، وإنما كانت أخطاؤه فى التنفيذ وحسب.

ونأتى إلى ثالثهم **كمال الدين حسين** الذى يباهى به **جمال عبدالناصر** رجال الفكر والسياسة ، وقد أمر باعتقاله بعد أن وجه إليه خطاباً فى ١٩٦٥/٥/١٢ يقول له فيه إتق الله .. قالها الله

سبحانه وتعالى لنبيه **(ياأيها النبى اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين)** . فأمر باعتقاله وآثرت أسرته أن تلازمه فى معتقله . - وقطع عنهم الاتصال الخارجى حتى أن السيدة حرمه قد قضت نحبها بعد أن رفض السماح لهم باستدعاء الطبيب أو الحصول على الدواء ، كما رفض السماح له بالخروج ليشيع رفيقه حياته إلى مقرها الأخير[1]. أما هو الذى يباهى بأن زملاءه من أعضاء مجلس الثورة هم الأعظم والأعلم فأننا نقول لهم أن العلوم التى تمارس فى غير موضعها هى من الخطورة بمكان : ورب جهل خير من علم.

الصديقان اللدودان : ولا نود أن نترك هذا الباب قبل أن نعرض لمدى الضررالبالغ الذى ألحقه الصديقان **جمال وعامر** حينما أنفرط عقد المودة بينهما - فقد رشحه **جمال عبدالناصر** فى بداية الثورة قائداً عاماً للجيش كما سبق أن أوضحنا ضاريا بالمصلحة العامة عرض الحائط ، ولم يكن اختياره **لعبدالحكيم عامر** إلا لحماية جبهته الداخلية وتأمين الجيش لصالحه رغم ما يعلمه الجميع من الصفات الشخصية للمرشح التى لا تؤهله لهذه الوظيفة البالغة الأهمية لسلامة الوطن وتأمين حدوده.

كما سبق أن أوردنا اعتراض **اللواء محمد نجيب على** تعينه - وأعتراضه على ترقيته أربع رتب فوق رتبته حتى يكون مؤهلاً لشغل منصب القائد العام. كما كان مجلس الثورة بأجمعه كما نتبين من مذكراتهم يعلمون علم اليقين أن **عبد الحكيم عامر** لايصلح لهذا

١- الصامتون يتكلمون .

المنصب إلا أنهم جبنوا عن مواجهة الزعيم والوقوف فى وجه رغباته - وكانت دعواهم فى ذلك أن **عبد الحكيم** هو أقرب أعضاء مجلس الثورة له ومن أجل ذلك وقع اختياره عليه حتى يؤمن نفسه ويضمن ولاء الجيش - وربما تفسر معارضتهم لتعينه بتفسيرات هم فى غنى عنها كما جاء فى كتاب " **الصامتون يتكلمون**" - ولعل القارئى يتبين أن الصامتون كانوا عند صمتهم شياطينا خرساء[1] وانهم لم يتكلموا إلا عندما أصبح الكلام رخيصا . ويروى **أنور السادات** فى كتابه البحث عن الذات إنه سرعان ما انقلب الصديقان إلى عدوين متنافسين فهو يقول[2]) لقد كان كل منهما يعرف الآخر حق المعرفة ويتربص بالآخر فى غيابه وحضوره». كما يستطرد **السادات** فى كتابه فيقــول أن **جمال عبدالناصر** كان يدرك مسئولية **عبد الحكيم** عن كارثه انفصال سوريا بسياسته الخرقاء وسوء اختياره لرجاله حتى إنه قد أتضح أن أخطر المتآمرين على الوحدة كان هو بعينه المدير السورى لمكتب **عبدالحكيم** ورغم كل ماحدث [3] فأنه رقى **عامر** من منصب قائد عام للقوات المسلحة إلى نائب القائد الأعلى بسلطات القائد العام» . بل إنه قد فاته أن يقول أن النقل كان بسلطات القائد العام والقائد الأعلى ذاته منفردا بكل شئون الجيش. كما يقول **السادات** فى مذكراته أن نقطة الضعف الكبرى عند عبد **الحكيم** تكمن فى سوء اختياره لمعاونيه بشكل فاضح « وكان من أبرز ملامح شخصيته روح القبلية فهو يساعد من يعاونه على حق أو على باطل»[4] وإذا مارجعنا لكتاب

١- فى حديث عن الرسول الكريم " الساكت عن الحق شيطان أخرس".
٢- البحث عن الذات ، ص ٢٠٦.
٣ ، ٤ - البحث عن الذات ، أنور السادات ، ص ٢٠٩ ، ص ٢٠٥.

هيكل « خريف الغضب » نرى أن **هيكل** يزعم فيه أن **السادات** كان يرقب الصراع مابين الصديقين حتى يتجه بولائه إلى الأقوى منهما ، وأن **السادات** كان فى وقت ما من الصحبة العامرية .

ولقد بلغت جرأة **عبدالحكيم عامر** واستهانته برئيس الجمهورية **عبدالناصر** إنه قد وضع تليفونه وجميع أجهزة زملائه من أعضاء مجلس الثورة تحت المراقبة ، وذلك بتواطؤ أحد رجاله وهو **صلاح نصر** رئيس المخابرات فى ذلك الوقت ، وقد كان **جمال عبدالناصر** يدرك هذا حتى إنه نصح زملاءه بتغيير أجهزة التليفون بأجهزة أخرى لايمكن إختراقها وقام هو بتوزيعها عليهم .

كما نظم **عبدالحكيم عامر** وفقاً لما جاء فى مذكرات **البغدادى** جهازا سريا من الضباط الموالين له والمدافعين عن مصالحهم وبلغت به الجرأة إنه قد حاول بالفعل اختراق الحرس الجمهورى بتعيين ضباط من المتآمرين بهدف قلب نظام الحكم . إلا أن **جمال عبدالناصر** كان على علم بمايدبره المشير فأفسد عليه سعيه[١] .

ومن جانب آخر وإذا مارجعنا لكتاب **صلاح نصر "المشير والمصير"** نجد فيه أن **عبد الناصر** حينما قرر التخلص من الضباط الأحرار وتصفيتهم ، قام بإنشاء خلايا سرية له داخل القوات المسلحة من بعض الضباط الموالين له ، وكان سامى شرف يشرف على هذه الخلايا « وكان الغرض من هذا التنظيم أن يكون بمثابة الدرع

١- البغدادى - الجزء الثانى ،ص ١٧٦.

الاحتياطى الذى يحمى **عبدالناصر**، ولذلك قيل لأفراده أن مهمتهم هى مقاومة أى انقلاب فى القوات المسلحة عن طريق الرقابة وكتابة التقارير عما يجرى داخلها .. وقد وعد هؤلاء الأفراد بأنهم سيعينون فى المراكز الحساسة التى تسيطر على القوات المسلحة ». « وقد عهد بتوجيه هذه الجماعة أيديولوجيا إلى شخص يدعى الشيخ **دنيا**، كان يزعم إنه يتنبأ بالغيب، وقد حصل على ثقة **عبدالناصر**، حينما تنبأ له بموعد قيام حرب ١٩٥٦ ».(١)

وعلى القارئ أن يدرك إننى نقلت السطور الأخيرة بحرفيتها بدون أى تغيير فيها نظرا لخطورتها وغرابتها حتى أنى لا أكاد أصدقها. ولكننا هنا أمام مذكرات الضباط الأحرار أنفسهم والخيوط التى أمسك بها هى من واقع غزلهم. ولنا هنا أن نتساءل عن أى بلد نحن نتحدث - أننى أكاد لا استبين وجه مصر فى مثل هذه الأحداث، ومن هو **عبدالناصر** هذا؟ أهو الممثل القديم لون شان ذو المائة وجه ولكن أحدا لايعرف وجها منها أم هو كما وصفه الزعيم السورى **شكرى القوتلى** حين يقول أنه الرجل ذو المائة عين ولكنه لايبصر بواحدة منها.

لقد كان **عبدالناصر** يباهى الناس ويحذرهم أنه يعلم بدبيب النملة، فإذا بالأحداث تدور وهو لايعلم من أمر نفسه شيئاً، ورب جهل خير من علم.

١- صلاح نصر - ثورة ٢٣ يوليو - بين اليسير والمصير .

أن الطيور على أشكالها تقع :

يدعى **عبدالناصر** إنه كان مضطراً بعد قيام الثورة للأضطلاع بأعباء الحكم بعد أن وجد الشعب متقاعسا خانعا كسولا فوضويا على حد تعبيراته فى كتابه فلسفة الثورة .

وقد كان يتصور قبل ٢٣ يوليو "إن الأمة كلها متأهبة متحفزة، وأنها لاتنتظر إلا طليعة تقتحم أمامها الأسوار، فتندفع الأمة وراءها صفوفا متراصة تزحف زحفا مقدسا إلى الهدف المنشود » ولكنه انتظر وطال انتظاره وأحس بخيبة الأمل، لأن الشعب ظل ساكنا خانعا فأضطر هو وصحبه الأبرار إلى التضحية بذواتهم إلى حد أنهم اضطروا إلى الحكم إضطراراً ومن واقع نصوص كتابه أنقل مايلى «كانت الجموع التى جاءت أشياعاً متفرقة وفلولا متناثرة ، وتعطل الهدف المقدس إلى الهدف الكبير ، وبدت الصورة يومها قاتمة مخيفة تنذر بالخطر» فساسة مصر القدامى كلهم فى رأيه أنانيون وكلما سأل واحد منهم عن مشكلة يلتمس عنده حلالها ، لم يكن يسمع إلا أنا .

مشاكل الاقتصاد كما يذكر الكاتب هو وحده يفهمها ، ومشاكل السياسة هو وحده الخبير، كما يزعم ايضا إنه ذهب إلى الجامعة ليناقش اساتذتها ، إلا أنه من سوء الحظ أن أحدا منهم لم يقدم له افكارا جديدة وإنما كل واحد منهم لم يزد على أن قدم نفسه للزعيم ، كما أن جميعهم كانوا ينافقونه ويدعون أنهم يؤثرونه على انفسهم بكنوز الأرض وذخائر الخلود.

وهكذا لم يجد **عبدالناصر** بدا من أن يضحى وأن يتولى أمر مصر هو وأعضاء مجلسى قيادة الثورة . ولما كنا على يقين أن مصر كانت ومازالت غنية برجالها وبصفوتها على مر التاريخ، فأنه أن صدقت رواية الزعيم يكون هو الذى أخطأ العنوان ، لأن الطيور دائماً تقع على أشكالها من الدجالين والمنافقين. ولأن رجالات مصر ليس هذا خلقهم أو طبعهم من التدنى الذى رسمه هذا الضابط. بل أن زعماء مصر وساستها وصفوتها كانوا رهن السجون ومحاكم الثورة .

عجرفة القوة

يقول **عبد الناصر** فى كتيبه فلسفة الثورة « ما أسهل الحديث إلى غرائز الناس ، وما أصعب الحديث إلى عقولهم وغرائزنا جميعا واحدة، أما عقولنا فموضع الخلاف والتفاوت، وكان ساسة مصر فى الماضى من الذكاء بحيث أدركوا هذه الحقيقة فأتجهوا إلى الغريزة يخاطبونها ، أم العقل فتركوه هائماً."

وأود أن أنقل من واقع مذكرات **البغدادى** صورة صادقة عن زعيم الثورة **جمال عبد الناصر** عند هزيمة سنة ١٩٦٧، حيث إنه كان شاهد رؤية ولديه شهود لما أورده من وقائع حتى يدرك القارئ معدن الزعيم ، ومن هو الذى يخاطب الغرائز ، ومن هو الذى يترك العقل هائماً أهم الساسة القدامى كما يدعى أم هو بذاته صاحب تلك الصفات ، ومذكرات **البغدادى** تكتسب أهميتها من حيث إنه كما يقول فيها إنه لايعتمد على الذاكرة وأنه كان يسجل محصول الحوادث يوميا عند عودته إلى منزله بالمساء.

ومن واقع المذكرات سوف يدرك القارئ أن زعيم الثورة الذى دأب كل يوم على رفع عقيرته منددا بالإستعمار وأعوان الإستعمار كان هو المسئول الأول عن احتلال إسرائيل لمصر، وعن دعوته للروس للدفاع عن سماء مصر، ثم اكتشف فى النهاية وعلى حد تعبيره أن الروس مرعوبين من الأمريكان.

يقول **البغدادى** إنه بعد أن اتضح حجم كارثة حرب يونيو وتحدد مصيرها. كان هو وبصبحته **كمال الدين حسين وحسن ابراهيم** بالقيادة فى مكتب **عبدالحكيم عامر** وقد أخبرهم أنهم قرروا الإنسحاب نهائياً من سيناء، وأن الطائرات الإسرائيلية تهاجم قواتنا المكشوفة بالصحراء بصورة قاسية ، ونجد مجموعة **البغدادى** تناقش مسئولية **جمال عبد الناصر** الجسيمة من هزيمة يونيو مسئولية مباشرة . كما نجد من واقع مذكرات **البغدادى** أن نظام الحكم هو الذى كان وراء هذا الانهيار السريع -بسبب عدم اعفاء **عبد الحكيم** من المسئولية لأنه على حد قوله كان عاملاً أساسياً فيما وصل إليه الجيش من انحلال وضعف وفى رأينا أن **جمال عبد الناصر** هو المسئول عن اختيار المشير **عامر** وأن تكن مسئوليته تضامنية مع أعضاء مجلس الثورة الذين وافقوه على هذا التعيين ، وكذلك مسئولية اللواء **نجيب منذ البداية**.

ولعله كان من الممكن فى ذلك الوقت ايقاف **ناصر** عند حدوده قبل أن يتأله ويستخف بزملائه بل وبرئيس الجمهورية فيطيعونه.

فى غرفة القيادة أدرك **البغدادى** وصحبه حجم الكارثة وكان يظنون إنه ما من سبيل آخر أمام **عبد الناصر** إلا الانتحار، بعد أن" أضاع شرف الأمة فى سبيل طموحه ومجده الشخصى وهو العار الذى لاينمحى أبد الدهر" وفقاً للنص الذى أورده فى كتابه ، وبينما هم فى انتظاره، وإذا به يقبل عليهم وهو يبتسم ويسجل **البغدادى** فى كتابه مانصه « وتساءلت بينى وبين نفسى هل يمكن لإنسان فى مثل مسئوليتة أن يبتسم فى مثل هذه الظروف... يبتسم على ضياع

مستقبل وشرف أمة بأكملها - وهو المسئول الأول عن هذا !!! لم أصدق عيني».

.... وحين سأل **بغدادى جمال عبدالناصر** عن وعود الروس بالمساندة ، رد عليه بقوله أنهم مذعورون من الأمريكان.. وفى موضع آخر يكرر نفس المعنى أن الروس مرعوبون من الأمريكان، وحينما حاول الفرسان الثلاثة **البغدادى وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم** مناقشتة أجابهم **« نناقش أيه ما الجيش راح »**.

حينما أوردت مذكرات **البغدادى** واندهاش **جمال عبدالناصر** من تقاعس الروس وانهم مذعورون من الأمريكان، عدت بتداعى الافكار إلى كتاب **السادات** فى بحثه عن ذاته حيث يسجل أسباب إنسحاب قوات الدول الثلاثة الغازية فى حرب السويس ١٩٥٦ بمجرد توجيه الإنذار الأمريكى اليهم، فصدعوا للأمر، وحكمه بن جوريون حينما فسر انسحابه بقوله **« لابد من الخوف مما لابد من الخوف منه »**. وهكذا فعل **السادات** فى حرب ١٩٧٣ ، ولعلها أقوى مواقفه حينما استجاب للموقف الأمريكى بقوله **« أننى لاأستطيع محاربة امريكا »** وبذلك وضع نفسه فى مكان رجل الدولة المسئول، وكان رد فعله متفقاً مع الأحداث. أما موقف **جمال عبدالناصر** فهو شئ آخر حيث لايعنيه إلا تضليل جماهير شعب مصر، فحينما أدرك حجم الكارثة فى حرب ١٩٦٧ كان رد فعله المباشر هو طلبه إلى **عبد الحكيم عامر** أن يرسل شيئاً للصحف كما جاء فى مذكرة **البغدادى** لتعرف الناس الموقف وعلى حد قوله حرفياً « أن نقول مثلاً أننا توغلنا فى أرض العدو وخلافه - لأن العدو سيذيع بيانات ونحن لانذيع شيئاً [(١)] .

١- البغدادى الجزء الثانى من مذكراته ، ص ٢٨٧ .

وشتان مابين مواقف الساسة المحترفين وبين الأدعياء، وقد عرفنا كيف يتصرف رجال الدولة المسئولون ، ورأينا الأدعياء الذين لاهم لهم إلا تضليل شعوبهم بعد أكبر نكبة فى تاريخ مصر الحديث، والقديم ، وليس أمامنا إلا أن نستعير ما أورده **جمال عبدالناصر** نفسه فى كتابه عن الزعماء الذين يخاطبون غرائز الشعب أما العقل فأنهم يتركونه هائماً، فليس هنالك من هو أحق بهذا الوصف منه شخصياً.

وقبل أن ننتقل من هذا الباب الذى نقلنا فيه بعض انطباعات **البغدادى** عن ردود فعل **جمال عبدالناصر** إزاء هزيمة سنة ١٩٦٧ فإننى أود أن انقل واقعة من مواقف المشير **عامر** حتى يدرك القارئ كيف كانت تحكم مصر بحثالة من الحشاشين.

يقول إنه كان يشاهد **عبد الحكيم عامر** وهو يتابع مسار الحرب وإنه كان مندهشا أن المشير كان مشغولا عن متابعة سير العمليات مع قادة الأسلحة والقادة المحليون بالتافه من الأمور وبصغار الضباط(٢).

ويبدو أن ضابطا جباناً كما تصفه المذكرات كان فى مطار العريش حاول الاحتفاظ بمدفع ٥٧ملم مضاد للدبابات للدفاع عن نفسه، بينما كانت دبابات العدو تهاجم بلدة العريش، ولذلك اتصل به **عبدالحكيم** مرارا طالبا منه نقل المدفع إلى البلدة المحاصرة دون جدوي. وكما يروى **البغدادى** فى مذكراته أن **عبد الحكيم عامر** ظل ثلاث ساعات كاملة فى محاولة منه لأقناع هذا الضابط بنقل المدفع المذكور لدرجة إنه كان يهدده بالقتل، حتى أنقلب الموقف إلى مادة للسخرية والتفكه . هكذا حكمت مصر وهكذا هزمت فى حروبها.

١- البغدادى ، الجزء الثانى من مذكراته ، ص ٢٨٤ .

البحث عن الذاتيات

لعل **السادات** فى اختياره البحث عن الذات عنوانا لكتابه كان موفقا إلى حد بعيد، وأن كان البحث عن حقيقة ذاته لهو من المهام البالغة الصعوبة ، وما نظنه يرحمه الله قد وفق فى هذا البحث أو أقترب منه، وربما كان من الانسب أن يكون عنوان كتابه هو التنقيب عن الذوات (جمع ذات) . ونحن إزاء صيغة الجمع هذه إنما نلتمس لأنفسنا مخرجا بإمساك طرف لخيط من حزمه بالغة التشابك والتعقيد. **فالسادات** شخصية بالغة الثراء من حيث تعددها وتناقضها وجنوحها وجموحها ووضاعتها وشموخها ونكوصها واقدامها وبساطتها وطموحها للمغامرة والمضاربة بل والمقامرة وشتان مابين مضارب ومقامر.

ولكنه رغم دراستى لها ومعرفتى ببعض خباياها من خلال الآخرين لا أستطيع إلا أن أشعر إزاءة بالمودة والتماس الغفران ، وكذلك بالفضول.

إلا أن الأحاسيس الشخصية شئ والتقييم الموضوعى شئ أخر تماماً. سمعت من الدكتور **عبد الجليل العمرى** نقلاً عن المرحوم **أحمد باشا عبدالغفار** يروى إنه بينما كان يتنزه فى قريته وإذا بمجموعة من الأطفال تلعب فأستوقفهم ورأى أن يتبسط معهم ويسألهم ابن من أنت وفى أى فصل دراسى وماذا تريد ان تكون : وسمع منهم هذا يريد ان يكون طبيباً ، وذاك مهندسا وما إلى ذلك حتى جاء الدور **على صبى** منهم نحيف أسمر عرفه بنفسه أننى **أنور**

محمد الساداتي وأريد أن أكون ملكا - ولم يستطع الباشا إلا أن يتذكره منذ هذه اللحظة حتى آخر حياته.

كما أنني أعرف للرئيس **السادات** إنه كان في بعض حالاته سمحا كريما. ففي محكمة الثورة التي يرؤسها **البغدادي**. لم يكن من خصال **السادات** التشفي أو التوقح على من أوقعهم الحظ العاثر تحت طائلتهم.

ولقد كنت وثيق الصلة برجل **مصر العظيم إبراهيم عبدالهادي**، وأدركت أنه لم يكن حانقا على **السادات** رغم إنه كان عضوا بهذه المحكمة التي حكمت عليه بالإعدام إرضاءاً للإخوان المسلمين وتنفيذا للأمر الصادر إليهم من أعلى - إلا أن **السادات** احترم الموقف وتعاطف مع الرجل الذي يحاكمونه وأن لم تنبس شفتاه بحرف واحد يؤخذ عليه، وهو الموقف الذي لم يستطع رئيس المحكمة التي تفتقر إلى الوقار والشرعية أن يرتفع إليه. كما أن **السادات** حينما تولى الحكم أسرع بالغاء أمر الاستيلاء على أموال **إبراهيم باشا**، وظل على أكرم صلة به ، وكان يعوده في مرضه ويقبل يده وجبينه، وهو ضرب من السمو الإنساني، لايستطيع الارتفاع إليه إلا رجل سمح كريم.

والجدير بالذكر أن **إبراهيم عبدالهادي** كتب سطرين بالأهرام أعرب فيهما عن شكره لمبادرة الرئيس الكريمة بمعنى إنه لم يطلب شيئاً وإنما هو الرئيس الذي بادر بإلغاء أمر المصادرة - وأعلم أيضا أن السادات كرّم رجال النيابة والقضاء الذين انصفوه في قضية **أمين عثمان** إلا أنه عن قصد وبموجب أسباب لديه محددة قد تناسى محاميه

فى هذه القضية الدكتور **زهير جرانه** وهو الذى حصل له على البراءة رغم أن **السادات** لم يكن بعيدا عن مقتل **أمين عثمان**.

ورغم أننى أجزع من فكرة الاغتيال، إلا أنه قد استقر فى وجدان الشعب أن **أمين عثمان** كان من المتعاونين مع الإنجليز. كما كان الملك يعتبره مسئولاً عن حادث ٤ فبراير ولعل **السادات** قد استشعر الحرج من أن تكريم **زهير جرانه** قد يثير التساؤلات عن كيفية قبول محام فى حجمه بالترافع عنه خاصة وإنه لم يكن بقادر على أتعابه ولايخفى على القارئ أن الدكتور **جرانة** قد ترافع عن **السادات** بتكليف من الملك الذى قام بسداد الأتعاب من جيبه الخاص عن طريق الدكتور **يوسف رشاد**.

ورغم هذا الإغفال ، إلا أنه إنصافاً للحقيقة فإن **السادات** لم ينس صنيع الرجل ، وقد ذهب إلى بيته معزيا أسرته عند وفاته.

بل أن **السادات** هبّ لمساعدة نجل الفقيد الدكتور **هانئ جرانه** حينما تعرض أسمه للاشاعات المغرضة فى قضية تمسه بأن أصدر لصالحه عقد توكيل محام عنه حتى يحيطه برعايته الشخصية كرئيس للجمهورية ، وقد عرفت بهذه القصة نقلا عن صديقى **الدكتور حسن جرانة شقيق الدكتور ، زهير جرانة وعم الدكتور هانى**(١).

ولعل من أطرف قصص **السادات** هو ماوراه صديق لى من ضباط الثورة ، وكان حاضرا فى حفل أقامه الرئيس تكريما للفنانين – ويبدو أن الأستاذ **زكى طليمات** وهو ضمن المكرمين حضر متأخرا، فإستشعر الحرج حينما فوجئ بتواجد الرئيس عند حضوره.

١- صورة من عقد التوكيل الصادر عن الرئيس محمد أنور السادات.

عناية الدكتور محمد جرانه

بسم الله الرحمن الرحيم

توكيل رسمي عام

رقم ٢٧٨٩ (أ) / ١٩٨١ توثيق
إسكندرية

إنه في يوم الثلاثاء الموافق الثامن والعشرين من شهر شعبان سنة ١٤٠١ ألف وأربعمائة وواحد هجرية
والموافق الثلاثين من شهر يونيه سنة ١٩٨١ ألف وتسعمائة واحد وثمانين
الساعة ١٢ ١٥ ... بمكتب توثيق إسكندرية ... إستراحة السيادة رئيس الجمهورية
أمامنا نحن / عفاف محمد كامل رئيس التوثيق بالمكتب المذكور وبحضور كل من :

(١)
(٢)

الشاهدان الحائزان لجميع الصفات المطلوبة قانونا والثابتان لشخصية الحاضر طبقا للقرار الجمهوري رقم ٨٢٠ لسنة ١٩٦٣ كشاهدي معرفة .

حضر

السيد الرئيس محمد أنور السادات

المقيم سيادته باستراحة المعمورة بالإسكندرية

يقرر سيادته أنه يوكل السيد المستشار / أحمد هاني جرانه المحامي
بشارع مراد حسني رقم ٨ بالقاهرة . وذلك

في جميع القضايا التي ترفع منه أو عليه أمام جميع المحاكم على إختلاف أنواعها ودرجاتها وفي المرافعة والمدافعة واستلام الأحكام وتنفيذها وفي تقديم الأوراق لقلم المحضرين واستلامها وفي الصلح والاقرار والانكار والابراء والطعن بالتزوير وطلب تحليف اليمين الحاسمة وردها وقبولها وفي تقرير الخبراء والمحكمين وردهم واستبدالهم وفي طلب تعيين الخبراء وفي الحضور أمام المحاكم بكافة أنواعها من قضايا تصرفات وخلافه وفي التقرير بجميع المعارضات والاستئنافات والاشكالات والالتماسات في القضايا المدنية والجنائية والجزئية والأحوال الشخصية وفي التقرير بالنقض في الأحكام وتقديم المذكرات وفي اتخاذ جميع ما تقتضيه إجراءات التقاضي مما يجب وفي الحضور أمام الجهات الادارية أيا كانت ومصالح الحكومة ومكاتب الشهر العقاري ومأمورياته وجهات الادارة ومجالس البلدية والبنوك والبوسته وفي الحضور أمام مصلحة الضرائب ومأمورياتها ولجان الطعن وتقديم المذكرات واستلام صور التقديرات والمناقشة فيها وقبول ما يرى قبوله ورفض ما يرى رفضه وفي تقديم الرسوم والأمانات للمحاكم وتسويتها وقبض باقيها وفي صرف الودائع بأنواعها من خزائن المحاكم وفي استلام وتسليم الأوراق والأوامر والأحكام والسندات والعقود العرفية والرسمية من والى أقلام الكتاب بالمحاكم والجهات الادارية والتوقيع نيابة عنه بالاستلام في كل ما ذكر وفي التقرير بفقد القسائم والتوقيع على محاضر المخالفات .

وأذنته بتوكيل الغير نيابة عنه في ذلك كله أو بعضه من المحامين وتحرر هذا توكيلا منه بذلك وبما ذكر تحرر هذا التوكيل في اليوم والشهر والسنة المذكورين أعلاه وبعد تلاوته بمعرفتنا على الحاضرين بصوت عال مرتفع توقع عليه منا ومن الحاضرين .

ويحتوي هذا التوكيل على وجه واحد الدقة ... أسطر و بدون إضافة أو كشط أو تحشير أو مرفقات وبذا تم التوثيق رئيس ...
الموكل بإمضاء

ملحق إسكندرية
انتقال ...
مقرر / ٨٠٠
إضافي ٥٠٠
ختم ٥٠٠
أتوبيس طابع ٤٥٠
... ٥٠
٣٢٠٠
أربعة جنيهات
وثلاثمائة ... مليم

٩٠٦١٩٨
١٩٨١/٦/٢٩
مراجع

وبينما هو يتسحب فى طريقه لمقعده ، وإذا بالرئيس يصيح به فى صوت مسموع **يازكى** ، ويهرع الأستاذ **طليمات**، ويسر الرئيس فى أذنه ببضع كلمات، يستغرق بعدها الأستاذ فى ضحك لاينقطع حتى بعد رجوعه إلى مقعده . وعند إنتهاء الحفل أسرع صديقى بفضول شديد يستخلف **زكى طليمات** أن يحكى له سر استغراقه فى الضحك، فقال له يبدو أن الرئيس قوى الذاكرة لاينسى شيئاً، وكان قد تقدم فى صدر شبابه إلى لجنة لأمتحان المواهب الفنية فى التمثيل، وكنت محكما بها ورأيت إنه لايصلح ، ولعله لايزال يذكر لى هذا.وسأله صديقى وكيف عرفت هذا ؟ فأجباه **زكى طليمات** لقد نادنى **يازكى** وحينما ذهبت إليه وإذا به يسر فى أذنى **« مش كده أحسن »**.

وفى حرب ١٩٧٣ فقد بلغ تحمس الأميرات كريمات الملك **فاروق** مداه بالمنفى فى سويسرا، وقد تبرعن بما يفوق طاقتهن، رغم أن المبلغ فى حد ذاته لم يكن شيئاً يذكر . إلا أن **السادات** وهو يعلم تماما أن الأميرات يضطررن للعمل اضطرارا لمواصلة الحياة قد هزه هذا الإسهام المتواضع هذا حتى إنه أرسل فى الحال إليهن موظفا من السفارة يحمل اليهن جوازات سفر مصرية .

ومن الطريف أن السفارة قبل إرسال جوازات السفر فقد قامت بسؤالهن عن أسمهن الثلاثي، وكما روت لى وسطى كريمات الملك إنه لم يسبق لها تركيب الأسم ثلاثيا فركبته بالإسم ثم الوالد ثم الجد. لكى يكون **فوزيه فاروق فؤاد** .

كما أننى أعلم احتفاءه بالأميرة **فريال**، وأنه أسرع إلى تلبية رجائها بنقل رفاه والدها من قبره المجهول إلى مسجد الرفاعي.

وكذلك فى خطبة له فقد أفصح **السادات** وهو بالغ الزهو أن الملك **السابق فؤاد** نجل الملك **فاروق** قد استأذنه في زواجه فأذن له ، وأهداه سيفا من سيوف أبيه كهدية زواج ، ولست أدرى هل كان هذا الإذن بالزواج عن سلامة طوية أم عن تدبير حيث أن المرشحة للزواج يهودية الديانة ، وبذلك فقد أصبح تطلع الملك السابق للعرش مستحيلاً.

ولاشك أن مثل هذه السماحة التى ابداها فى كثير من الحالات، وقد عرضت لبعضها تفصح عن نفس عالية وخصوصا مع الزعماء والعائلات العريقة فى مصر، ولاتثريب عليه فى هذا فإن الإسلام يوصى خيرا بأهل الصفوة ، وأهل الحل والعقد، والحديث الشريف يقول {**خياركم فى الجاهلية ، خياركم فى الإسلام** } . هذه هى بعض جوانب شخصيته فى معرفة اقدار الرجال ، والعفو والفكاهة ، وخفة الظل والروح وحفظ الجميل، إلا أن جوانبه الأخرى هى كما سبق أن ذكرت فإنها بالغة التعقيد والتطرف فهى تذهب به من الشئ إلى نقيضه ، فهو أن أعماه الغضب نسى حلمه وحاد عن المألوف وخرج عن عادته فى الحذر ووزن الكلام وقامر بكل شئ فى يديه ، ولعلنا من خلال كتابه البحث عن الذات، نستطيع أن نلم ببعض جوانب شخصيته وأن حفل الكتاب بكثير من المبالغات وطمس الحقائق.

ولعلنى فى روايتى عن **السادات** قد خرجت عن طريقى تائها وراء شخصيته الخلابة ، وبعيدا عن أغراض هذا الكتاب كل البعد،

فنحن نتتبع مسار ثورة ١٩٥٢ ذاتها من خلال قادتها، وما أفصحت عنه مذكراتهم من تناقض هو فى حد ذاته إثراء لبحثنا ، كما نحاول أن نكشف عن منشأ الثورة وعن آبائها الأولين.

ولعلنا بقراءة ما اتيح لنا من مذكرات .. ومقارنة ماتحتويه هذه الكتب والمذكرات من تناقض فى أحداثها ووقائعها نستطيع أن نصل إلى ماقد حاولوا منذ البداية طمسه وتحريفه. وكذلك فمن خلال تجاربى الشخصية ، وقراءتى لكل ماأتيح لى من مراجع أخرى فقد أستطيع فى النهاية رسم صورة وأن تكن باهتة لهذه المؤامرة الكبرى التى تعدت الحقبة الرابعة لتدهمنا بأخرى خامسة أى مايربو على أربعين عاماً. ومما يحفزنى على المضى فى هذا البحث، أننى كلما جمعت طرفا صغيراً من الوقائع التى نرجح صدقها لتواترها فى مختلف الروايات ولتوافقها مع مسار الأحداث، فأن هذه الوقائع إذا ما وضعناها بجانب الأحداث الأخري، فأن أمورا كانت غائبة عنا تكاد تفصح عن نفسها وأن احتاجت إلى كثير من الجهد والأناة.

البحث عن الذات

نحن الآن أمام مذكرات **السادات** التى دبجها وهو فى أوج سلطانه وقد تواترت الروايات عن مؤلفات له أخرى اختفت من التداول. وقد عرض بعض الكتاب لهذه المؤلفات ، وعلى وجه الخصوص **هيكل** الذى افرد فى كتابه خريف الغضب صفحات نقلها حرفيا من كتبه السابقة التى سحبت من التداول وبقراءة هذه الصفحات يستطيع القارئ أن يدرك الدوافع التى من أجلها قد سحبت تلك الكتب من التداول مثل ثلاثين شهرا فى السجن وثورة على النيل وصفحات مجهولة ثم يا ولدى هذا عمك **جمال**، فهى كتب لاتساوى الحبر الذى كتبت به إذا ماصح أن مثل هذه الكتب تصاغ بالاحبار. ونحن فى قراءتنا لكتابة الأساسى البحث عن الذات، ندرك ولاشك أن كثيرا من الأحداث الواردة عسيرة على التصديق تماما وسنعرض لها فى حينها ، كما أن الكتاب أغفل كثيرا من الوقائع مثل صلته الثابتة بتنظيم الحرس الحديدى الملكي.وتفاصيل إعادته للخدمة بالجيش.

كما أن روايته عن مداهمة منزله بفرقة ضباط كاملة من المصريين والإنجليز وحوالى ثلاثين مخبرا لاعتقاله إثر القرائن التى أحاطت به بعد افتضاح أمر الحلقة الألمانية للتجسس والتى كان مركزها عوامه **الراقصة حكمت فهمى** تبدو ضعيفه أيضاً من خلال التفاصيل البسيطة التى يدخلها على الوقائع ، فهو فى روايته لكيفية مداهمة القوة المذكورة لمنزله يحاول أن يوهم القارئ أن لديه حجرتين مخصصتين له إحداهما للنوم والأخرى مكتب خاص به . ومثل هذه

الرواية تضعف من مصداقيـة الرواية حيث أن والده **محمد محمد الساداتى افندى** كان يشرك والدته فى منزله المتواضع فى كوبرى القبة ذى الأربع حجرات كما يسكن فيه زوجاته الثلاثة بالترتيب **ست البرين** والده **أنور السادات** ثم فطومة التى لم تعقب وآخرهن **أمينه الوروري** التى كان لها تسعة أطفال هم أخوه غير أشقاء **للسادات** بخلاف أشقائه هو فيصبح عدد الأبناء والبنات ثلاثة عشر.

كما أن روايته عن فترة خدمته كملازم ثانى بمنقباد لاتخلو من الإضافات والتزويق بما يباعد بينها وبين منطق الواقعية . وقد يتساءل القارئ عن جدوى الاستمرار فى قراءة كتاب البحث عن الذات كمرجع صحيح للأحداث وكمدخل لدراسة الثورة والثوار بعد أن أجرى المؤلف **السادات** ما أجراه من تحريف، إلا أننا نراه رغم ذلك بالغ الأهمية لما يحتله صاحبه من أثر فعال خصوصا بعد توليه رئاسة الجمهورية.

شخصية السادات

حينما ولى **السادات** الحكم فقد استبدت الدهشة بالمصرين جميعاً مع إنه كان نائباً لرئيس الجمهورية ، وكان من طبائع الأمور أن تأتى ولايته بعد وفاة **جمال عبد الناصر**، إلا أن جمهور الشعب بصفوته وسواده لم تكن لتأخذ مثل هذا الشخص مأخذ الجد، وقد كان الناس يتندرون بأحاديثه واخباره وسهراته . وكانت السمعة الغالبة عليه هو إنه كزعيمه الراحل **ماركسيا** بل إنه فى مذكراته البحث عن الذات يسجل أن الملك **سعود** أطلعه على تقرير للمخابرات المركزية الأمريكية وقد جاء بها « أن **السادات** هو العميل الأول للسوفيت فى مصر».

وأذكر إننى عندما علمت بخبر توليه الرئاسة فقد هرعت على المغفور له **إبراهيم باشا عبدالهادى** لأسأله عن أبعاد تلك الكارثة، وإذا به يبتسم قائلاً: **« أن هذا الذى تستهينون به سيأكلهم جميعاً فهو الوحيد بين هؤلاء الضباط الذى لديه فكرة عن السياسة »**. والمدهش فى الموضوع أن **إبراهيم عبدالهادى** حوكم أمام محكمة الثورة التى كان **السادات** ضمن تشكيلها والتى كان يرأسها **البغدادى** وقد حكمت عليه بالإعدام، إلا أن هذا الرجل العظيم كان يدرك صوريه هذه المحكمة التى كانت تتلقى الوحى من سيدها ، وإنها ليس لها من الأمر شئ، كما أنه وهو الخبير بمعادن الرجال قد أدرك مدى الحرج والأسى فى نفس **السادات** الذى لم يحاول قط أن يجرح هذا الزعيم العظيم الذى سبق وأن حكم عليه الإنجليز بالإعدام ، وهو فى صدر شبابه ، ثم شاء حظ مصر العاثر أن يقذف به بين انياب هؤلاء الضباع فى شيخوخته.

الحرس الحديـــدى

السادات متحرر بطبيعته يرتفع ببصره إلى الآفاق العليا، رغم أن قدميه ترسخان فى الوحل فهو هارب من أمسه متطلع إلى مستقبل صنعه من خيال بالغ الخصوبة ، وهو عاشق للجمال متعطش إلى الزعامة التى ليس له من مقوماتها إلا النذر الضئيل، فدونه وهذه الزعامة جذور بالغة التواضع، وتاريخ ملطخ بالجريمة، وطلعة تفصح عن أصوله الزنجية .

بل أن أغلب المتتبعين لتاريخ ضباط الثورة يدركون صلته الثابتة بالحرس الحديدي، وقد ارتبط اسمه بقضايا محددة تنفيذا لأوامر ملكية مثل إغتيال **أمين عثمان** ومحاولات إغتيال **النحاس باشا**.

ولعل بعض المتشيعين **لجمال عبد الناصر** الذين يحلو لهم الغض ممن خلفوه فى الرئاسه ينسبون كل ما أصابه **أنور السادات** من نجاحات الى الصدفة المحضة ، وإلى كونه خليفة للزعيم **خالد الذكر** - واحقاقاً للحق فأن السادات قد أحرز ما أحرزه من نجاحات رغم أنه خليفة **لعبد الناصر** ولعهده الكئيب. وإنه هو القائد المنتصر لحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣، وهى من أعظم الحروب التى خاضتها مصر، بينما يسجل التاريخ **لعبد الناصر** أنكر الهزائم التى عرفتها البلاد.

إلا أننا فى معرض تقييم الثورة من خلال مذكرات رجالها لانملك إلا القصد فى البحث بحيث لانستطيع رغم ما أداه لبلده من فضل غامر إلا أن نعرض لشخصه من كافة الجوانب ، ومن خلال مذكراته هو أو الآخرين من زملائه.

فالسادات ليس وحده الضابط الذى انغمس فى تنظيم الحرس الحديدى بل إن كثيرين غيره من رجال التنظيم الذين كان يضم المدنيين والعسكريين على السواء ، ومانظن إلا أن **جمال عبدالناصر** كان هو الآخر عضوا بالتنظيم شأنه شأن **حسن عزت ومصطفى كمال صدقى** وآخرين من المدنيين مثل **حسين توفيق ومحمد كامل إبراهيم** ، وفى هذا يجدر الرجوع إلى مذكرات **خالد محى الدين** [1] وهو يشرح صلته **بجمال عبدالناصر** وكيف توثقت فيقول « لما علمت بنقلى إلى سلاح الحدود فوجئت به يزورنى هو وعبد **المنعم عبد الرؤوف**، وفجأنى مفاجأة لم تزل تحيرنى حتى الآن. قال **جمال وعبد المنعم عبد الرؤوف** أنهما يستطيعان تدبير عملية إلغاء نقلى لسلاح الحدود وإعادتى إلى الفرسان وبأسرع ما يمكن ».

« وعندما أبديت دهشتى قالا أن النقل سيلغى بواسطه القصر الملكى وتحديدا بواسطة **يوسف رشاد**. وقد كان **يوسف رشاد** هو يد الملك التى يحركها وسط ضباط الجيش». وحينما ابدى **خالد محى الدين** اندهاشه كما يقول شرح له **جمال عبدالناصر** بكل هدوء إنه قد تلقى رساله من الدكتور **يوسف رشاد** يرحب فيها بالتعامل معهم. ومع مانعلمه من ولاء الدكتور **يوسف رشاد** الكامل للملك فإن قبوله التعامل مع **جمال عبدالناصر** لايعنى إلا ثقته فى ولائه للتنظيم السري، ولو كان الأمر لايعدو الوساطة بشكلها الظاهر لما سجل **خالد** فى كتابه **«والآن اتكلم»** أن هذه الواقعة مازالت تحيره . وأود أن أسوق ترجيحا آخر لصلة **عبدالناصر** بالتنظيم ، وهو بكل اختصار صداقتة وقبوله **للسادات** عضوا بتنظيم الضباط الأحرار بعد الثورة رغم مايعلمه من اشتراكه فى تنفيذ أوامر الملك فى بعض حالات

١- خالد محى الدين ، ص ٥٣ .

االإغتيال. بل أن **جمال عبدالناصر** كان شفيعا **لأنور السادات** فى العودة للخدمة بالجيش لدى الدكتور **رشاد**. أما الخبر الأكيد الذى سجله **السادات** نفسه فى كتابه هو ماطلبه **جمال عبدالناصر** منه بأن يتقدم لإمتحانات الترقية واعدا إياه باسترجاع مافقده من رتبتين عسكريتين وهو خارج الجيش... رتبه صاغ ورتبه بكباشى وفعلا فقد تمت الأمور بالشكل الذى رسمه **عبد الناصر** وحصل على الرتبتين فى وقت قصير. ومثل هذه الوعود والمقدرة على تحقيقها يستلزم صلات مميزة بالسلطات العليا من الضباط ذوى الرتب الكبيرة .

وكما نرى فإن **السادات** [1]يحاول جهده الابتعاد عن ذكر أية صلة له بتنظيم الحرس الحديدى فى كتابه، وكأن هذا التنظيم لم يكن له وجود أو أثر، وكأن مقتل **أمين عثمان** كان من وحى خاطره مع شركائه الآخرين الذين جمعتهم به محض الصدف وليس بتدبير من منظمة الملك السرية التى كانت تضم فيما يبدو **حسين توفيق** هو الآخر. ومثل هذا الحذف هو من قبيل التزييف بالترك ، وهكذا فإنه بدلا من أن يكون مخلبا للقط فى قضية **أمين عثمان** فإنه يحاول أن يصور ذاته فى زخرف من البطولة والوطنية والدهاء الذى مكنه من أن يتلاعب بالبوليس وأن يضلل العدالة وأن يتلاعب بالنيابة - وحده دون ظل من الرعاية السامية من ملك يتآمر على نظامه وعلى ملكه وعرشه . وهذه هى حكمة الله حينما يريد أن يسلط الظالمين على أنفسهم.

يقول **السادات** فى كتابه إنه سبق أن تعرف على ضابط طبيب اسمه **يوسف رشاد** فى منطقة عسكرية اسمها الجراولة على مقربة من

١- البحث عن الذات - أنور السادات .

مرسى مطروح ، وكانت خيمته إلى جوار خيمته فى المعسكر. ويذكر الدكتور **رشاد** بأنه كان رجلا دمث الأخلاق مثقفاً يقرأ كثيراً، وبلغت صداقتهما حد التلازم ، وكان يطلعه على بعض الكتب منها كتاب **«النظام الشمولى والحرية » لجون ستوارت ميل**. وقد أصبح فيما بعد طبيبا فى الحرس الملكي. وللمرة الثانية لايتعرض لطبيعة عمل الدكتور **رشاد** بالقصر بصفته رئيساً لتنظيم الحرس الحديدي، وهى الصفة الغالبة عليه. وبعد أن حكمت محكمة النقض ببراءة **السادات** فى أواخر عام سنة ١٩٤٩، وكان قد أرتبط بزوجته الثانية **جيهان** فإنه يزعم إنه اتصل بالدكتور **رشاد** يرجوه إعادته إلى الخدمة بالجيش، وماهى إلا أيام قليلة حتى اتصل به الدكتور **رشاد**، وعلى وجه التحديد يوم ١٠ يناير ١٩٥٠ ، وطلب منه أن يتوجه لمقابلة **حيدر باشا** قائد عام القوات المسلحة فى ذلك الوقت، وانقل من كتاب البحث عن الذات نص ماجاء به بخصوص هذه الزيارة

حيث يقول : « كان **حيدر** فى انتظارى وما أن رآنى حتى انهال على بالسباب... انت مجرم... تاريخك أسود.... و.....و.... حاولت أن اتكلم:

لاداعى للكلام - لاتفتح فمك على الأطلاق ... وفجأه دق الجرس فدخل كاتم اسراره.

- افندم **ياباشا**.

- الولد ده ترجعه للجيش النهارده» ... هكذا [1].

١- البحث عن الذات - أنور السادات .

ونود هنا أن نذكر القارئ أن المتحدث هو **أنور السادات** المتهم فى قضية إغتيال وزير وقد برأته المحكمة فى أواخر سنة ١٩٤٩ وكانت إعادته للجيش فى ١٠ يناير سنة ١٩٥٠ أى بعد الحكم بعدم ثبوت التهمة بأيام. وبعد محاولاته **لإغتيال النحاس باشا**. ومانظن أن الدكتور **رشاد** أو **حيدر** نفسه كانا بمستطيعين إعادة ضابط فى خطورة **السادات** إلى الخدمة إلا بأمر مباشر من الملك ذاته.

ونرجع لكتاب **هيكل « خريف الغضب »** وفيه يتحدث عن صلة **أنور السادات** بالحرس الحديدى وأن لم نكن بحاجة إلى شهادته فى مثل هذه الوقائع الثابتة ، إلا أن روايته وأن كانت على اتفاق مع رواية **السادات** بخصوص مقابلته **لحيدر باشا** إلا أنها تختلف فى تفاصيل أخرى رأينا إطلاع القارئ عليها نظرا لغرابتها كما أنها تلقى الضوء على شخصية **السادات** نفسه الذى يستطيع أن يهبط إلى حدود قصة **هيكل**، كما أنه كان يستطيع أن يرتفع أيضاً بما لايدركه **هيكل** ولازعيمه إلى آفاق حلق فيها منفردا إلى مدارج لاتستطيعها اجنحة هذه الثورة .

يقول **هيكل** : فى كتابه[1] **خريف الغضب** أنه بعد زواج **السادات بجيهان** اتصل **بيوسف رشاد** مكررا الإلحاح عليه بالعمل على إعادته للجيش. ومن ناحية أخرى فقد عمل الدكتور **رشاد على** تهيأة الجو ثم أنه أعطى نصيحته **للسادات**، وبناء على هذه النصيحة كما يؤكد **هيكل** فأن **السادات** القى بنفسه أمام الملك حينما كان يؤدى صلاة الجمعة فى مسجد الحسين وقد قبل يد الملك وطلب منه الصفح عن أى خطأ يكون قد إرتكبه ، وأجاب الملك بهزه من رأسه، وانتهى المشهد الغريب فى **مسجد الحسين.**

١- خريف الغضب - حسنين هيكل .

وإحتمال صدق رواية **هيكل** التى يزعم أنها موثوق بها مرجحة نظراً للحرج الذى قد تستشعره دوائر القصر من إعادة متهم فى مقتل وزير وفدى على صلة خاصة ووثيقة بالإنجليز، علاوة على ماكان يحيط **بالسادات** من شبهات قوية فى محاولات إغتيال **النحاس باشا** نفسه. ولعل ترتيب مثل هذه التمثيلية قد يرفع بعض الحرج من إعادة رجل الملك الى الخدمة ثانيا بالجيش.

وما علمته شخصيا من السيدة الكريمة شقيقة الدكتور **يوسف رشاد** وهى حرم المرحوم الدكتور **أنسى عابدين** ، أن الملك كان منتظما فى دفع راتب شهرى **للسادات** أثناء هربه. وقد سمعت منها أيضاً الرواية الآتية : تقول : أنها اضطرت فى فترة من الفترات إلى ملازمة شقيقها الدكتور **رشاد** فى منزله للعناية به فى مرض ألم به ولم يكن بالمنزل آخرون لأداء هذه المهمة . وفى صباح ذات يوم فوجئت بجرس الباب وشخص يطلب مقابلة الدكتور ويعرفها بنفسه أنه **أنور السادات**، ولم تكن تعرفه من قبل. وقد أفزعها منظره وهو فى زى لاينبئ بشخصيته كضابط سابق. فأنكرت وجود أخيها بالمنزل وأغلقت الباب فى وجه الزائر. وذهبت لأخيها لتخبره بنبأ الزيارة . وبسرعة طلب إليها أخوها أن تدخله إلى حجرة نومه ، وبأنها ستجده لاشك عند الباب لايبرحه. وقام أمامها بإخراج حافظته ليعد بعض الأوراق المالية. وإذا بها تعترض على نسيبه فى الكرم مذكرة إياه بالديون المتراكمة التى خلفها والدهما رشاد باشا نتيجة لاسرافه الشديد. وغضب الدكتور **رشاد** من تراخيها فى تنفيذ طلبه باحضار الزائر **أنور السادات**. وفعلاً حينما عادت إلى الباب لتفتحه وجدته

منتظراً فأدخلته ، وماهى إلا دقائق حتى خرج ، وعادت هى إلى أخيها مستأنفة لعتابها على إسرافه ، وإنه لم يتعلم بعد الدرس عن أبيه.

وإذا بالدكتور **رشاد** يسكتها بقوله أنها أموال الملك وليست أمواله هو . بل أننى على يقين أيضاً من أن الملك ذاته هو الذى أمر بتدبير هروب حسين توفيق إلى خارج القطر - إلا أننا لانريد الإستطراد فى هذا الموضوع رغم أنه وثيق الصلة بمذكرات **السادات**.

قضية الجاسوسية والاتصال بالألمان

وفى هذا الشأن فإننا نؤثر مناقشة الموضوع من خلال كتاب **السادات** البحث عن الذات ، بصفة أساسية حيث أنه يتناول قضية رئيسية كان لها أثرها البعيد فى تاريخ مصر، سواء على المستوى السياسى واختلاف وجهة نظر الأحزاب السياسية بخصوص دخول الحرب الى جانب الإنجليز أم التمسك بالحياد باعتبارها حرب لا ناقة لنا فيها ولاجمل. وفقا لتعبير الشيخ المراغى شيخ الأزهر، والوثيق الصلة بالأحرار الدستوريين وكذلك بالملك **فاروق**.

ولقد كانت الحرب مسرحا لتآمر ضباط الجيش المصرى حديثى السن وبعض القادة المتطرفين وتعاونهم مع جيوش **روميل** القائد الألمانى ذائع الصيت، كما قامت كذلك المظاهرات والحركات الشعبية التى تنادى **« إلى الأمام ياروميل»** وكأن روميل هو الأمل المنشود فى إنهاء الإحتلال البريطاني، وطرد الجيوش البريطانية من مصر بعد أن رسخ الإحتلال حقبا طويلة على قلوب المصريين ، وعلى ترابهم المقدس، وبعد أن ضاقت صدور المصريين بالاحتلال وبالأسلوب الاستعمارى المتعجرف وعلى رأسه السفير البريطانى **اللورد كيلرن** الذى أهان المصريين أهانة بالغة باعتدائه على الملك واقتحامه قصر عابدين عنوة واقتدارا.

وربما كان تعجل **السادات** فى الاتصال بالألمان إلى جانب ماسبق أن أوردناه من أسباب هو إعجابه البالغ فى صدر شبابه وهو ملازم ثان بالعسكرية الألمانية وماتمثله من نموذج مثالى للإقدام والإنضباط. ويقول

هيكل فى كتابه خريف الغضب. أن **السادات** روى له أكثر من مرة كيف إنه حلق شعره كاملا على طريقة الضباط الألمان. كما أنه اشترى فى ذلك الوقت « **مونوكل** » من محل فى شارع **سليمان باشا**، وراح يضعه على عينه وهو يمشى متأبطا عصا صغيره.

ولعل مثل هذه الرواية التى أوردها **هيكل** لاتختلف كثيرا عن أسلوب **السادات** فى تلبس شخصيات أبطاله ، فهو يعبر فى كتابه البحث عن الذات [1] عن إعجابه الشديد **بغاندى** حينما امتلأت الصحف والمجلات المصرية باخباره وتاريخه وكفاحه بمناسبة مروره بمصر فى طريقه إلى إنجلترا، فما كان من **السادات** إلا أنه خلع ملابسه وغطى نصفه الأسفل بإزار وصنع مغزلا واعتكف فوق سطح بيته بالقاهرة عدة أيام إلى أن تمكن والده من إقناعه بالعدول عما هو فيه ، ويذكر فى كتابه إنه كان من المؤكد وهو فى هذا الزى أن يصاب بمرض صدرى وكان الوقت شتاء قارس البرودة لولا عدولة نزولا على رأى أبيه.

ولعل طبيعته الأولى كفنان عاشق للتمثيل، والاستغراق فى تلبسه لشخصياته قد لازمه إلى آخر حياته فهو مرة خامس الخلفاء الراشدين يتفقد أحوال الرعية بسمت دونه الرهبان الزاهدين متشبها بسيدنا **عمر عليه السلام** . ومرة أخرى هو أشيك رجال العالم كما كتبت عنه كثير من مجلات العالم ، ومرة أخرى هو القائد الأعظم يتأبط عصا الماريشاليه وقد أرتدى زيا ابتدعته له أرقى بيوت الأزياء ، كما الزم نائبه أيضا.... بزيه البهيج. ثم يخطر فى زيه البديع بمشيته العسكرية التى كانت ولاشك غاية فى الاتقان، وقد تفوق مشيه الأوز الألمانية التى أفلح فى تطويرها على

١- البحث عن الذات - أنور السادات ، ص ٢١ .

الطريقة الساداتية ، ومرة أخرى هو رجل السلام الذى بهر العالم بزيارته للقدس حتى أن كثيرا من وكالات الأنباء قارنت مابين زيارته وصعود رجال الفضاء إلى القمر. والطريف أن هذا التشبيه قد لاقى هوى فى نفسه إنعكس على تصرفاته حتى أن صديقه عزراويزمان اضطر أن ينبهه إلى ذلك بقوله: أن الرجال الذين صعدوا إلى القمر عادوا بعد ذلك إلى الأرض .

وهكذا كان **السادات** منذ طفولته حتى يوم وفاته باحثا عن المغامرات وقصص البطولة والمؤامرات ولاشك إنه فى هذه الطبيعة التى لاتستقر ولاتهدأ قد إنقاد فى بعض الأحيان إلى أساليب وأهداف قد لا تتفق وروح العسكرية الصحيحة بضبطها وربطها. وربما كانت فى محاولاته أثناء الحرب العالمية الثانية الاتصال بالألمان خروجا عن العسكرية الوطنية التى تلتزم بسياسة بلدها وإلا فكيف يكون الأمر إذا ماسعت كل فئة من العسكريين إلى الانتصار لمعتقداتها السياسية بالعمل الصريح أو فى الخفاء، وبالفعل فإننا نجد فى كتاب **السادات** تنديدا بالفاشية والنازية أشد التنديد، ولكنه كان متأخرا لبضع حقب من الزمان كما احتوى كتابه على إدعاءات لاتقف على رجلين اثنين ولنقرأ معا ما كتبه عن مؤامرته المزعومة عن خطته الأولى لثورة لم يقدر لها النجاح حيث يقول إنه فى صيف سنة ١٩٤١ حينما أقر البرلمان المصرى الإلتزام بسياسة الحياد وانسحاب القوات المرابطة فى مرسى مطروح لتتولى الجيوش الإنجليزية الدفاع عنها منفردة ، فأن **السادات** إدعى فى كتابه إنه إتفق مع جميع الوحدات المنسحبه من مرسى مطروح أن تلتقى فى وقت محدد عند فندق ميناهاوس فى نهاية

طريق الإسكندرية القاهرة الصحراوي، وهناك وضع خطته ببدأ تجميع الوحدات المنسحبة إلى القاهرة وضرب الإنجليز والإستيلاء على السلطة .

ويستطرد **السادات**[1] فيقول أن شيئاً من هذا لم يحدث ، لأن الوحدات المنسحبة من مرسى مطروح سبقته إلى القاهرة بعد أن اختلط عليها الموعد والمكان. ويدعى **السادات** أن ذلك كان من محاسن الصدف، لأنه لو أن مثل هذه الثورة قامت ثم فشلت لتنبه المسؤولون ولشددوا الرقابة على الجيش ولما قامت ثورة ٢٣ يوليو ، ومثل هذه السفسطة هى ولاشك من قبيل المغالطات.

. كما يدعى إنه كان بصدد إبرام معاهدة أعد مشروعها وأملى شروطها على أن يهربها سرا إلى روميل ويمثل الجانب المصرى فيها مع **السادات** مجموعة من الضباط الأحرار ، وهم **البغدادى وحسن إبراهيم وسعودى وحسن عزت** . ويتعهد الجانب المصرى فيها بتقديم كافة المساعدات الممكنة وتصوير المواقع البريطانية بالطائرة ، كما يتعهدون للألمان بأن لايخرج من القاهرة عسكرى إنجليزى واحد، مقابل أن يتعهد لهم **روميل** بأن تنال مصر استقلالها التام فلاتكون من نصيب إيطاليا أو تحكمها ألمانيا وأن لايتدخل أحد فى شئونها الداخلية أو الخارجية بأى حال من الأحوال. وقد حمل مشروع هذه المعاهدة الضابط **أحمد سعودى** بطائرته إلى **روميل** بالعلمين. إلا أن الألمان لم يتبينوا هوية الطائرة وخصوصا وأنها كانت من الطراز الإنجليزي. فقاموا بإسقاطها وهكذا فشلت المعاهدة .

١- البحث عن الذات - أنور السادات .

ولعل القارئ يتبين مدى سذاجة فكره مشروع المعاهده فضلا على أن مثل هؤلاء الضباط الصغار فى ذلك الوقت غير مؤهلين لأصدار مثل هذه المعاهدات حتى يأبه لها الجانب الألماني. بل أن **روميل** نفسه لايستطيع الإلتزام بنصوص هذا المشروع وإلزام الجانب الإيطالى به . فضلا عن افتقاد الجانب المصرى للضمانات التى تلزم الألمان بإحترام تعهداتهم . ولعل أبلغ دليل على عدم صحة مثل هذه الروايات هو أن التنظيم المسمى بالضباط الأحرار كان مايزال فى طى الغيب أما المجموعة التى يتحدث عنها فهى نواة الطيران ، وكانوا يتجهون بولائهم إلى أشخاص آخرين غير **السادات**، ولعلهم كانوا متأثرين بالفكر المتشدد والجامح لعصابة **عبدالعزيز على وعزيزالمصري**.

وفى رأينا أن الإتصال بالجانب الألمانى ومساعدته على غزو مصر هو من قبيل الخيانة العظمى والتخريب مهما حسنت نوايا القائمين بها . ولاشك أن اتجاهات الملك ضد الإنجليز والتعاطف مع قضايا المحور قد ساعدت على التمادى فى هذا الاتجاه الذى كان له أسوأ الأثر على القضية المصرية ذاتها ، وعلى كفاءة الجيش المصري، وعلى تراخى النظام به إلى أن تفاقمت الأمور وانتهت بمصر إلى كارثة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

• صلة أنور السادات بالإخوان المسلمين

يدعى **أنور السادات** فى كتابه البحث عن الذات إنه كان **على** علاقة بالشيخ **حسن البنا** من نوع خاص تقوم على تنسيق العمل معه لإنجاح الثورة ، وأنه قد باغته فى إحدى اجتماعاته سنة ١٩٤١ بما نصه : « اسمع ياشيخ **حسن** !! واضح أنك حريص أكثر من اللازم فى الحديث معى وأنا لا أرى داعيا لهذا... بصراحة أنا أسعى إلى عمل تنظيم عسكرى هدفه قلب الأوضاع فى البلد » ثم استطرد قائلاً إنه يسعى إلى ثورة مسلحة وأن معه عدد كبير من الضباط من كل أسلحة الجيش. وبدأ الشيخ فى سؤاله بأسئلة محددة أى أسلحة من الجيش معكم ؟ وما مدى قوتكم ؟ وكم عدد الضباط الذين يمكن أن يعتمد عليهم للقيام بهذه الثورة ؟

والسادات يجيبه وفجأة يقتنع الشيخ ويطلب من **السادات** أن ينسقا العمل معا. ومثل هذه الرواية الضعيفة لاتتفق ومسار الأحداث، ولامع الحذر الشديد الذى كان يتسم به الشيخ **البنا** وحرصه على نظام الخلايا الذى يقوم على أساسه التنظيم السرى للإخوان. ولاشك أن كثيرين من الضباط كانوا ضمن التشكيلات السرية وأغلبهم من أصدقاء **السادات** نفسه. ونجد أن **كمال الدين حسين** يفصح فى كتاب الصامتون يتكلمون على أنه أقسم على العهد ويمين الولاء للإخوان المسلمين على كتاب الله وعلى المسدس فى منزل **يحى صليبه** بجوار سبيل **أم عباس** وكانوا يترتيب الأقدمية كالأتى :-

١- اليوزباشى **عبد المنعم عبد الرؤوف**

٢- **جمال عبد الناصر حسين** ٣ - **كمال الدين حسين**

٤- **سعــد حسن توفيــق** ٥- **خالد محى الديـــن**

٦- **حسين حمـــــوده** ٧-**صلاح خليفــــــه**

كما كان **جمال عبدالناصر** ومعه على أغلب الظنون **أنورالسادات** ومعهم مجموعة من الضباط يقومون بتدريب شباب الإخوان المسلمين من الجهاز السرى على استعمال الأسلحة فى الصحراء القريبة من القاهرة .

كما استطاعت الجمعية أن تضم إليها آخرين مثل **الشافعي**، وأن كان ينكر ذلك فى كتابه[1] مدعيا أنه لم يكن لأحد من مجلس قيادة الثورة إطلاقاً أى إتصال بالإخوان المسلمين، وكان الإتصال بهم يتم عن طريق الصاغ **محمود لبيب** ، مندوب الإخوان المسئول عن نشاطهم داخل الجيش ولكنه كان هناك نوع من التعاطف من جانبنا معهم ، وهو الزعم الذى تكذبه أقوال **كمال الدين حسن وخالد محى الدين وحسين حموده** فى مذكراتهم، كما استطاعت الجمعية استقطاب **رشاد مهنا** وبذلك فإن الإخوان المسلمين كانوا قد اخترقوا صفوف الضباط الأحرار. ولم يكن أحد منهم ليجرؤ على نقض العهد إلا بعد مقتل الشيخ **حسن البنا** فى سنة ١٩٤٩ وانشقاق الإخوان المسلمين وانفراط عقد الجهاز السرى بعد أن استطاع **جمال عبدالناصر** استقطاب رئيسه **عبدالرحمن السندى** أو على الأقل تأليبه ضد مرشد الإخوان فى ذلك الوقت المستشار **حسن الهضيبي**

١- حسين الشافعى وأسرار ثورة يوليو .

اتصال أنور السادات بعزيز المصرى .

وقد سبق أن عرضت لهذه الصلة ، إلا إننا مازلنا نتعجب أن يكون **حسن البنا** نفسه هو الذى يسر **للسادات** هذا التعارف مع **عزيزالمصرى** فى عيادة الطبيب **إبراهيم حسن** بالسيدة **زينب** وبأسلوب يتسم بالسرية . وكذلك نجد فى كتاب الثائر الصامت **لعبدالعزيز على** وهو من الجناح المتطرف للحزب الوطنى يصف فيه كيفية لقائه **بانور السادات** فى أواخر عام ١٩٤١ حيث يقول إنه سعى للقائه بمكتب صديق للطرفين وهو **الأستاذ إبراهيم رياض** المحامى وعضو اللجنة الإدارية للحزب الوطنى ، وأن **السادات** كاشفه بما نما إلى علمه من نشاطه الوطنى وعن الجهاز السرى الذى قام بالإغتيالات السياسية مما دفعه إلى لقائه والتعرف به للإفادة من خبراته السابقة . وخطورة الكتاب إنه طبع فى سنة ١٩٧٨ أى حال حياة الرئيس **السادات**، كما أن مؤلفه **عبد العزيز على** قد عين وزيرا فى أول وزارة مدنية فى عهد الثورة فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ تقديرا لجهوده ولدوره الكبير فى تشكيل الخلايا السرية فى مطلع الأربعينات ثم عين بعد ذلك حارسا عاما على أموال أسرة **محمد على** - ولاشك كذلك أن الذى ضم **السادات** إلى التشكيل المعروف بنواة الطيران هو صديقه **حسن عزت.** فالرئيس **السادات** بذلك يكون قد أرتبط فى أول عهده بالجيش، بحلقة تجسس لصالح الألمان، كما ارتبط بالإخوان المسلمين، واتصل **بعزيز باشا المصرى** واشترك معه فى مؤامرة للهرب به إلى العراق للإنضمام لثورة **رشيد على الكيلاني**، كما أنه وآخرين على رأسهم **عزيز المصرى** اتصلوا بالجيش

الألمانى الزاحف على مصر بقيادة **روميل**- كما كان يعمل بتنظيم الحرس الحديدى الخاص بالملك وقام بتنفيذ عمليات إغتيال لصالح التنظيم - كما إنضم لجناح الحزب الوطنى المتطرف ، وهو جناح قائم على الإغتيالات السياسية ، وهو كذلك فى تنظيم الضباط الأحرار، كما انضم إلى تشكيل عسكرى آخر فى الجيش قبل تكوين جماعة الضباط الأحرار.

ولعل مثل هذه التشكيلات الإرهابية لاتخلو من إدعاءات وطنية، وإن كان من العسير علينا إيجاد أى تبريرات لمثل هذا التمرد الذى يصل فى بعض الأحيان إلى الخروج عن النظام والشرعية وقد يصل بصاحبه إلى حدود الخيانة . بل أننا نجد فى تاريخ الرجل بعض الصلات المشبوهة بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية .C.I.A ، وقد ورد بصحيفة واشنطن بوست فى عدد ٢٤ فبراير ١٩٧٧ أن **كمال أدهم** وهو رجل الوكالة فى الشرق الأوسط كان طوال الستينات يمد **السادات** بدخل ثابت، وهى إشارة لاتحتمل الشك لعلاقة **السادات** بالمخابرات الأمريكية .

وقد جاء ذلك النشر فى أعقاب فضيحة **ووترجيت** وتسرب أسماء عملاء وكالة المخابرات الأمريكية للصحف، ولعلنا نحاول أن نلقى الضوء على كيفية تسرب أسماء هؤلاء العملاء إلى الصحف بعد فضيحة **ووترجيت** وتنازل الرئيس الأمريكى **نيكسون** عن الرئاسة .

وكان الكونجرس ومجلس الشيوخ (SENATE) قد أزعجهما تضخم السلطات الرئاسية التى تجمع فى يد الرئيس سلطات أكبر مما رسمه

الدستور الأمريكى مما يهدد بتحول الرئاسة إلى قيصرية ، وقد انتهز المجلسان فضيحة ووترجيت للحد من سلطات الرئاسة وتحجيمها إلى الحدود التى رسمها الدستور، وإعادة سلطات المجلسين النيابية المسلوبة.

وكان المجلسان قبل استقالة **نيكسون** يفوْضان عدداً محدوداً من الشخصيات البارزة التى تحظى بقبول عام من قبل الأعضاء للإطلاع على ميزانية وكالة المخابرات المركزية واخطار المجلسين باقرارها حفاظا على سرية العمليات التى تقوم بها الوكالة ، وكان المجلسان يقومان باقرار الميزانية إعتماداً على إطلاع مندوبيه الذين لايتجاوز عددهم أصابع اليد ثقة منه فى سلامتها ، وفى هذه الشخصيات التى تم تفويضها إلا أنه بعد فضيحة **ووترجيت** ، وكذلك عدم وجود مثل هذه الشخصيات القوية التى تتمتع بالقبول العام من جهة المجلس لتفويضهم فى الإطلاع على ميزانية الوكالة تمهيدا لإقرارها كما كان يجرى عليه العرف فى الماضى - وكذلك لوجود عناصر جديدة بالمجلسين كانت تتطلع لفرض أنفسها وإظهار نفوذها أمام الرأى العام فقد تم تشكيل ثلاث لجان للإطلاع على ميزانية الوكالة إحداها للكونجرس برئاسة **أوتس بايك** والأخرى من قبل مجلس الشيوخ برئاسة السيناتور **فرانك تشرش** ولجنة ثالثة تم تشكيلها من قبل الرئيس **فورد** برئاسة **روكفلر** باعداد قد تصل إلى الثمانين من الشيوخ والنواب ومستشار الرئيس الأمريكى وهكذا فإن مبدأ السرية الذى كانت تتحصن به الوكالة قد انتهك وكذلك فإن رئيس الوكالة الجديد **وليم كولبى** كان قد استشعر الخطورة حيث كانت الوكالة تتبع الرئيس بصفة خاصة، وكانت

تستمد قوتها من النفوذ الرئاسى القوى قبل استقالة **نيكسون** وكأنت تقوم بعملياتها فى ظل هذه الحصانة ، وبعض هذه العمليات تندرج تحت الأعمال القذرة والغير المشروعة من اعداد الإنقلابات كما حدث فى إيران بعد إنقلاب مصدق وكما حدث فى شيلى من اغتيال رئيس الجمهورية اللندى ، ودييم فى فيتنام الجنوبية لومومبا فى الكونجو ومحاولة اغتيال **كاسترو** فى كوبا وما إلى ذلك ، وكانت هذه العمليات تتم بعد الموافقة الشفوية لرئيس الجمهورية الأمريكية ، وتتسم بالسرية البالغة تحت مسمى عمليات الجواهر **Jewels أو الهياكل Skeletols** نظرا لسريتها وخطورتها وانغماس الرئاسة الأمريكية فيها بشكل مباشر وقد أضطر الرئيس **فورد** شخصياً لحجب بعض المعلومات الخاصة بمسئولية الرؤساء السابقين للولايات المتحدة(١) .

وقد أستشعر رئيس الوكالة خطورة تحمل المسئولية وحده ولذلك فقد أسرع باطلاع اللجان عليها ، وهكذا تسربت اسماء العملاء وكذلك تفاصيل بعض العمليات الخفية إلى دور الصحف ، وقد أعقب هذا التسرب عمليات اغتيال لبعض عملاء الوكالة كما أضر بسمعتها وسلامتها أبلغ الضرر . وفى ظل هذه الظروف تردد إسم **السادات** ضمن عملاء الوكالة مع آخرين من زعماء الشرق الأوسط . وفى كتاب **هيكل** خريف الغضب نجد إشارة سريعة لما نشرته جريدة الواشنطن بوست دون التعرض للتفاصيل التى سبق ذكرها من جانبنا باختصار شديد. ومانظن إلا أن السادة أعضاء مجلس الثورة يعلمون بتفاصيل هذه العمالة أوثق معرفة.

1- The Agency- The Rise and Decline of the C.I.A. - John Ranelagh

بل أن **حسين الشافعى** يشير فى أحاديثه بالكتاب المعنون باسمه تحت عنوان " **حسين الشافعى** وأسرار ثورة يوليو وحكم **السادات**[1]" إلى تجنيد **أنور السادات** عميلا للمخابرات الأمريكية فهو يقول " ان الوحدة المصرية السورية كانت الطعم الذى وضع بذكاء شديد جداً جداً من أجل أن تبتلعه مصر". ويدعى أن **أنور السادات** كان وراء كل هذه المخططات حيث يقول" اذا كان **أنور السادات** كما تقول الواشنطن بوست عميلا للمخابرات الأمريكية منذ الستينات فهنا يسقط هذا التعجب ويسقط المنطق ، لأن **السادات** كان أيضاً وراء حرب اليمن".

ورغم أن شهادة **حسين الشافعى** لايأبه لهـا لإنحيازه الشديد **لجمال عبد الناصر**، وحقده الأشد على **أنور السادات** ولغياب المنطق فى حمىّ عواطفه المتطرفة ، إلا أن الخبر الذى أورده نقلا عن جريدة الواشنطن بوست قد صدر فعلا وفى تاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٧٧ أى فى فترة رئاسة **السادات** ، ولم يحرك السادات ساكنا أو يحاول نفى مثل هذا الخبر الخطير الذى يتهمه فى وطنيته ، وقد صدر رغم صداقته الوطيدة بالدوائر الأمريكية وساستها ورئاستها.

والعجيب فى أحاديث **الشافعى** أنه يغفر **لجمال عبد الناصر** هزيمته سنة ١٩٦٧ ويزور **جمال عبد الناصر** عقب الهزيمة ويشد على يده قائلاً " اعتبر نفسك ستقوم بثورة جديده وفى صفحة ١١٧، يطالب بتحقيق لإثبات حقيقة من تورطوا فى الخيانة وهو ينسب **للسادات** أنه هو الذى خطط لوحدة سوريا التى يعتبرها طعما وضع بذكاء شديد جدا جدا من أجل أن تبتلعه

١- حسين الشافعى وأسرار ثورة يوليو ، ص ١١٧ .

مصر تمهيدا لمؤامرة الإنفصال، ونلاحظ أنه بدلا من أنه يذكر ان **جمال** ابتلع الطعم فأنه يعفى **جمال** من المسئولية باقحام إسم مصر بدلا منه.

وهكذا أصبح ابتلاع الطعم منسوبا إلى مصر كلها بحيث تشيع المسئولية وتنتفى عن زعيمه أو سيده ويستطرد **حسين الشافعى** ليقول **"فالوحدة كانت أول صفعة سياسية إستدرجت مصر إليها"** وأن **أنور السادات** كان وراء كل هذه المخططات كما تقول الواشنطن بوست فهو عميل أمريكا منذ الستينات، فهنا يسقط المنطق لأن **أنور السادات** كان أيضا وراء حرب اليمن".

والمنطق الذى يسجل **الشافعى** سقوطه يتضح أكثر مايتضح فى دفاعه عن **عبد الناصر** الذى صوره بهذه السذاجة فى ابتلاع الطعم فى حرب سنه ١٩٦٧ ، وفى قبول الوحدة مع سوريا ، وفى ابتلاع الطعم مرة أخرى بقبوله الدخول فى حرب اليمن ". وفى معرض دفاعه فأنه ينفى الفعل عن **عبد الناصر** وينسبه إلى مصر . فمصر فى رأيه هى التى ابتلعت الطعم وليس هو.

كما يحاول تبرأه **جمال عبد الناصر** من مسئولية تعيين شخص مثل **عبد الحيكم عامر** على رأس الجيش بحجة أن هذا الإختيار يرجع لسببين الأول صداقته له ، والثانى بأن **عبد الحكيم عامر** لايقدر أن يكون الرجل الأول فى أى عمل فذلك أعطى له الإطمئنان بأن لاينقلب عليه" ولست أدرى أهى حجج يسوقها **الشافعى** للدفاع عن صديقه **عبد الناصر** أم هى للإجهاز عليه.

وهو عند هزيمة سنة ١٩٦٧ فهو يشد على يد الرئيس ويطالبه بثورة جديدة، بينما هو دائم الطعن فى **السادات** رغم انتصاره فى حرب سنة ١٩٧٣. وبهذا نعود إلى هتاف الجماهير المصرية عقب ثورة ١٩١٩ إن الحماية على يد **سعد خير** من الإستقلال على يد **عدلي**.

وفى صفحات أخرى من كتاب **الشافعي** الذى يدعو للسخرية والرثاء جاء فيها على لسانه " قلت **لعبد الناصر** إحنا كلنا كأعضاء مجلس قيادة الثورة حصلنا على درجة نائب ماعدا أخونا **أنور** ... ليه متعملوش نائب. يقول هذا وكأن مصر عزبة تمتلكها الثورة - ويرد **جمال** بما نصه " انت جرالك إيه يا**حسين**... عايزنى أعين واحد زى ده نائب رئيس جمهورية ، أنت عاوز الناس تأكل وشنا واللانت ماتعرفش سمعته شكلها إيه فى البلد".

وقد يدور فى ذهن القارئ أن غضب **حسين الشافعى** على **أنور السادات** يرجع إلى مانسبه إليه من الخيانه وقد سبق أن أوردنا ماقد نسب إليه سواء مانشرته الصحف الأجنبية أو ما أورده **هيكل والشافعى** وغيرهما فى هذا الشأن كما أننا نضيف إلى ذلك ماهو ثابت من تعاون السادات حدود فى شبابه مع حلقة التجسس النازيه وهو من قبيل التفريط فى الحقوق الوطنية مهما كانت الدوافع ومهما حسنت النوايا .

إلا أن آخر من يجوز له توجيه مثل هذه التهم إلى **السادات** هو **الشافعى** على وجه الخصوص وقد قبل إن يكون نائبا له فى فترة رئاسته الأولى إلى أن أعفاه **السادات** من منصبه فى أبريل سنة ١٩٧٥ أى فى تاريخ لاحق لكل ما رماه به من التهم ومن مؤامرة سوريا واليمن.

ودفاع **الشافعى** عن **جمال عبد الناصر** هو من قبيل الكيل بمكيالين حيث أن التبعة التى تقع على **جمال عبد الناصر** لاتقل خطورة بحال من الأحوال من التفريط الشديد فى رعاية الوطن ، وتنصيب أهل الثقة فى أخطر المناصب رغم علمه الأكيد بعدم صلاحيتهم مما كان له الأثر الحاسم فى هزائم مصر المتلاحقة - كما أنه قد قامر بتراب مصر مقامرة لم يحسب لها أى حساب، وهو يعلم تماما مدى تردى الأحوال فى صفوف الجيش واحتجاز أهم وحداته فى حرب اليمن . وفى كتاب مشاوير العمر للفريق **كمال حسن على** يقرر أن حرب سنة ١٩٦٧ كانت مكيدة مرسومة للإيقاع بجيش مصر كما يذكر أيضا أنه فى أول مايـــو سنة ١٩٦٧ ذهب الفريق **عبد المنعم رياض** لمقابلة **الملك حسين** فى عمان بناء على رسالة وصلت من جلالته إليه فى القاهرة وكان الفريق **عبد المنعم رياض** يعمل رئيسا لأركان القيادة الموحده وصديقا شخصيا للملك ، وكان فحوى الرسالة " تحذير من فخ يدبر للقوات المصرية - تدبره فئة معينة متآمرة فى سوريا سوف تشعل النار على الحدود مع إسرائيل فيجرى ضرب القوات المصرية ، وإن الملك يريد ابلاغ هذه الرسالة إلى **جمال عبد الناصر** شخصياً.

إلا أننا نجد فى مذكرات **البغدادى** وفى مقابلته مع **جمال عبد الناصر** بتاريخ ٢٩ مايـــو سنة ١٩٦٧ ، أى بعـــد طلـــب **الملك الحسين** مقابـــلة **عبد الناصر** بحوالى شهر يتحدث إليه **عبد الناصر** قائلاً " إن **الملك حسين** قد طلب أن يأتى لزيارتنا ، والح على سفيرنا فى عمان حتى كاد أن يقبل ...

من أجل أن نوافق على قيامه بهذه الزيارة ، "ويضيف أن **جمال** قد وافق على أن يقوم الملك بهذه الزيارة لمصر ولكن دون اعلان عنها".

ولنا أن نتساءل اليست هذه الرواية المنقولة عن أشخاص ثلاثه من كبار ضباط مصر هم **البغدادى** والفريق **عبد المنعم رياض** والفريق أول **كمال حسن على** مايلقى بعض الضوء على أحداث ١٩٦٧ وما إجترم فيها من خيانات ، بل أن **انتونى ناتنج** يدعى فى كتابه أنه قد قام بتنبيه **عبد الناصر** عن خطورة الوضع فى ١٩٦٧ - والمؤامرة المنصوبة للجيش المصري.

ونعود إلى ماسبق ذكره من تفاصيل تعيين **أنور السادات** نائبا لرئيس الجمهورية بعد أن إقترح ذلك **حسين الشافعى** فرفض **جمال عبد الناصر** بشدة مثل هذا الإقتراح حيث يذكر **هيكل** فى كتابه خريف الغضب . أنه فى ديسمبر سنة ١٩٦٩ كان **على عبد الناصر** أن يشارك فى أعمال مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى ذلك الوقت فى الرباط فى المغرب ويذكر **هيكل** إنه كان معه فى هذه الرحلة . وبعد إقلاع الطائرة دعاه إلى الجلوس بجواره كما كان يفعل دائما وقال له وعلى وجهه ابتسامه " هل تعرف ماذا فعلت اليوم" ؟.

ويستدرك **ناصر** فيقول : كان **أنور السادات** سيمر علىّ اليوم لكى يصحبنى إلى الطائرة وطلبت منه أن يجئ معه بمصحف . ولم يفهم ماذا عنيت بهذا الطلب وعندما جاء فقد جعلته يقسم اليمين ليكون نائبا لرئيس الجمهورية فى غيابى " ولما أبدى **هيكل** دهشتة ذكر له **جمال عبد الناصر** أن ثمة تقارير وصلته ان بالمغرب مؤامرات يحبكها أو فقير بالتعاون مع وكالة

المخابرات الأمريكية لإغتيالة . ويواصل **جمال عبد الناصر** الحديث فيقول " أن **أنور** يصلح لسد الفترة الإنتقالية حيث أن الأتحاد الأشتراكى والقوات المسلحة سوف يواصلون تحمل المسئوليات الفعلية ، وفى فترة الإنتقال فإن دور أنور سيكون شكليا . كما أضاف **عبد الناصر** مانصه " أن الآخرين جميعا واتتهم الفرصة ليكونوا نوابا لرئيس الجمهورية إلا **أنور** ولعله دوره الآن [1]" هكذا واذا ماصدق الإثنان **حسين الشافعى وهيكل** ومانظنهما فى هذه الجزئية إلا كذلك ، فإن روايتهما تؤكد مدى استهانة **جمال عبد الناصر** ببلده وشعبه ، وكأن مصر أصبحت دراجة يركبها الأطفال وفقا لدور كل واحد منهم - وقد ركبها الجميع إلا اليتيم **أنور السادات** .

ومع ما تواتر من انباء الثورة وعمالة كثير منهم للقوى العالمية ومن قبيل تخير أفضل ضباط الثورة على مافيهم جميعا من نقص وعدم صلاحية وقد عانت منهم مصر ماعانت من ديكتاتورية وجهل ومؤامرات وخيانة ونهب ، فإن **السادات** بطل حرب سنة ١٩٧٣ يرجحم جميعا ، وانهم بحزمتهم وقضهم وقضيضهم عيال **على مجده**.

بل إن **الشافعى** شأنه شأن زملائه جميعا بأحيائهم وأمواتهم مايزالون موضع احترام هذا البلد المسكين بفضل **السادات** منفردا ولولا حربه العظيمة لكانت ثورتهم فى لحدها نسيا منسيا ، حيث يجب بالفعل أن تكون.

وقبل أن نضرب صفحا على كتاب **الشافعى** فإننى أود أن انقل عنه بعض أحاديثه ليس على سبيل التسليه وحسب بل ليعلم القارئ إلى أى قرار مهين ينتمى هؤلاء السادة.

١- خريف الغضب - حسنين هيكل.

يقول **الشافعى** أن أشهر خلافاته مع **أنور السادات** كان عام ١٩٧٢ اثناء زيارة رئيس بلغاريا لمصر - ويوم وداعه مر **الشافعى** على **أنور السادات** فى منزله بالقناطر وصحبه فى سيارته للمطار ، وبعد إنتهاء مراسم التوديع إذا به يستدعى **عزيز صدقى** رئيس الوزراء معه فى السيارة دون أن يستأذن **الشافعى** ، فما كان منه إلا أنه أزاح **عزيز صدقى** فى المنتصف وجلس بجوارهم حتى وصلوا إلى مجلس الوزراء ، وكان **السادات** كما يدعى **الشافعى** يحاول فى ذلك الوقت أن يحد من سلطاته[1].

وفى موضع آخر يقول أنه بعد مناقشة حادة بينه وبين **السادات** فى مجلس الوزراء خرج الرئيس بصحبة **فوزى عبد الحافظ** فى سيارته ، ويقول الشافعى مانصه " فقمت وجذبت **فوزى عبد الحافظ** من مقعده وجلست أنا بجواره"[2].

وفى روايات **الشافعى** هذه من التفاهات مايغنى عن التعقيب ، كما يدعى أن **السادات** حينما اعجزته الوسيلة لتطويع **الشافعى** لم يكن أمامه إلا محاولة أن يزوج ابنته جيهان **لأحمد ابنه**[3].

ومثار العجب فى حديث **الشافعى** أن مثل **السادات** لا تعجزه الوسائل لكى يعزله من وظيفته ، وماكان **السادات** بحاجة لتطويعه حيث لم يكن بين السادة الضباط من هو أكثر طوعا أو خضوعا للرياسات جميعها منه.

١، ٢، ٣ - حسين الشافعى وأسرار ثورة يوليو .

السادات وحرب أكتوبر ومعاهدة كامب دافيد

إن حرب أكتوبر هي من أعظم الحروب التي خاضتها مصر ، وان التهوين من شأنها هو من قبيل الجحود ، كما أن أرجاع الفضل فيها إلي آخرين هو من قبيل مخادعه النفس والتمادي في التحيز والمغالطة. وربما يكون أيضا من قبيل الإستمرار في سياسة خداع الجماهير وتزييف وقائع التاريخ ، وهو مادرج عليه بعض كتاب الناصرية إبان حكمه وبعد انقضائه.

وقد تكون هنالك بعض الأخطاء ، كما قد يجوز أيضا أن القيادة السياسية بالقاهرة قد أسرفت في التدخل في العمليات الجارية الميدانية بما ساعد علي إيجاد بعض الثغرات ، إلا أن السياسة لاتعترف إلا بالأمر الواقع ، وحرب أكتوبر بما لها من رصيد ضخم ترجح وبكثير ماشابها من اخطاء، وتشهد بفضل الرئيس الراحل **أنور السادات.**

ولقد خرجت بعض الأبواق التي لاترعي للوطن حرمته وهي تدعي أن الحرب كانت تمثيلية ابتدعتها أمريكا تمهيدا لإستقرار الأوضاع في الشرق الأوسط، والبلوغ بالأمور إلي غايتها بصلح يضمن لإسرائيل رسوخها في المنطقة - والإعتراف بها - ويزيل عن نفوس العرب مايستشعرونه من مرارة الهزيمة عقب حرب أكتوبر !!

ومثل هذه الآراء تجحد أستشهاد الأبطال من جيش حارب ببساله وفداء وسعة حيلة وبروح من التضحية في سبيل ربها ووطنها وشعبها.

أما فضل السادات اذا مااستمعنا إلي هذا الهراء فإنه لاينمحي بل يتضاعف – ما دمنا قد انكرنا فضل الآخرين في تحقيق مثل هذه النتائج الباهرة – فهو والحالة هذه يصبح صاحب النصر الأوحد ، وهو ادعاء غير صحيح.

وحتي ننتهي من هذا الموضوع فإن حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ في رأينا ورأي الأغلبية الغامرة من شعب مصر هي عظيمة بكل المقاييس وأنه من قبيل الظلم البين المجادلة في النتائج التي أسفرت عنها والتي أبهرت العالم بما اكتنفها من ذكاء وحسن تخطيط.

والذين يجادلون بإن السادات لم يفعل شيئا إلا أنه قد قام بتنفيذ خطه الحرب التي وضعها له السابقون ، إنما يتلاعبون بعقول من يستمع إليهم ، أو أنهم علي عيونهم وقلوبهم غشاوة فهم لايبصرون.. ولقد عانت مصر ماعانته في ظل سلفه جمال عبد الناصر من إمتهان لحقوق الشعب وسحق لكرامته وإباحة لماله ودمائه وعرضه وحريته – كما تجرعت مصر في عهده أنكر الهزائم في سنة ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ولعله من الظلم البين لحقوق الشعب إن لا تذاع ملابسات الهزيمة بما يكتنفها من غموض وخيانة ونقص في الإعداد رغم ماسبقها من تحذيرات الملك حسين ، وغيره من المصادر الهامة.

معاهدة كامب دافيد

ومع كل مانستشعره من فضل للقائمين علي حرب أكتوبر وعلي رأسهم السادات ، فأننا نري أن معاهدة كامب دافيد لم تحقق لمصر أهدافها حيث أنها لم تسفر إلا علي صلح منفرد مما أتاح للجانب الآخر بعد تأمين الحدود المصرية ان يسطو وان يتلاعب بمصالح الدول العربية الأخري.

ولقد كان من المنتظر أن تقف أمريكا بكل ثقلها لتوفير الحد الأدني من العدالة التي تكفل لمنطقة الشرق الأوسط استقرارها، وخصوصا بعد أن اعاد السادات لها كامل هيمنتها علي المنطقة بتحويل مصر من دائرة النفوذ السوفيتي إلي دائرتها هي ، وبقدر ماقدم أنور السادات للولايات المتحدة من خدمات جليلة واعترافه بأن أوراق اللعبة كلها في يدها ، وافصاحه عن عدائه الشديد للإتحاد السوفيتي ، وتهالكه علي إبرام السلام العاجل والمنفرد ، فإن الولايات المتحدة لم تقدر مثل هذه التنازلات قدرها الصحيح.

أن الوسيط الذي رشحته أمريكا هو كيسنجر بكل ولائه لإسرائيل من واقع ديانته وصلاته وصداقته لها. ولعل الولايات المتحدة ماكانت لتجرؤ علي ترشيحه لهذه المهمة لولا ترحيب الرئيس المصري وحماسه لمثل هذه الوساطة ... ومن واقع كتاب البحث عن الذات نلمس مدي ترحيب السادات بهذه الوساطة المشكوك في تجردها منذ البداية ، رغم ماكان يدركه تماما أن هنري كيسنجر كان من العوامل الفاعلة لإفشال مبادرة روجرز وزير الخارجية في ذلك الوقت وهو الذي لم تكن إسرائيل لتطمئن

إليه كما هاجمته جولدامائير هجوما مباشراً في الكنيسية ، ولعل عداء **كيسنجر** له كان نابعا من طمعه في منصبه ، وغضب إسرائيل عليه مما سهل خلعه من البيت الأبيض.

وبالرجوع إلي الجزء الأول من كتاب **كيسنجر** **" سنوات في البيت الأبيض"** والذي يغطي الفترة من سنة ١٩٦٨ إلي ١٩٧٣ وخلال فترة رئاسة نيكسون الأولي حينما كان مستشارا له لشئون الأمن القومي ، فإنه لم ينكر صلته الخاصة **بجولدامائير** فهو يذكر إنها كانت تعامله معاملة العمة الكريمة لإبن شقيقها المميز والذي يتمتع لديها بمكانة خاصة ، ولقد كانت تعتبر أي خلاف فى الرأي من جانبه إنما هو من قبيل الخروج علي تقاليد الأسرة الواحدة مما يستدعى أشد الغضب . كما تروي **نانسى** زوجه **كيسنجر** فيما بعد مدي الصخب الذي تحدثه جولدامائير لمجرد أي خلاف بسيط يبديه زوجها - وتصف المناوشات بينهما بأنها كانت أمتع وأكثر إثارة من أية مسرحية شاهدتها.

ولعل **السادات** لم يكن ليخفي عليه الصراع المستمر والقائم مابين مستشار الرئيس **كيسنجر** وبين وزير الخارجيه روجرز والذي أطيح به في النهاية بعد أن وقفت **جولدامائير** في الكنيست الإسرائيلي تلقنه درسا عنيفا. وهكذا كان ترحيب **السادات** وانحيازه **لهنري كيسنجر** من العوامل المرجحه لكفته وتلميع إسمه كوسيط يحظي بقبول وثقة الطرفين - وبعد الإطاحة **بروجرز** تولي **كيسنجر** وزارة الخارجية خلفا له وصار لقبه في مصر صديقي **هنري** .

وقبل أن نعرض **لمعاهدة كامب دافيد** فإننا نتناول بإختصار شديد مايسمونه بمبادرة **روجرز** حيث أن بدايتها ترجع إلي أول مايو سنة ١٩٧٠ حينما وجه الرئيس **جمال عبد الناصر** رسالته إلي الرئيس **نيكسون** يطلب إليه وساطة الولايات المتحدة في حل مشكلة الشرق الأوسط. وإنهاء الإحتلال الإسرائيلي بالعودة إلي حدود ماقبل يونيو سنه ١٩٦٧ علي غرار سابقه الرئيس **ايزنهاور** في حرب سنة ١٩٥٦ ولعل إنذار **ايزنهاور** المعروف كان السابقة الأولي التي وقفت فيها الولايات المتحدة بعزم وصرامة ضد الغزو الإسرائيلي والذي شاركت فيها انجلترا وفرنسا دون سابق استشارة مع الولايات المتحدة.

إلا أن الرئيس **جمال عبد الناصر** قد نسب تراجع الدولتين وانسحاب إسرائيل إلي الإنذار الروسي وكان مقدمه للتغلغل السوفيتي في المنطقة . وظلت اجهزة الدعاية المصرية تهلل للزعيم المصرى ناسبة إليه إنزال الهزيمه بالإمبراطوريتين العريقتين .

وفي كتاب البحث عن الذات يذكر **السادات** " أنه كان يتعين علي **عبد الناصر** أن يتعلم درسا مما حدث فيدرك إن استراتيجية إسرائيل هي أن نكون علي خلاف مع امريكا ، ولكنه بدلا من أن يفعل ذلك فعل العكس تماما فنجده بعد عدوان سنة ١٩٥٦ يشيد الإنذار الروسي وينسب إلي السوفيت كل شئ ويهمل الإشارة إلي قرار **ايزنهاور** بالإنسحاب ، رغم مافي هذا من مجافاة للحقيقة ، فالذي جعل هزيمتنا تنقلب إلي نصر كان القرار الأمريكي وليس الروسى" (١).

١- البحث عن الذات - أنور السادات ، ص ١٩٢ .

ويستطرد **السادات** في مذكراته إلي أن يقول : ولكنه هكذا **جمال عبد الناصر** ... تختلط عليه الأمور ويفقد البصيرة وخاصه لأنه كان يتأثر جدا بتحليلات المحيطين به والذين لم يكونوا شرفاء في تقديم النصح له فقد كان كل همهم أن يضخموا ذات **عبد الناصر** حتي تبقي لهم مراكزهم ونفوذهم".

" وهكذا خرجت الدعاية وجسم الناصريون خرافة انتصاره علي الإمبراطورتين ، وصدق **جمال عبد الناصر** هذه الخرافة".

وفي رحله **عبد الناصر** الأخيرة إلي موسكو عقب هزيمه سنه **١٩٦٧** ، وكان قد تلقي قبلها مايسمي بمبادرة روجرز التي تقضي بوقف إطلاق النار لمدة ٩٠ يوما يجري فيها وسيط من الأمم المتحدة المفاوضات بين الأطراف المعنية تمهيدا للإنسحاب . فقد اضطر **جمال عبد الناصر** إلي إعلان قبوله بهذه المبادرة وهو علي نفس المائدة مع القادة السوفيت في الكرملين .بعد أن أدركه اليأس الكامل من مساندة الروس.

وهكذا حينما وصل نص مبادرة **روجرز** بشكل رسمي إلي القاهرة فإن **جمال** كان في تلك الزيارة السابق الإشارة إليها بموسكو، وكان نائبه السادات يتصور إستحالة قبول المبادرة من جانب **عبد الناصر** وهو يتفاوض في موسكو ، وليس له حليف آخر غيرهم بعد أن بدد كل رصيده من العطف والإعجاب العالمي.

وهكذا في البلاد التي يظلل سماءها سحب الدكتاتورية السوداء بحيث لا يسمع فيها إلا الرأي الواحد للزعيم الأوحد ، فإن **السادات** الذي

يعرف عقلية رئيسه المتحجرة سارع بعقد إجتماع للجنة السياسة للإتحاد الإشتراكي العربي لإعلان رفض مبادرة روجرز ، وأصبح لمصر موقفان إزاءها - الموقف الرسمي الذي يمثله **جمال عبد الناصر** والذي وافق علي المبادرة وهو في موسكو - وموقف مغاير للإتحاد الإشتراكي الذي لم يكن قد أحيط علما بنوايا الرئيس فهو يوصي برفض المبادرة.

ولعل المبادرة ذاتها لم تكن إلا مناوره ، بعد أن فقدت أمريكا ثقتها تماما في الرئيس **جمال عبد الناصر** ، كما أنها كانت لاتثق في قدرات نائبه أنور **السادات** أيضا ، بل أنها توقعت سقوطه من منصب رئاسه الجمهورية بعد توليه بأيام .

وكما يتحدث **السادات** في مذكراته فقد كانت لسياسة **جمال عبد الناصر** المتحيزة والتي كانت تعمل علي تعزيز النفوذ الروسي في المنطقة ، رد الفعل الطبيعي للولايات المتحدة بإعطاء تأييدها المطلق والمتصاعد لإسرائيل. وتمكنت إسرائيل من بسط نفوذها العريض علي البيت الأبيض وخصوصا في بداية الولاية الثانية للرئيس الأمريكي **نيكسون** بعد فضيحة ووترجيت وتراجع نفوذه واحتياجه إلي تأييد اللوبى الصهيوني في المجلسين الكونجرس والشيوخ . كما كان الوضع في مصر يوحي بأنها لن تتمكن من الخروج من ورطتها التي أوقعتها فيها سياستها الخرقاء ، واستحالة التعاون مع **عبد الناصر** أو نظامه ،.فمصر في نظرهم بل ونظر العالم بأسرة قد أصبحت جثة هامدة. وهكذا فأن الولايات المتحدة لم تكن لتولي مبادرة **روجرز** الإهتمام اللازم لإنجاحها- كما لم يكن لديها الدوافع لتغيير موازين

القوي في المنطقة بعد أن تحولت بشكل حاسم لصالح إسرائيل ، وبما يهدد المصالح السوفيتية في المنطقة ويضعف من شأن حلفائها . وذلك بالإضافة إلي روح التعنت التي كانت إسرائيل برئاسه **جولدا مائير** تبديها في رفضها للمبادرة مع تضاؤل نفوذ البيت الأبيض والشلل الذي أصابه بعد فضيحة ووترجيب.

وبموت **جمال عبد الناصر** انتقلت مصر من عهد إلي عهد رغم التمسك بالنظام العسكري كأساس للحكم ، وإن اختلفت الأساليب بإختلاف المعسكرات الجديدة ، فقد أسرع **السادات** بطرد الخبراء الروس من مصر ، كما عمل علي تقليص النفوذ السوفيتي في مصر ، والتطلع إلي الولايات المتحدة وأصدقائها في المنطقة وخصوصا المغفور له جلالة **الملك فيصل** وكذلك دولة الكويت .

إلا أن الحكم يظل في جوهره شموليا ، وقد عبر عنه **السادات** وفقا لما ورد بكتاب **هيكل** " أن **جمال** وانا نريد نفس الشئ لكن الفارق بيني وبينه هو أنه كان يحصل علي مايريد بالدكتاتورية ، وأما أنا فأحصل علي ماأريد بالديموقراطية [١]، وواقع الأمر أن ديكتاتورية **السادات** هي أكثر تطوراً في أساليب الحكم والتلاعب بأدوات السياسة ، فقد شكل مجلسي الشعب والشوري وهما عبارة عن خاتم في يده يبصم بهما علي كل تخريج تشريعي، إن جاوز العقل إلي شطحات الخيال وخرافات القرية التي تصورها جلسات الدخان.

١- خريف الغضب - حسنين هيكل .

وحتي لايتشعب بنا الحديث فإن **السادات** بعد ولايته وبعد نصره المؤزر في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، وبعد أن مهد لحربه تمهيدا يتسم بالدقة والخداع. فإنه منذ البداية كانت لديه سياسة محددة في إنهاء الإحتلال الروسي في مصر والتقرب للولايات المتحدة معتقدا أن أوراق اللعبة كلها في يدها.

وقد فاته أن السياسة الباردة لاتعرف العواطف أو العرفان بالجميل في أغلب الأحوال وإنما يتم اللعب بالأوراق وفقا لخبرة المضاربين ، والقيمة الحقيقية للمراكز التي يتم المضاربة عليها ، وفي ظننا أن الولايات المتحدة قد خرجت بمكاسب ضخمة ، وحصلت عليها بغير مقابلها العادل - ولم تقدر هدية **السادات** لها حق قدرها ، فقد إنتقلت مصر من معسكر إلي آخر بجره قلم ، كما أنه قلص النفوذ الروسي في المنطقة بأكملها - ليصبح الشرق الأوسط وهو تحت المظلة الأمريكية ومن ثم الإسرائيلية بغير منازع ، ولقد خرجت روسيا من مغامراتها في الشرق الأوسط وقد فقدت نفوذها ، وبريقها وأموالها وقد كشفت عن تذبذب سياساتها.

كما أقبلت مصر علي عقد معاهدة سلام منفرد مع إسرائيل في **كامب دافيد** - وتولي **السادات** وحده عبء المفاوضات غير عابئ برأي مستشاريه أو نصائح أهل الرأي في بلده.

وقد بلغ من تعنته أنه قد غضب أشد الغضب أن خرج علي اجماع مجلس الشعب بضعه افراد من المعارضين للإتفاقية فقام بحل المجلس كما سارع بالتنديد بهذه القله من المعارضين لإتفاقية كامب دافيد ، بل أنه قد هددهم بمصيرهم المحتوم في أية إنتخابات مقبلة .

ولقد كنت عضوا بهذا المجلس في ذلك الوقت ، وقد أبديت وجة نظري في كلمه القيتها بالمجلس ، كما إنني قد أمتنعت عن التصويت عند الإقتراع علي المعاهدة حتي اتمكن من إبداء أسباب الإمتناع وفقا لما تنظمه لائحه المجلس من تمكين العضو المتنع من شرح أسباب إمتناعه ، وقد طلبت الكلمه عند الإمتناع ، إلا أن نواب الحكومة قد أخذتهم نشوة الإنتصار المزعوم وأخذوا في ترتيل الأناشيد الوطنية بقيادة رئيس الحكومة الدكتور أحيانا **وبالسيده فايده كامل** أحيانا أخري - إلا أن أصواتهم كانت نشازا تأباه الأذن كما يأباه الوقار الذي يفترض في مجلس ينوب عن الأمه -إذا ماكان له بعد رقصات هزيمة سنة ١٩٦٧ التي دارت فيه بقية من وقار .

وفي إعتقادي أن الرئيس **السادات** كان بإمكانه إستخدام المعارضة في المجلس لصالحه ولتقويه مركزه كمفاوض مصري ينبغي عليه وجوبا أن يضع آراء نواب الشعب موضع الإعتبار والإحترام ، خاصة أن المعارضة وانني أتشرف أن أكون فردا منها ، لم تكن في أغلبها ضد مبدأ السلام في حد ذاته أو أنها كانت خارجة علي الخط الأساسي لرئيس الدولة.

وفي الجانب الآخر كان **بيجن** يبدي كل إحترامه لأراء أعضاء الكنيست ، وكان الأمريكيون يدركون أن مالا يستطيع **بيجن** أن يتنازل عنه، فأن **السادات** عليه جد قدير بل إنه كان يجهر بأنه آخر الفراعنه العظام في مصر . والجدير بالذكر أن الرئيس **السادات** قد أعلن بالغ غضبه علي المعارضين للإتفاقية بحل مجلس الشعب والتنديد بالمعترضين وكذلك

المتنعين بصوت لايخلو من الوعيد ، وقد أورد عبارة الممتنعين بصيغة الجمع ، ولم يكن أحد غيري قد فكر في الإمتناع كوسيلة لإبداء الرأي من جديد بعد أن إتضح لي تماما قلة عدد المعترضين.

وكان سبب إعتراضي كما سجلته في المضبطه بالجلسة السادسة للإجتماع غير العادي لمجلس الشعب بتاريخ ١٠ أكتوبر هو كالآتي باختصار شديد.

أولا : إن المجلس عليه أن لايتورط في الموافقة المتعجلة والمسبقة تحسبا للصعوبات والعرقلة لجهود السلام من الجانب الإسرائيلي ، ولهذا فإنني أري أهمية دور المعارضة البناءة داخل إطار الوحدة الوطنية ، ولم يكن ذلك إلا دعوة مني للقيادة السياسية لتنظيم دور المعارضة بالمجلس لصالح القضية ، وسير المفاوضات كعنصر من عناصر الضغط.

ثانيا : إن السلام العادل شأنه شأن الحرب يقتضي أطرافا متكافئة القوة والصلابة ودخول مصر المفاوضات وهي زعيمة الدول العربية شئ ومفاوضتها وهي علي خلاف مع جميع الدول العربية شئ آخر.

ثالثا : إن الحل المطروح هو في حقيقته حل منفرد ، وكان من الأكرم لمصر ان تعترف بهذه الحقائق بدلا من أن تتكلم باسم العرب الذين يرفضون وكالتنا ، كما أنه لاينبغي لنا أن نحدد

للآخرين رغم انوفهم الإطار الذي عليهم التفاوض في حدوده ... وطرح العرب تماما من المفاوضات هو إنكار لدورهم البالغ الأهمية في حرب سنة ١٩٧٣ وخصوصا **الملك فيصل**.

رابعا : إن التأييد الشعبي للمعاهدة هو في رأي نتيجه للإعلام الحكومي الذي صور السلام في ظل كامب دافيد علي أنه الرخاء الأبدي لمصر .

ورغم إنني لست من المتحمسين لأساليب الحكم المختلفة في المنظمات أو الدول العربية علي اطلاقها مع إستثناء واحد هو جلالة **الملك فيصل** الذي أكن له كل التقدير ، إلا أن الدعاية في مصر كانت من القوة بحيث طمست كل رأي أو فكر مخالف للزعامة المصرية. ولما لا؟ وهو جهاز يزخر بالطلائع الناصرية التي برعت في تزييف الحقائق، وتمييع المواقف بما يعطل تفكير جماهير الشعب وسواده ليصبحوا أجهزة إستماع لاغير . بل أنها عملت علي تحويله إلي أجهزة رخيصة لاتعمل إلا علي موجة واحدة .

ويروي أن **حسن التهامي** في محاولة منه لإسترضاء السعودية فقد أبلغ الدكتور **رشاد فرعون** مستشار **الملك خالد** في ذلك الوقت إن يرفع لجلالته تأكيد مصر بأننا قد حصلنا علي تعهد مكتوب من الجانب الإسرائيلي باستعاده القدس ، ولما أبدي الدكتور **فرعون** رجاءه أن تكون الرسالة محررة لاشفوية فأن **حسن التهامي** لم يتردد في كتابة مثل هذه الأقوال . وبهذه المناسبة فإنني أود أن أشير إلي النقط الآتية :-

أولا : أن القدس لم تكن موضوعا مطروحا للتفاوض ، بل أن استبعادها من مائدة المفاوضات كان شرطاً مسبقا ، باعتبار أن القدس عاصمة أزلية موحدة لدولة إسرائيل.

ثانيا : رفض **بن يسار** رئيس الوفد الإسرائيلي في مفاوضات فندق مينا هاوس رفع العلم الفلسطيني وهدد بالخروج من الفندق ومقاطعة المفاوضات ، مما اضطر معه الجانب المصري إلي انزال كافة الأعلام جميعا تفاديا للحرج.

ثالثا: ان المفاوضات بشأن الضفه والقطاع كانت في حدود الحكم الذاتي - ولم ترد أيه إشارة خاصة بحق تقرير المصير.

رابعا : ان معاهدة كامب دافيد انطوت في حقيقتها علي صلح منفرد - مع تأمين حدود مصر وبذلك تم إطلاق يد إسرائيل في دول المواجهه الأخري وخصوصا لبنان.

ولعل القارئ الذي مازال يتشكك في قيمه وحجم النصر العسكري والمعنوي المترتب علي حرب أكتوبر ان يرجع لمذكرات **كيسنجر** نفسه ليتبين بجلاء أن مصر لم تحصل علي المقابل العادل لحربها المجيدة - رغم الثغرة المزعومة بل والثغرات.

ومن خلال محادثات **هنري كيسنجر** مع القادة الإسرائيليين نجتزئ بعض ماأورده **هيكل** في كتابه خريف الغضب صـ ١٦٠ و صـ١٦١ من واقع المحاضر السرية من **كسينجر** والحكومة الإسرائيلية صـ ١٥٢ - والتي شرح

فيها **الدكتور كيسنجر** للجانب الإسرائيلي حقيقة الموقف وكأن واجبه ينحصر في تبصيرهم وتقديم النصح إليهم حتي اننا بتداعي الأفكار نستعير جملة **سعد باشا** الشهيرة ونحورها لتصبح - "**جولدا مائير** تفاوض **جولدا مائير**"

" شرح الدكتور **كيسنجر** أن هدف محادثات فك الإرتباط هو تجنب الحاجة في الوقت الحالي إلي الحديث عن الحدود أو الترتيبات النهائية للسلام . كما أن نجاح هذه المحادثات سوف يؤدي إلي نتائج مهمة أخري من بينها رفع الحظر عن البترول ، وهذا بدوره سوف يؤدي إلي إنهاء عزلة إسرائيل لأنه سوف يخفف الضغوط الموجهة إليها من دول أوربا الغربية واليابان" . ثم أضاف الدكتور **هنري كيسنجر** بالحرف محذراً": أن أحدا في إسرائيل لاينبغي أن يساوره أدني شك في أن فشل محادثات فك الإرتباط سوف يؤدي إلي إنكسار السد الذي يحمي إسرائيل من هذه الضغوط.

وفي هذه الحالة فإن إسرائيل لن تكون عليها فقط ان تقوم بانسحاب جزئي وإنما سيكون مفروضا عليها ان تنسحب إلي حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ . ثم أضاف **كيسنجر** بالنص :

" الحقيقة أنني مندهش من سلوك **السادات** ، لأن الرئيس المصري لايظهر أنه حتي الآن علي إستعداد لإستعمال كل قوي الضغط السياسي التي خلقها الموقف العالمي الجديد - في مفاوضاته لفك الأرتباط . إن **السادات** يستطيع إستعمال هذه الضغوط لكي يفرض إتفاقا شاملاً وعلي

شروطه ، وحتي لو تجددت المعارك ، فإن العالم سوف يلقي اللوم كله علي إسرائيل " ثم قال **كيسنجر** متسائلاً : أنني لا أعرف لماذا لا يحاول " **السادات** " استعمال حقائق الموقف الجديد لكي يضغط من أجل أنسحاب إسرائيلى شامل " . ثم رد **كيسنجر** علي نفسه وقال بالحرف أيضا : " إن **السادات** فيما يبدو لي وقع ضحية الضعف الإنساني ، أنه يتصرف بسيكولوجية سياسي يريد أن يري نفسه وبسرعه راكبا في سيارة مكشوفه داخلا في موكب منتصر إلي شوارع السويس بينما الآلاف من المصريين يصفقون ويهللون له " . وهذه الفقرات المنقولة عن المحاضر السرية لإجتماعات **كيسنجر** نقلا حرفيا كما جاء بكتاب **هيكل** - تتفق مع موقف **السادات** من دول البترول بعد أن طلب اليهم انهاء الحظر قبل الإتفاق علي مبادئ الصلح المنتظر.

إلا أن **الملك فيصل** رحمه الله قد أبدي كامل تحفظه علي طلب **السادات** برفض الإستجابة علي الطلب المقدم من **السادات** شفويا وجعل شرط القبول هو توجيه رسالة كتابية بهذا المعني من مصر - ولعل مصرع الملك العظيم كان ثمنا لتشدده في مسأله القدس، وانتقاما لحرب البترول[1].

١- صورة فوتوغرافية للشهيدين المفقود لهما جلالة الملك فيصل والنقراشى باشا .

السادات والديموقراطية

وفي هذا الشأن فأنني أعود بالقارئ ثانية لكتاب محمد نجيب وقد وردت به فقرة عن رأي الرئيس نجيب في مدي بعد النظام العسكري بطبيعته عن الديموقراطية حيث يقول " ولكن يبدو أن قدرة العسكريين علي استيعاب المعاني السامية للديموقراطية أمر شديد الصعوبة نتيجة لطبيعة حياتهم داخل الجيش حيث تنفذ الأوامر بلا تردد ، ولامجال للشوري وتبادل الرأي".

وهكذا كان **محمد نجيب** نفسه كما يتهمه اعضاء مجلس الثورة من الضباط بعد ولايته للرياسة ، يحاول أن يستأثر بالحكم دون زملائه الذين أتوا به ، ولم يتظاهر بالديموقراطية إلا لعزلهم عن الحكم وتأليب شعور الجماهير ضدهم – وكما سبق أن أوردنا في هذا الكتاب فقد عرض جمال عبد الناصر عليه اعاده دستور ١٩٢٣ فرفض وكان ذلك من واقع مذكرات نجيب نفسه في كتابه **" كلمتي للتاريخ"**.

وهكذا شأن من سبق **نجيب** في الإنقلابات العسكرية وكذلك شأن اللاحقين نتيجة لطبيعة حياتهم داخل الجيش وتكالبهم علي الحكم وأبهه الرياسات التي قد يأتي بها إنقلاب الجيش داخليا أو تفرضها القوي الكبري فرضا في البلاد التي تقع في مناطق النفوذ الدولية والتي يسلطون عليها أجهزة إعلامهم ويسخرون لصالحهم الدعاية التي أصبحت علما وأسلوبا جديدا بالغ التأثير بحيث تستطيع هذه الدول أن تخلق من عملائها ابطالا، كما تستطيع أيضا تحطيم القيادات السياسة الأخري مهما بلغت من وطنية واخلاص.

وهكذا كان **أنور السادات** أيضا بعد أن صور من ذاته خامس الخلفاء الراشدين وأحيانا أخري أبا العائلة المصرية التي يتوجب لها السمع والطاعة.

ولعله كان صادقا مع نفسه في إعتقاده إنه كبير العائلة وان الخارجين عليه ماهم إلا المارقين الأرازل والخارجين علي تقاليد الأسرة الواحدة - وقد سن القوانين التي تبلور هذا التصور مثل قوانين العيب والمدعي الإشتراكي - واذا ما أحسنا به الظن وأعفيناه من تهمة تعمد إيجاد الثغرات التي شابت مثل هذه القوانين سيئة السمعة والشاذة في حد ذاتها والعمل علي تمييعها بحيث تستطيع أن تنال من أي مواطن مصري يوقعه حظه العاثر في خلاف مع الحكم ، فإن بطانة السوء ومراكز القوي الجديدة من المتاجرين بالوطنية والإنفتاح قد عمدوا إلي الإستفادة من هذه الثغرات التي اوجدوها سعيا للتربح والثراء السريع وإرهاب الآخرين.

وأصبح الرئيس نفسه يجهر بأنْ ديموقراطيته لها أنياب... ومن خلال مجلسيه الشعب والشوري فلم يكن عسيرا عليه التلاعب بالقوانين ، وقد ساعده خياله الجامح في الخروج بفقه جديد يؤكد به سلطانه من المدعي الإشتراكي إلي قوانين العيب علي خلاف مع المبادئ الدستورية المستقرة في العالم الحر والمتعارف عليها في ظل مبادئ حقوق الإنسان.

وكما أمر **السادات** فكان له ماأراد من إدخال قانون العيب في لائحة مجلس الشعب نفسه ، وان تشكل لجنة بالمجلس يناط بها تنفيذ قانون العيب الجديد بحيث تسلط علي المعارضين إذا مالزم الأمر - وبذلك فإنه

قد أفلح في إجهاض فاعلية المجلس إذا ماداعب خيال فرد أو جماعة من بينهم الظن أنه إنسان حر في بلد ديموقراطية وأن له حصانة يكفلها له القانون والدستور .

وقد كنت عضوا بمجلس الشعب في هذه الأثناء وهاجمت قانون العيب والشكل المقترح للجنة العيب مرتين ، أولاهما في الجلسة التاسعة بتاريخ ١٨ ديسمبر سنه ١٩٧٨ حذرت فيها من تكوين لجنة جديدة تحت مسمي لجنة القيم بما نصه : " إنني اعترض علي تكوين لجنه القيم بهذا العدد البسيط ، وسينصب حديثي هنا علي النتائج التي تنتج من تحكيم فئة قليلة العدد في المجلس كله ، وإضفاء إختصاصات كثيره حكرا علي فئة قليلة يسهل التأثير عليها والإيحاء لها ومدي تأثير ذلك علي الديموقراطية في مصر ، ففيها مصادرة لكل رأي حر ، ومخالفة لروح الدستور الذي نحن حماته " .... الخ. كما اعترضت أيضا في الجلسة العاشرة بتاريخ ١٩ ديسمبر سنة ١٩٧٨ بما نصه : " ومنح لجنة القيم كل هذه السلطات يعني أن المجلس قد تخلي عن مبدأ الحصانة التي يكفلها له الدستور فالحصانة هنا دعامة ليست للأعضاء ولكنها حصن للحرية وإستقامة الرأي والتخلي عنها أهدار للدستور ذاته، إن لم يكن في نصوصه ففي روحه يقينا . ان قرار اللجنة في رأي باطل لأنه يهدم الدعامة التي تستند إليها الحرية، وإن مبدأ الحفاظ علي القيم لايستقيم مع تكوين هذه اللجنة وفيها كل هذه الإختصاصات التي تتمكن بها من إهدار كل القيم ".

ولعلي كنت واهما حينما كنت أتكلم عن الحرية في دولة عسكرية تتستر وراء المجلس النيابي للتظاهر بالديموقراطية لوأد الديموقراطية.

وهكذا تنتقل مصر من عهد إلي عهد في ظل الثورة سنة ١٩٥٢ شعارها الأول كان الحرية كل الحرية للشعب ولاحرية لأعداء الشعب ثم أصبح التمسح بالديموقراطية ذات الأنياب ثم انتهت مصر لتنعم بالديموقراطية الجديدة ذات الجرعات . وهي معاني لاتحتاج للتدقيق حتي يفهم المواطن المصري أن هذه المسميات جميعا هي أوجه مختلفة يتجمل بها الحكام العسكريون ، لفرض دكتاتورية ثقيلة لايستطيعون مباشرة حكمهم إلا تحت مظلتها.

ونود قبل نهاية الحديث عن عصر **السادات** أن نشير إلي موضوع نزاهة الحكم لأنه يرتبط أوثق إرتباط بقضية الديموقراطية، فالحكم الشمولي فاسد بطبيعته حيث تنعدم الرقابة الشعبية ، وتصبح المجالس النيابية كشأنها في مصر منذ بداية الثورة، أجهزة مساعدة تابعة للحاكم ، وقد اجهضت تماما من فاعيلتها ومن حقها الرقابي علي الإنفاق الحكومي وميزانيات الدولة . كما أن هذه المجالس قد أقرت بإستبعاد كثير من المصروفات والميزانيات من مجال اختصاصها بدعوي السرية. والحكم الشمولي مصاحب أيضا لظاهرة الأقارب والشلل والمنتفعين بالحكم ولعل هذه الظاهره كانت أوضح ماتكون في عهد **السادات** حتي أصبحت مفاتيح الأمور مقسمة بين المحظوظين بشئ من التخصص كل في مجاله . وقد تعاظمت سلطاتهم حتي إنني سمعت انهم كانوا يستدعون بعض صنائعهم

ويعدونهم بتولي المناصب الوزارية في أول تعديل أو تغيير وزاري مقبل- ومانظن إلا أن ماسمعناه كان صحيحا.

ونضرب مثلا واحداً من مئات الأمثلة لبيان مدي تأثير **المهندس عثمان أحمد عثمان** فحينما طرح مشروع بناء نفق الشهيد **أحمد حمدي** تحت قناة السويس تمت الموافقة علي مناقصة دولية لصالح شركة إنجليزية علي ماأذكر تحت إسم **ترماك** بمبلغ ٣١ مليونا من الجنيهات ، إلا أن شركة **عثمان أحمد عثمان** تمكنت من اقحام نفسها وفرض شركة مشتركة بينها وبين شركة ترماك تحت مسمي جديد هو عثماك ، وأرتفعت بتكاليف النفق إلي مايربو علي ١٠٥ مليون جنيه أي حوالي ١٤٣ مليون دولار حيث كان الدولار في حدود ٧٣ قرشا لاغير.

وفي غضون سنوات قليلة انتقلت أسرة وأنسباء **السادات** من العدم إلي الثراء الفاحش ، وأصبحت العمولات والرشاوي ديدن الحكم في مصر في التجارة المشروعة أو غير المشروعه.

وحينما تقدم المرحوم الدكتور **محمود القاضي** بإستجواب في مجلس الشعب بخصوص ارتفاع التكلفة النهائية لمشروع نفق الشهيد **أحمد حمدي** إلي ثلاثة أضعاف حجم المناقصة التي تقدمت بها شركة **ترماك** ، فقد انبري له وزير الإسكان في ذلك الوقت بفاصل مقذع من الشتائم ، كان أخف ماجاء بها أنه لو كان بالمجلس ثلاث مائة وخمس وستون قاض لما هزوا شعره من رأس الوزير ، أما مانتعفف عن الأفصاح عنه من السخائم فإنه من قبيل احترام ذكري الدكتور **القاضي** رحمه الله .. ولقد توقفت الجلسة

بعد أن ثار نواب الحزب الوطني أنفسهم ، وماهي إلا دقائق انتظرناها ثم دخل من جديد الأستاذ **فكرى مكرم** عبيد وهو يضع يدا علي كتف الوزير والأخري علي كتف الدكتور **القاضي** كما يفتر ثغره عن ابتسامة عريضة قائلا أن الأمر لايعدو المزاح بين زميلين مهندسين. ومانظن أن مثل هذا الوزير كان ليجرؤ علي مثل هذا المسلك لو لم يتلق التوجيه من رئيسه وقد أصبح مثل هذا الفحش في القول من الأمور المعتاده في المجالس التالية.

المذكرات الأخرى للضباط الأحرار

كنت أود أن أعرض لبعض المذكرات الأخري للضباط الأحرار الذين كان لهم أثر فعال سواء في قيام الثورة والإعداد لها أو في الأحداث اللاحقة لهذه الثورة التي شاخت وأصابها الهرم - إلا أن مثل هذه الدراسة تستلزم من الوقت والجهد مالا تستحقه بعد أن عرضنا لأهم الشخصيات وهم روساء الجمهورية المتعاقبين - ولقد أتخذت المذكرات الأخري كشواهد لإلقاء الضوء علي الأحداث والوقائع التي تتسم بالأهمية.

ولعل مذكرات **البغدادي** هى من أهم مذكرات الضباط الأحرار لأن صاحبها كما شرح في سياقها كان يسجل احداث يومه بانتظام عند عودته إلي منزله. فهي أقرب للصواب من غيرها وخصوصا فيما يتعلق بأحداث هزيمة سنة ١٩٦٧ التي لم تلق العناية الكافية لتأريخها، ولعل الحكومات المتعاقبة وهي من توابع الثورة عمدت إلي طمس الحقائق وإبقائها طي الكتمان لأنها تفصح عن فساد العهد والتفريط في حقوق الوطن . ولعل ماجاء بمذكرات **البغدادي** بالنسبة لموقف **جمال عبد الناصر** ازاء هذه الحرب المشئومة ينم علي احساسه ازاءه ببالغ الدهشة والفزع والإحتقار.

وانني انقل من مذكراته فقرة يقول فيها مانصه تحت عنوان تحطيم الألهة [١]: " أننا نشعر وكأننا في حلم كابوس رهيب . هل يدمر سلاحنا الجوي في يوم وتدمر قواتنا الأرضية في يوم واحد آخر. هل هذه القوة الضخمة لاتصمد أكثر من ٣٦ ساعة"؟.

١- البغدادى ، جزء ثانى ، ص ٢٩٠ .

" وأخذنا نعود بذاكرتنا إلي التصرفات في الجيش ، وأسلوب الحكم، وهذه هي نهاية كل نظام مثل هذا النظام . ومغامرة **جمال عبد الناصر** بمستقبل أمة بأكملها في سبيل مجده الشخصي.

وكنا نعرف من قبل أنه يقامر وكنا نندهش من هذا التصرف . وهو كان قد قدر أنه سيحقق نصراً يرفعه إلي السماء دون أن يخسر شيئا. فجاءت النهاية – نهاية نظامه ، وخزي وعار علي الأمة.

ربما يكون خيرا من يدري. ربما أراد الله انقاذ هذه الأمة من إستعباد **جمال** لها ومن تأليههم له ، واستمرار هذه الصورة كان سيؤدي بها إلي أسوأ مصير . فربما أراد الله بهذه الأمة أن تصحو من غفلتها وتحطم الآلهة. وتصحو لنفسها ، وأن لاتدع شخصا آخر يسيطر عليها كما سيطر **جمال** من يدري ".

وإنني أدع للقارئ الحكم علي هذه السطور وهي تعبر عن الواقع أبلغ تعبير بما لم يستطع أحد من اعداء الثورة ذاتها أن يفوقه في اعلان مقته للثورة وصانعها ، ومناشدته لابناء وطنه أن لايسلموا أنفسهم وبلادهم للأفاقين ورغم أهمية مذكرات **البغدادى**، وقد عرضت لكثير من أجزائها في الصفحات السابقة من هذا الكتاب ، فأنني سأتركها لغيرها وهي مذكرات **خالد محى الدين** ، علي سبيل الإستثناء حتي يدرك القارئ مدي البعد مابين الألفاظ والشعارات التي يرفعها رجال الثورة والمعاني الحقيقية للمبادئ التي يدعون التعبير عنها ، والتضحية من أجلها ، ولعل **السادات** في وصفه لزميله **خالد محى الدين** قد أصاب كبد الحقيقة حينما

يقول : ان **خالد محى الدين** شيوعي ماركسي حاول أن يستخدم سلاح الفرسان تحت ستار عودة الديموقراطية والأحزاب معتقدا بذلك أنه يستطيع فرض ديكتاتورية اليسار تلك التي تحيل البشر إلي عجلات في آلهلاهم لها الا طحن الأنسان ، والقضاء عليه وسلبة أخص مقوماته التي خلقها له الله سبحانه وتعالي" .

ورغم أن **السادات** قد عبر عن رأيه في زميله **خالد محى الدين** وماتمثله مبادؤه من طحن لكرامة الإنسان في ظل الديكتاتورية الماركسية ، فقد كان **السادات** نفسة وراء تكوين حزب التجمع برئاسة **خالد محى الدين** كمنبر لليسار سنة ١٩٧٨ يقابله منبر حزب الأحرار برئاسة زميله الآخر **مصطفي كامل مراد** الذي يمثل اليمين في رأية ، بينما يترأس هو حزب مصر كمنبر للوسط ، الذي كان نواة لتكوين الحزب الوطني بزعامته فيما بعد. ولست ادري ماهي المقدمات التي كانت وراء الكواليس لتكوين مثل هذه الأحزاب !! وهل تمت وفقاً للأصول العسكرية الآمره : كونوا يميناً أو يساراً أو كونوا وسطاً ، أم أن فكرة المنابر هذه التي خدعنا بها في أول أمرها كانت محاولة من الرئيس كبير العائلة لإحتلال الفكر الإنساني بجنوحه في مختلف الإتجاهات !! وبقيادة زملائه من الضباط الأحرار الذين يجيدون فن عسكره السياسة ، ومن قبيل الغزو **الساداتى** للفكر السياسى المتجمد في مصر .

كتاب خالد محى الدين "والآن اتكلم"

منذ ثورة ١٩٥٢ ، وغياب الفكر السياسى ، واحتلال الجيش لأدوات الثقافة والإعلام ، تحورت المفاهيم وتبدلت المثل حتى أن مصر فى حاضرها قد أصبحت شعباً آخر غير ماكنا نعهده قبل الثورة . ولم يكن الشعب وحدة هو الذى سقط ضحية الفراغ الفكرى ، والنفعية السياسية بل أن مثل هذه الأمراض قد أصابت بعدواها نفس المسيطرين على العمل السياسى فازدادوا جهلاً على جهل وأصبح جل همهم هو البحث عن السلطة والجاه والثروات. ورحم الله **شوقى** حيث يقول :

تغير المسجد المحزون واختلفت   على المنابر أحرار وعـبدان

فلا الأذان أذ ان فى منارتـــه   إذا تعالـى ولا الآذان آذان

وبالإطلاع على كتاب **خالد محى الدين** والآن اتكلم رغم مايبديه من حيطة فى كثير من المواضع التى يمسها مسا خفيفا ، ويترك للقارىء أن يتلمس المعانى ما بين السطور - ومع ذلك فأن ذكاءة قد خانه ، فلم يتحرز وهو يعيد شريط حياته فى ذهنه بحذف مالايجوز الجهر به ستراً لنفسه ولأصحابه ، ولذلك فقد صدر كتابه نموذجاً لفن الوصولية منذ صدر شبابه الأول .

فنجد أنه بعد إتمام شهادة الثقافة عـام سنة ١٩٤٢ كـان مـن **حسن طالعة** أن أعلنت الكلية الحربية عن قبولها لدفعة من حملة الثقافة ، وكان ذلك كما يقول من أجل عيون **إبراهيم بك خيرى** من اصهار الملك ، وكان له أبن متعثر فى دراسته واغتنم **خالد** الفرصة والتحق بالكلية ، ولعل

ولعل صلة والده **بصدقى باشا** قد يسرت له الإلتحاق وبعد أقل من سنتين يتخرج خالد ليصبح ضابطاً فى سلاح الفرسان وهو فى سن الثامنة عشر .

ثم تواتيه الفرص من جديد حيث كان أحمد بك هيدايت والد زميله صلاح هدايت ويشغل وظيفة سكرتير عام جامعة **فؤاد الأول** ، وقد يسر لهما معادلة شهادة التوجيهية العسكرية بالتوجيهية العادية فى مجلس الجامعة ، رغم أنهما كانا قد حصلا على شهادة التوجيهية العسكرية بالإضافة إلي شهادة الكلية الحربية وتخرجا منها فى أقل من سنتين علي حد ماجاء بكتابه . بهذه المعادلة التى يسرها له **أحمد بك هدايت** تمكن من الإلتحاق بكلية التجارة جامعة **فؤاد الأول** ، ومن جديد يجد واسطته فى الإنتقال من سلاح الفرسان إلي إدارة التدريب فى الجامعة عن طريق **حيدر باشا زوج عمة صديقه عمر شرين** ، وبذلك أصبح موظفاً بالجامعة ذاتها فالتحق بكلية التجارة وتخرج منها ثم عاد أدراجه إلي سلاح الفرسان.

إلا أن سمعته كيسارى كانت قد سبقته ، فتم نقله إلى سلاح الحدود ومن جديد يجد طريقة للعوده ثانيا إلى سلاح الفرسان بواسطة الدكتور **يوسف رشاد** طبيب الملك ورئيس الحرس الحديدى بعد أن سعى له **جمال عبد الناصر** فى هذا الأمر .

ثم نراه بعد قيام الثورة وقد انضم إلي معسكر **محمد نجيب** بإدعائه أنه كان يمثل جانب الديموقراطية ضد الدكتاتورية العسكرية ، وإن كان **نجيب** لم ينجو منه فيما بعد أن ندد به فى كتابه " **الآن اتكلم** "

ويـــدعـــى **خالد محى الدين** أنه كان طوال حياته نصيراً للحرية والديموقراطية - الا أن **جمال عبدالناصر** يتمكن من الإطاحة **بنجيب** وحبسه وتصفية الجيوب الموالية له فى الجيش ، وعلى رأسها سلاح الفرسان الذى كان يتزعمه **خالد** فى الصراع على السلطة وضد سيطرة الجيش على الحكم، ويتم القبض على ضباط سلاح الفرسان وتشريدهم فى السجون والمعتقلات ويأسى **خالد محى الدين** على مصيرهم متمثلاً بعبارة قرأها لولى الدين يكن تقول مساكين انصار الحرية يدافعون عنها فيفقدون حريتهم وهكذا يفقد رجال سلاح الفرسان المنشقين حريتهم. ووظائفهم بإستثناء واحد هو زعيمهم **خالد محى الدين** نفسة ، الذى إرتضى أن يترك أصحابه لمصائرهم المظلمة ويقبل المساومة على حريته بالسفر إلى جنيف معززاً مكرماً برتبه وكذلك بدل سفر قدره ستة جنيهات يومياً . أى أنه قد سمح له بمنفى خمسة نجوم فى جنيف بسويسرا ويظل قابعاً بجنيف بعض الوقت وإن كان على أوثق صلة بكثير من زملائه أعضاء مجلس الثورة، وعقب صفقة الإسلحة التشيكية وتحول **جمال عبدالناصر** إلى اليسار يبعث **كوريبل** الزعيم اليهودى والأب الروحى للشيوعية فى مصر برسالة نقلتها إلى **خالد السيدة ديدار فوزى** ، مطلقة زميله الضابط الشيوعى **عثمان فوزى** وكانت الرسالة عبارة عن جملة واحده **كوريبل يريد أن يراك** ويهرع **خالد** إلى منزل **كوريبل** الريفى على الحدود الفرنسية التى لا تبعد بأكثر من نصف ساعة عن جنيف ، وهنالك فى منزل الوحى يذكر الزعيم **كوريبل خالد محى الدين** بأن عليه واجبا إزاء وطنه وإزاء ثورته التى أسهم فى صنعها - ولعل **كوريبل** نفسه كان أكثر اسهاما فى صناعة

استغرقت عشرة ايام ولعل ذلك كان بعد عناء مباحثاته مع الزعيم **كوربيل** الذى اخصب معلوماته فى الحرية والديموقراطية .

وبعد عودة **خالد** إلى جنيف من نيس يتصل به أحد أصدقائه ليخبره أن النشره العسكرية وصلته وأن ثمة قرار قد صدر بإحالة **خالد** إلى المعاش، وقال له صديقه أن الضباط عاده مايحالون إلى المعاش بالرتبه التالية لرتبتهم أما **خالد** فقد احيل برتبته أى صاغ وبحسبه بسيطه يكتشف أن معاشه هو فى حدود ١٥ جنيه شهريا ويشتد غضب **خالد** بعد أن مد يده وأرسل تأييده **لجمال عبدالناصر** فيكون جزاؤه هو الإحالة إلى المعاش ، ويتصل **بعبد الحكيم عامر** وهو يختزن أقسى التساؤلات والجمل العنيفة ، ولكن **عامر** يتلقى كلماته الأولى ضاحكا كعادته وطمأنه بأنه قد أحيل إلى التقاعد برتب أميرالاى بعد ترقيته اربع رتب مرة واحده ليكون معاشه مساوياً لمرتبه الذى يتلقاه بغير مساس علاوه على بدل السفر.

ومرة أخرى يتلقى **خالد** اتصالا من **كوربيل** ويطلب إليه فيه العودة إلى مصر بعد أن لمس **كوربيل** مدى تحسن سياسة **عبدالناصر** الخارجية ، وإن كانت الديموقراطية لم تحقق بعد ويستطرد **كوربيل** ليقول أن ليس بالإمكان أن تتمسك بكل شيء فى السياسة فإن من يتمسك بكل شيء يخسر كل شيء. ومرة أخرى ينجح **كوربيل** فى إقناع **خالد** بأنه يمكن التضحية بالديموقراطية مادامت المصالح العليا لمصر قد تحققت بانتقال **جمال عبدالناصر** إلى المعسكر المعادى للإستعمار ولعل منطق **كوبيل** إن كل شيء مباح مادام **عبدالناصر** قد أصبح يدور فى فلك الشيوعية . ومره أخرى ينجح **كوربيل** فى إقناع **خالد** أن يتصل بالقاهرة طالباً العودة اليها .

ثورة يوليو المشئومة بانغماس منظمته **حدتو** فى فى احداثها بما يمكن للقارئى يتبينه من خلال كتاب **خالد محى الدين** وغيره من المؤلفات .

ويستطرد **كوربيل** ليقول **لخالد** أن المسافة بينه وبين **جمال عبدالناصر** تضيق كثيرا بعد أن أصبح **عبدالناصر** يخوض معركته ضد الإستعمار والأمريكان ، وأصبح من المعسكر المعادى للإستعمار وينصح **خالد** أن يبعث برسالة إلى **عبدالناصر** يوجه له فيها تحيته وتأييده على مواقفه ليشد من ازره وتحمسه فى اتجاهه الجديد . وحينما أبدى **خالد** تردده وتحدث عن الكرامة والمبادئى الديموقراطية المفتقدة - ظل **كوربيل** يجادله إن المبادىء تتحقق بتحقيق مصلحة الوطن والشعب ، وأن مكان **خالد** هو إلى جانب **جمال عبدالناصر** بعد أن أصبح الإثنان فى معسكر واحد.

وأخيرا كما يقول **خالد** فإنه ابدى إقتناعه ، وهنا رايت أن ابدى للقارئ رأى الشخصى ، ففى ذلك الوقت كانت الحركة الشيوعية تتسم بالعالمية ، فهل كان قبول **خالد** للنصيحة ، بعد تردده هو من قبيل مناقشة الأوامر الصادرة إليه من زعاماته أم أنه وهو الذى يدعى ايمانه العميق بالديموقراطية كانت افكاره عن كنه الديموقراطية لم تنضج بعد إلا بعد أن ساعده **كوربيل** على انضاجها حيث أنه أعلم بها كما هو أعلم بالمصالح الوطنية ايضاً.

وفعلا فقد وفىّ **خالد** بوعده **لكوربيل** بتوجيه رسالته الأولى **لعبدالناصر** عن طريق حقيبة الملحق العسكرى لجنيف . ثم يروى **خالد** فى مذكراته أنه غادر جنيف بصحبة زوجته فى رحلة ترفيهيه إلى نيس

ومثل هذا الرجاء لا يعنى إلا أن **خالدا** قد قبل أن يعود للقاهرة ملتزماً بشروط القاهرة ، ويعود إلى مصر ويدعوه **عبدالناصر** هو ونجله **أمين** إلى منزله إلا أن **خالدا** يذكر للرئيس أنه ليس لديه سيارة. فيرسل إليه سيارة ، وإقحام مسألة السيارة فى مذكرات **خالد** يفصح عن طبيعة الرجل الإنتهازية إلى أبعد مدى . أليس معنى ذلك هو رجاءه إلى الزعيم أن أعطنا مما أعطاك الله مادمت قد رجعت إلى طاعتك ؟ وخصوصا وأن رجلا فى مثل ثرائه وهو صاحب الثروة والثورة معاً ، وماكان ليعجزه أن يدفع خمسين قرشاً أجرة لسيارة تنقلة إلى مقر زعيمه.

وبتداعى الأفكار اعود بذاكرتى إلى قصة رجل من أهل الورع ، وكان يأكل الخشن من الطعام ، فقال له رجل من حاشية السلطان ، لوخدمت السلطان لما كانت بك حاجة إلى مثل هذا الطعام ، فأجابة وانت لو أنك قنعت بمثل هذا الطعام لما كانت بك حاجه إلى خدمة مثل هذا السلطان إلا أن الاميرالاى **خالد** كان له رأى آخر .

مصر والعالم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية

فى اعقاب الحرب العالمية الثانية بزغت فوق سطح السياسة العالمية قوتان عظيمتان هما أمريكا وروسيا ، تدور فى فلك كل منهما الدول الحليفة والموالية لسياسة كل منهما وكذلك مناطق النفوذ التى تتبع مايسمى بالعالم الحر أو المعسكر الآخر وهو الستار الحديدي.

ولقد كانت الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية وبعدها تتطلع إلى قيادة العالم الحر بعد أن خرجت بريطانيا وهى منتصرة من الناحية العسكرية ، إلا أنها كانت تعانى من ضخامة الثمن الذى دفعته لإحراز هذا النصر بحيث أصبحت مهددة بضياع مستعمراتها وتقلص نفوذها وقد أدركت الولايات المتحدة أنها أصبحت الشريك الأقوى فى العالم الغربى بل والعالم الحر بأسره ، كما كانت تتعجل إنتقال التركة إليها بعد أن آذنت سياسة الإستعمار على إنتهاء . ومن جانب آخر فإنه لم يكن أمام الدول الغربية من سبيل أخر إلا أن تنطوى تحت زعامتها بعد أن تفاقم الخطر السوفيتى ، وأصبح الرادع النووى لكل من الدولتين الأعظم هو الضمان للتوازن العالمى والسلام الهش الذى تحرص عليه كل منهما حيث أن البديل لم يكن إلا دمار العام بأسره.

كما أصبحت الهيمنة الكاملة للدولتين على الكرة الأرضية تعنى أن أى مكاسب يحرزها طرف منهما يأتى بالضرورة على حساب الطرف الأخر.

ورغم تقلص النفوذ البريطانى إلا أن بريطانيا كانت بالغة الحرص على ما بقى من نفوذها وقواعدها فى الشرق الأوسط ، وخصوصاً مصر بما

تمثله من ثقل سياسى فى المنطقة ، وكذلك كممر مائى بالغ الأهمية لتجارتها ولأمن وسلامه منابع البترول .

ولم يكن ليخفى على إنجلترا أن حليفتها الكبرى الولايات المتحدة تتطلع بترقب بالغ إلى تغلغل نفوذها فى مصر بعد أن تمكنت من السيطرة السياسية على إيران فى أعقاب ثورة **مصدق** وتمكن المخابرات الأمريكية من إخمادها واعادة **شاه** ايران إلى عرش الطاووس ، كما تغلغل النفوذ الأمريكى فى دول الخليج أيضاً.

ولعل المحاولات الأمريكية فى مصر كانت قد بدأت أثناء الحرب العالمية ، وعقب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ والذى إتخذته المخابرات الأمريكية وسيلة للتقرب إلى **الملك فاروق** واعلان أسفها وتعاطفها معه، وكان **كيرمت روزفلت** نجم إنقلاب إيران قد تمكن من الإستحواذ على صداقة **الملك** وتقديمه الى عمه **فرانكلن روزفلت** رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت كما كان اختيار **كافرى** سفيرا للولايات المتحدة بمصر مايعنى اهتمامها وتطلعها للفرص المواتية .

وفى الجانب الآخر فرن روسيا بزعامة دكتاتورها الرهيب **ستالين** كانت تدرك مدى الاهمية التى تمثلها منطقة الشرق الأوسط ومصر للعالم الغربى والولايات المتحدة .

وما كانت روسيا فى ظل حاكمها الحريص لتقدم على أيه مغامرات لها فى هذه المنطقة التى تمثل شريان الحياة للغرب ، فهى تدرك تماماً الحدود التى يجب أن تتوقف عندها المنافسات الدولية فى ظل سياسة الردع

النووى ، وهى تدرك كذلك مدى التفوق الأمريكى من حيث الإمكانات والقوة العسكرية كذلك .

ولعل الدولتان كانتا على شبه إتفاق وإحترام لمناطق النفوذ التى تتبع كل منها فى العالم .

ورغم ذلك فإن التنافس مابين الإستعمار الجديد الذى تمثله الولايات المتحدة من جهة والإستعمار القديم الذى تمثله حليفتاها انجلترا وفرنسا من جهة آخرى كان يجتذب فضول الساسة الروس فهم أيضاً يتطلعون للفرص المواتية فى ظل الصراع الدائر بين هؤلاء الأصدقاء الألداء .

ولعل فى تصريح **تشرشل** رجل الإمبراطورية العجوز فى مجلس العموم البريطانى ١٩٥١ ما يفصح عن القلق البريطانى إزاء مشاكل الشرق الأوسط ومسئولية الدفاع عن قنال السويس ، وقد سبق أن أوردته فى الصفحات السابقة ، وهو يعبر عن تسليمه بالأمر الواقع من أن التواجد الأمريكى فى المنطقة أصبح من الضرورات التى تحتمها أية سياسة دفاعية ناجحة . ومن الأهمية بمكان ملاحظة التوقيت الذى جاء فيه تصريح **تشرشل** ، فهو قبل قيام الثورة فى مصر ١٩٥٢. كما أن هذا التصريح يعنى التسليم بالأمر الواقع بقبول أمريكا كشريك معترف به فى المنطقة ، ترتكن بريطانيا على تواجده كضمان لوجودها هى .

ولم تكن الولايات المتحدة لتقنع بمثل هذه المشاركة حيث أن دور بريطانيا كدولة عظمى كان قد إنتهى وقد آن الأوان لكى تتخلى عن المسرح السياسى الذى كانت تحتله ، وأن تقنع بدور محدود يناسب حجمها

الجديد، وامكاناتها المتقلصة ومثل هذه الصراعات الدولية كانت لها إنعكاساتها المباشرة على مصر قبل الثورة وبعدها . ومانظن إلا أن الدور الأمريكي كان حاسما فى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وأن اختلف الرأى حول طبيعة هذا الدور الذى قامت به المخابرات الأمريكية ، الا أن القدر المتيقن منه أن الولايات المتحدة كانت على علم كامل بتحركات الضباط الأحرار ، وأنها كانت ترقب هذه التحركات وتباركها بعد أن مهددت لها بتأكيد الضمان من عدم التدخل البريطانى فى حالة نجاحها ، وقدمت وعودها بالاعتراف الدولى والتعاطف الأمريكى كما أن الولايات المتحدة قد ساهمت فى ابرام إتفاقية الجلاء بين جمال عبدالناصر وبريطانيا . ومع كلما أحاطت به الولايات المتحدة الثورة المصرية من عنايةً إلا أن جمال عبدالناصر ما كان ليقنع بالدور المرسوم له وبالزعامة فى حدود بلده وحسب ، بل أنه كان يتطلع لزعامة العالم الإسلامى بأسره من المحيط إلى الخليج كما كان يتطلع أيضاً إلى زعامة دولية معترف بها فى أفريقيا ودول عدم الإنحياز.

ورغم محاولات إغرائه بشتى الوسائل بالإنضمام إلى حلف بغداد للدفاع عن المنطقة ضد التغلغل السوفيتى ، إلا أنه قد رفض سياسة الأحلاف تحت الهيمنة البريطانية الأمريكية ، فهى فى نظره لا تتفق والمصالح المصرية ، كما أن الروس فى رأيه كانوا لا يمثلون خطراً مباشراً على المصالح المصرية .

ولم يكتف ناصر برفض الإنضمام للاحلاف الغربية ، بل إنه حاربها بشتى الوسائل حتى أصبح يمثل حجر عثرة فى قيام أيه سياسة دفاعية ناجحة فى منطقة الشرق الأوسط وقنال السويس بالنسبة للغرب .

ولعل التنازلات والمحاولات التى قام بها الغرب لإجتذابه قد أشعرته بأهميته البالغة ، كما أكسبته معارضتة للاحلاف شعبية جارفة، ومثل هذه المكانة الدولية الرفيعة قد أثرت على منهج **عبدالناصر** وتفكيره تأثيراً مرضيا بحيث أصبحت الأمور لديه لا تقاس بالمصالح الوطنية حيث كان لاينظر اليها إلا من زاوية زعامته فى العالم الإسلامى بأسره .

وقد مهدت لهذه الزعامة أيضاً صفقة السلاح التى أبرمها مع الإتحاد السوفيتى ١٩٥٤ ، وقد خلع **خوروشوف** رئيس الإتحاد السوفيتى الجديد سياسة الحذر التى كان يتبعها سلفه **ستالين** واندفع فى سياسة أكثر جرأه وتشدقا بالتهديد والوعيد ، ولعل هذه الصفقة التى أبرمها الإتحاد السوفيتى مع مصر قد فتحت لها أبواب المنطقة على مصراعيها ، مما ساعد على قيام أنظمة إشتراكية فى سوريا ثم فى العراق واليمن فيما بعد، كما تعاظم النفوذ السوفيتى فى مصر بعد إقبال روسيا على تمويل السد العالى فى أسوان كبديل للعرض الأمريكى الذى تراجع عنه **دالاس** بأسلوب بالغ الخشونة والتنديد بإقتصاد مصر .

ولعل أهم الأحداث التى مرت بها ثورة مصر فى أطوارها المختلفة كانت أزمة قنال السويس وتأميمها وهو مايمثل المرحلة الفاصلة فى علاقة **ناصر** بالغرب ، وكذلك فى تأكيد زعامته فى كثير من الدول النامية التى رأت فيه نموذجاً جسوراً فى التصدى للإستعمار والوقوف فى وجه الدول العظمى .

وعند قيام الغزو الثلاثى لمصر سنة ١٩٥٦ بالجيوش الإنجليزية والفرنسية والإسرائيلية فأن هذا الحدث لم تقتصر آثاره على مصر وحدها ،

ولكنه كان كالزلزال الذى هز التوازن الدولى وأسفر عن نتائج بالغة الأهمية. ولقد كانت السياسة التى تدعيها الولايات المتحدة فى ذلك الحين بزعامة **أيزنهاور** هى تأكيد السلام الدولى وعدم اللجوء لإستعمال القوة ، واحترام القوانين الدولية والإحتكام للمنظمات العالمية كالأمم المتحدة كأسلوب لتصفية الخلافات والأزمات التى قد تنشأ بين الدول ولعل فى تصوير **أيزنهاور** للسياسة الأمريكية فى هذه الآونه وبمناسبة الغزو الثلاثى لمصر مايدعو للتأمل حيث كان يصور الولايات المتحدة وكأنها راهب فى محراب الحق والعدالة ومن كتاب **كيسنجر** Diplomacy ص٥٤٤[١] أنقل فقره من هذا الخطاب الذى القاه **أيزنهاور** فى أكتوبر ١٩٥٦ والذى اعلن فيه نهائياً انفصال سياسة الولايات المتحدة عن السياسة الإستعمارية التى تمثلها انجلترا وفرنسا فى حرب السويس ، وقد أقدمت الدول الثلاث على هذا الغزو دون إخطار الولايات المتحدة ورغم تحذيرات **أيزنهاور** لحلفائه . كما كانت الظروف الدولية غير مواتيه لهذا الغزو الذى لم تحسن الدولتان الإعداد له أو تهيأه الرأى العام لقبوله - كما وقع الغزو فى نفس الوقت الذى كانت روسيا تقوم فيه بقمع الثورة التى اندلعت فى المجر ببالغ العنف والشراسه . ولعل أحداث حرب السويس قد غطت على جرائم السوفيت بحيث لم يقابل الغزو السوفيتى بالمجر بالإهتمام الدولى الذى يستوجبه.

وقد جاء بخطاب **أيزنهاور** السابق التنويه عنه مايأتى :-

" إن السلام لايمكن أن يقوم الا فى ظل القانون وأنه لا يمكن ترسيخ الإحترام للقانون إذا ماأقدمنا على التصرف مع خصومنا وفقا لنصوص معينة من القوانين الدولية تختلف عن النصوص التى نتصرف بمقتضاها مع

١- كيسنجر - دبلوماسية ، ص ٥٤٤ .

أصدقائنا وأن فكرة إحترام القوانين الدوليه التى تحكم العلاقات بين دول العالم تجد لها فى تاريخ الولايات المتحدة جذورها العميقه .

وأن موقف أمريكا فى العالم يحتم عليها أن تكون حكماً عادلاً ومحايداً إزاء الاحداث الدولية بغض النظر عن الأحلاف والمناطق الحيوية التى ترتبط بها ، ومثل هـذا السلوك وهـذه التطلعات هـو الأمر الذى تتمسك به الولايات المتحده كسياسة ثابتة لها تنعكس من تقاليدها " .

وربما كانت المعانى التى عبر عنها **ايزنهاور** مبالغ فيها إلى حد يتعارض مع التصرفات والمواقف الأمريكية وفقا لسياستها التى تجرى فى عالم الواقع سواء فى العلانية أو الخفاء وأنها أضطرت فى كثير من المواقف إلى استعمال القوة واللجوء للعنف إذا ماتعرضت مصالحها للخطر بطريق مباشر أو غير مباشر.

ولعل المعلق الأمريكى الشهير **والترليبمان** قد عبر عن الشعور الأمريكى إزاء حرب السويس أبلغ تعبير حيث يقول إن «التصرف الفرنسى البريطانى سوف يكون الحكم فيه لمستقبل الأحداث ولعل المصالح الأمريكية كانت لتتحقق بنجاح الغزو الفرنسى والإنجليزى رغم ما أعلنته الولايات المتحدة من معارضتها لمثل هذا التصرف ومع أننا ماكنا لنتمنى أن تقدم الدولتان على مثل هذه الخطوة ، الا أننا رغم ذلك لانمنع أنفسنا من الحسرة على فشلها».

ورغم خطورة ماأقدمت عليه أمريكا من إنهاء النفوذ الغربى فى منطقة الشرق الأوسط إلى الأبد بقرار **أيزنهاور** الغير مسبوق بالامر بإنهاء

العمليات الحربية وإنسحاب الجيوش الثلاثة فرنسا وانجلترا وإسرائيل ، وصدوع هذه الدول الثلاث للإنذار الأمريكى ، فإن أمريكا لم تستطع فى ذلك الوقت ملء الفراغ المترتب على خروج انجلترا من المنطقة ، وأن يكن القرار قد حقق لها ماكانت تصبو إليه من زمن بعيد وهو إنفرادها بالنفوذ فى منطقة الشرق الأوسط وقد عبر **بن جوريون** على القرار بقوله " أنه لابد من الخوف مما لابد من الخوف منه " وفى أعقاب إنسحاب جيوش الدول الثلاث ، وتصفية النفوذ الغربى فى المنطقة فقد أحدث القرار تغييرا جذرياً فى موازين القوى العالمية حيث انتهى الدور البريطانى والفرنسى كدول عظمى وعادتا إلى الحجم الذى يناسبهما فى ضوء الموازين العالمية الواقعية، وانكمشت انجلترا لتصبح مجرد حليف لا يعرف له مكانا آخر غير أن يقبع تحت مظلة الحماية الأمريكية.

أما فرنسا فقد أدركت خطورة الإعتماد على مظلة الردع النووى الأمريكية بإعتبار أن الولايات المتحدة قد أصبحت حليفا لايمكن الوثوق به عند الأزمات .

ورغم ما أثاره القرار الأمريكى من انتقادات حادة ، ومن تعريض مصالح الدولتين الحليفتين للخطر الداهم ، ورغم ما أضفاه القرار الأمريكى على زعامة **جمال عبدالناصر** من ترسيخ وتضخيم وبالتالى فقد دعم من النفوذ السوفيتى بالمنطقة بطريق غير مباشر بعد أن إنتهز **خورشوف** فرصة الانذار الأمريكى يتبعة بإنذرات شديدة اللهجة- فرغم كل هذه المثالب السابق الاشارة أليها من وجهة النظر الأوروبية إلا أن هذا القرار كانت له اهدافه ومراميه وحساباته فهو الإعلان الصريح ببدأ إنفصال القرار

الأمريكى عن السياسات الإستعمارية وظهور الولايات المتحدة كزعيم منفرد للعالم الحر ، وانهاء الإستعمار الغربى المتهالك والذى كان يستند على الحماية الأمريكية ، كما كانت أمريكا تتطلع إلى تغلغل نفوذها فى الدول النامية بصفتها الدولة التى ليست لها بالإستعمار أدنى صلة بل أنها الدوله التى تحارب الإستعمار فى العالم .

أما الآثار الدولية الآخرى المترتبة على القرار فهى أن الدول الأورو بية قد أدركت مدى حاجتها إلى الإتحاد والإسراع فى تكوين السوق الأوروبية بغير أبطاء بعد أن استشعرت أن أمريكا قد تخلت عن حليفاتها فى سبيل مصالحها الذاتية بل أن المستشار الألمانى أديناور رغم ولائه الكامل للولايات المتحدة قد راوده الشك أن يكون قرار أيزنهاور وانذاره لم يكن الا من قبيل الصفقات السرية بينه وبين الإتحاد السوفيتى . ولعل مثل هذه الظنون قد دفعته إلى الإسراع فى التقارب مع فرنسا وتمويل برامجها النووية والدعوة بالإسراع فى تكوين السوق الأوروبية الموحدة .

ولعل تصريح أديناور فى باريس عقب انسحاب الدولتين من مصر انصياعا للقرار الأمريكى كان تعبيرا صادقا عن الجزع من تخلى الولايات المتحدة عن أوروبا حيث يقول « أن فرنسا وانجلترا لا يمكنهما أن تصبحا من الدول العظمى التى تقارن بأمريكا أو الإتحاد السوفيتى وكذلك شأن المانيا ».

« ولكن يظل أمامهم سبيل مفتوح للتأثير على المسرح الدولى وهو أوروبا الموحدة. أن انجلترا لم تتهيأ بعد لهذه الخطوة ، ولكن الصدمة التى تلقتها فى قنال السويس سوف تقودها إلى هذا الحل . وأنه ليس هنالك

وقت لإعادة التفكير ، فإن أوروبا الموحدة ستكون هى وسيلتنا إلى الإنتقام».

ولم يخف **أديناور** مخاوفه أن ثمة صفقة ما تجرى بين الولايات المتحدة و ا لاتحاد السوفيتى وأن مشكلة السويس هى جزء من هذه الصفقة وأن على أوروبا أن تدفع الثمن (١).

ولعل فكرة السلام القائم على العدل التى كان يدعى **أيزنهاور** أنها فلسفة الولايات المتحدة والتى من اجلها وقف فى وجة الغزو الثلاثى فى حرب السويس قد تعرضت لامتحان شديد عند غزو الولايات المتحدة لڤيتنام.

كما أن الدول الأوروبية قد وجدت فى ڤيتنام فرصتها لرد الصفعة التى سبق أن تلقتها من قبل على يد حليفتها الكبرى ، فأحجمت عن المشاركة فيها كما أنها فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ بين مصر وإسرائيل فقد منعت استخدام مجالاتها الجويه امام الطائرات الامريكية التى كانت تنقل الامدادات لحليفتها إسرائيل.

ولعلنا باستعراضنا السريع للأثار البعيدة المترتبة على حرب السويس نصل إلى موضوع الكتاب عند مناقشة أثر الإنذار الأمريكى على **جمال عبدالناصر** بعد أن أهداه **أيزنهاوو** نصراً سياسياً ضخماً ، رغم هزيمته العسكرية . إلا أن هذه الهدية الضخمة لم يقابلها **عبدالناصر** بالتقدير الواجب ، بعد أن أوهمتة الحاشية المحيطة به أن مرجع هذا الإنتصار هو عبقرية الزعيم كما دخل فى روع **جمال عبدالناصر** أنه شخصياً قد هزم ثلاث دول منها دولتين تمثلان قمة الأستعمار الغربى وفى هذا المجال ترجع

١- هنرى كيسنجر - دبلوماسية.

إلى كتاب البحث عن الذات **للسادات** حيث يقول «كان على **عبدالناصر** أن يتعلم درسا مما حدث فيدرك أن استراتيجية إسرائيل هى أن تكون على خلاف مع أمريكا ، ولكن بدلاً من أن يفعل ذلك فعل العكس تماماً فنجده بعد عدوان ١٩٥٦ يشيد بالإنذار الروسى ، وينسب إلى السوفيت كل شيء ويهمل الأشاره إلى قرار **أيزنهاور** بالإنسحاب رغم مافى ذلك من مجافاة للحقيقة". ولعل المحيطين **بجمال عبدالناصر** ، وأبواق الدعاية للزعامة المصرية قد صورت الأمر على أنه صانع هذا النصر فهو الزعيم الملهم الذى ارتفع إلى مصاف الزعامة الدولية بشخصه هو وليس بصفته رئيساً لمصر ومن جهته فقد ازدادت علاقاته مع الروس توثقا كوسيلة للضغط على الولايات المتحدة ، وممارسة الابتزاز السياسى الذى تعلمه من استاذه **تيتو** .

والذى لم يكن يعرفه بعد أنه هو الذى كان حجر الشطرنج الذى تحركه الدولتان شأنه شأن أستاذه أيضاً وأن اختلف الأمر بينهما وفقاً لأهمية كل منهما بالنسبة للولايات المتحدة فأمريكا قد استفادت أيضاً من الثورة المصرية عن طريق دراسة ردود الأفعال الإنعكاسية للزعامة المصرية وأنه حينما أصدر الرئيس **أيزنهاور** انذاره للدول الغازية بالإنسحاب ، فأن أمريكا كانت تعرف تماماً نصيبها من هذه الصفقة التى أنهت بمقتضاها نفوذ الإستعمار القديم فى المنطقة ، وتفردت بزعامة العالم الحر . ولعل الولايات المتحدة كانت تأمل أيضاً فى اعادة **جمال عبدالناصر** إلى حظيرتها ، إلا أنها مع ذلك لم يكن ليزعجها كثيرا أن يظل على ولائه للروس وفقا لطبيعته المتقلبة والتى لا يمكن التنبؤ بمصداقيتها ولعل الأسباب الأمريكية فى ذلك ترجع إلى أن تكلفة الإحتفاظ به قد أصبحت تربو بكثير على المنافع والخدمات التى يستطيع أن يقدمها لهم . وقد كان

الساسة الأمريكيون يطلعون دول أوروبا الشرقية على المبالغ الطائلة التى تتكبدها روسيا فى سبيل الإبقاء على **جمال عبدالناصر** فى فلكها بينما تقتر على دول أوروبا التى تدور فى فلكها بل وترهق ميزانياتهم بتحكمها وربط إقتصادهم بإقتصادها ، وكذلك فقد أدركت الولايات المتحدة مدى النزيف الذى تتكبده روسيا للوفاء بالمتطلبات المصرية فى السد العالى والتسليح والمساعدات المالية الضخمة التى تقدمها لمصر والتى لا تتناسب مع المركز المالى الهش للإتحاد السوفيتى ولعل مثل هذا التصرف كان سبباً من أسباب الإطاحة **بخورشوف** .

كما أدرك الساسة الأمريكيون أيضاً أن **عبدالناصر** قد وقع اسيراً لذاتة باعتباره الرمز للتحرر الوطنى والبطولة مما لا يمكن معه انتظار موافقته على السلام فى الشرق الأوسط وإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل وهو الهدف الذى كانت الولايات تسعى اليه عند مساندتها لثوره يوليو ١٩٥٢ فى مصر وكذلك فأنهم كانوا يدركون طبيعة **عبدالناصر** المتقلبة والتى لا يمكنهم الركون اليها كحليف دائم فى المنطقة ، كما يدركون أيضاً أنه قد اصبح فى قبضة الروس وتحت تأثيرهم سواء بإرادته أو بغير إرادته. ولذلك فقد عمد الامريكيون إلى بيع **جمال عبدالناصر** إلى الإتحاد السوفيتى مع الإستفادة تماماً من ردود افعاله الإنعكاسية فى تنفيذ كثير من اغراضهم السياسية ، كما نجدأن **كنيدى** كان يحتفظ بمودة خاصة تجاهه رغم معرفتهم بتوجهاته ولعل إنقلاب اليمن قد لاقى هوى وحماساً من الولايات المتحدة حتى انهم قد اعترفوا بحكومه اليمن الثورية برئاسة **السلال** بعد شهرين ونصف من قيامها - كما كانت بعض مطالب

جمال عبدالناصر تجد أذنا صاغية من الرئيس الأمريكى فى هذا الشأن. ولم يكن من غير المعقول أن **كيندى** كان لايدرك أن صاحبه واقع تحت التأثير السوفيتى وهو الأمر الذى يدعو للتعمق فى دراسة هذه العلاقة الخاصة.

فهو ولاشك يدرك ماسجلته دول الغرب عن **عبدالناصر** وكذلك كثير من الزعماء الآخرين فى العالم فنجد أن **ايدن** سبق أن ذكر في خطاب وجهه إلى **أيزنهاور أثناء أزمه** قنال السويس.

" there is no doubt in our minds that Nasser - Whether he likes it or not, is now effectively in Russian hands , Just as Mussolini was in Hitler's.

وترجمة هذه الفقرة هى كالآتى" ليس هنالك أدنى شك فى ذهننا أن **ناصر** قد أصبحت تحركه الأيدى الروسية برضائه أو رغما عنه تماماً كما سبق **لموسيلينى** أن وقع فى قبضه **هتلر**» ومثل هذا الرأى الذى أبداه **ايدين** أيدّه **شوان لاى** حينما حذر **جمال عبدالناصر** عند زيارته لمصر ١٩٦٣ أن نوايا الروس تجاه مصر هى أبعد ماتكون عن التجرد من الأنانية ، كما ذكر فى مناسبات أخرى أن الروس لا يتورعون من عقد صفقة مع واشنطن لتقسيم العالم إلى مجالات نفوذ روسية وأمريكية على حساب جميع الدول الصغري[١] كما كان رأى الساسة الفرنسيين كذلك وخصوصاً **جى موليه** الذى كان على يقين أن **جمال عبدالناصر** أصبح فى قبضة الروس . ولقد أدرك الأمريكيين أيضا أن **جمال عبدالناصر** يحاول أن يلعب دورا لاتؤهله له إمكاناته الشخصية أوحجم الدولة التى يمثلها والتى شاء لها حظها

١- كتاب ناصر - لأنتونى ناتنج.

العاثر أن يكون على رأسها. كما يدركون أنه قد أصبح يترسم خطا الزعيم **اليوغوسلافى تيتو** . الا أن المخصصات المالية فى الدول الديموقراطية لم تكن لتكفى **تيتو** وكذلك تلاميذه أيضاً وإذا ماكان لابد للأمريكيين من الإختيار بينهما فإن **تيتو** كان فى رأيهم أولى بالمساعدات حيث أنه كان يبتعد ببلاده عن الكتلة الشيوعية بإصرار بينما كان **جمال عبدالناصر** لاتزيده هذه المساعدات التى يتقاطها إلا تنكراً للأمريكيين وإقترابا من الإتحاد السوفيتى .

ولا يخفى على القارئ أن **عبدالناصر** قد أقر لزملائه من أعضاء مجلس الثورة أنه ماركسى وللقارىء أن يرجع إلى مذكرات **البغدادى** الذى أورد فيها رأى **عبدالناصر** واعتناقة لهذا المذهب بل أنه كان أكثر ميلا للجانب المتطرف من الماركسية ، ولم تكن معتقداته هذه وليدة حالة نفسية مضطربة عقب انفصال سوريا ، واعتقاده أن الرأسماليين والإقطاعيين هم الذين كانوا وراء هذا الإنفصال بل أن إعتناقه للماركسية كان فى فترة سابقة وأنه كان يفصح لصديقه المقرب **عبدالحكيم عامر** بميوله منذ البداية كما جاء بالمذكرات إلا أن **البغدادى** لم يعط ذلك إهتماماً حيث أنه كان يظن أن **عبدالحكيم عامر** تختلط عليه مثل هذه الامور وأنه قد أساء الفهم أو أساء التعبير عن معتقدات صاحبة كما أنه لم يكن مؤهلا لفهم مثل هذه الأمور المذهبية.

حرب السويس - ذروة النجاح
وبداية الكارثة

بعد حرب السويس تأكدت زعامة **جمال عبدالناصر** فى العالم الإسلامى والإفريقى ، بل وكثير من دول العالم بغير إستثناء ، ولست ادرى إذا ماكان التصرف الأمريكى حيال جمال **عبدالناصر** نفسه كان من الأمور المرسومة أو إنها من ضربات الحظ العمياء التى لا تخلو منها الحياة حيث تخرج الامور عن حدود التخطيط والتدبير.

وبدلا من أن يراجع **عبدالناصر** نفسه ، ويخلو اليها ، ويتجه إلى إصلاح جسوره التى دمرها مع دول العالم الحر وخاصة أمريكا التى اهدته هذا النصر إهداءً فإنه قد تغير تغيراً مرضيا حتى أنه اعتقد أنه ند لجميع القوى العظمى فى العالم ، كما أنه جرؤ على توجيه الأهانه إلى الرئيس الأمريكى **جونسون** بقوله "إذا لم يعجبه أن يشرب من البحرالأبيض فليشرب من البحر الأحمر" . وكذلك فهو يتصدى لروسيا برئاسة **خورشوف** وهو حليفه الوحيد بإثارة الفتن والإضطرابات ضد حكم **عبد الكريم قاسم** قائد ثورة العراق الحمراء بعد أن نجح فى الإطاحة بالحكم الملكي، بهجومه المستمر على حلف بغداد وإعلان خيانة **نورى السعيد** رئيس الحكومه فى ذلك الوقت ، مما أضطر **خورشوف** معه إلى مهاجمة **عبدالناصر** بأقسى العبارات إذ وصفة بانه شاب انفعالى يحاول أن يفرض إرادته على العالم العربى ، كما هاجم فكرة القومية والوحدة العربية.

كما أصبح **جمال عبدالناصر** يترفع أيضاً على زملائه من أعضاء مجلس الثورة لدرجة أن صديقه **كمال حسين** قد صرح بأنه بعد تجربته لم يعد يؤمن إطلاقاً بأى نوع من الإنقلابات أو التآمر يمكن أن يؤدى إلى الحرية بل سيؤدى إلى دكتاتورية أشد قطعاً (١).

ولقد دأب **جمال عبدالناصر** على معاملة وزرائة وكأنهم يعملون لدية باليومية فهو يؤكد لهم فى مجلس الوزراء أنه وحده المسئول أمام الشعب وهو الذى يختار الوزراء فى حدود السلطة التى يمنحها لهم ومن لا يعجبه هذا الوضع يمشى (٢).

ومره أخرى يحدث نقاش فى المجلس الاتحادى بين **الدكتور محمدأبونصير، وأحمد عبدالكريم ، الوزير السورى** ويتمتم الأخير ببضع كلمات بصوت خافت ، وإذا **بجمال عبدالناصر** يصيح «احنا مش تلامذة فى الفصل هنا ، حلو مشاكلكم مع بعض» .

وكدأبه فى الاستخفاف بزملائه ووزرائه فقد حاول أن يستخدم الدكتور **عبد الجليل العمرى** وهومن هو فى السخرية **بإبراهيم عبد الهادى باشا** حيث طلب إليه أن يتوجه للباشا وأن يفاتحه فى أمر تشكيل وزارة برئاسته . ولم يكن ذلك من جانب **عبد الناصر** إلا محاولة للتلاعب بالرجلين العظيمين.

وحيث أنه ليس على الرسول إلا البلاغ ، فقد نقل الدكتور **العمرى** رسالة **عبد الناصر** إلى **الباشا** ، وإذا **بإبراهيم** العظيم يستنكر مثل هذه الدعوة ويقول معترضا : وعلى أى سلطة أستند فى تأليف الوزارة ؟ أهو

(١) الصامتون يتكلمون صـ ٩٠ . ٢- البغدادى الجزء الثانى ص ٩٧

الجيش فأنا لاأستند إلى الجيش ، إما إذا ماشاء **عبد الناصر أن** يعلن عن عودة الحياة النيابية فإننا سنتقدم شأننا شأن كافه الأحزاب السياسية فى مصر للإنتخابات ، والحزب الذى يحرز أكثر الأصوات يؤلف الوزاره مرتكنا على أغلبيته فى المجلس ولاشئ غير هذا.

ونقل الدكتور **العمرى** ماكان من أمر **إبراهيم عبد الهادى** إلى **جمال عبد الناصر**. ورغم ذلك فقد خرجت جريدة الجمهورية بخبر مفاده أن أحد الوزراء قد قام بمساع من جانبه وبدون تكليف بإبلاغ أحد الزعماء السياسيين القدامى بالإشتراك فى الحكم ، وكان الخبر موقعا بإمضاء مستعار من المعروف صلته **بعبد الناصر**.

ولأول مرة ولعلها الأخيرة أيضا أن جرؤ شخص فى مصر على تحدى **جمال عبد الناصر** ، حيث خاطبه الدكتور **العمرى** فى إجتماع بمجلس الوزراء ساردا ماكان من أمر الرسالة ، وماكان من رفض **إبراهيم عبد الهادى** لما جاء بها ، ثم شفع الدكتور **العمرى** هذا السرد بأنه يكن كل الأحترام لصديقه **إبراهيم عبد الهادى** ، وقدم بعد ذلك إستقالته [١].

كما أصبح الزعيم الأوحد لايعبأ بالرأى العام فى مصر بل أنه كان بالغ الاستهانه بالشعب المصرى منذ بداية الانقلاب ١٩٥٢ فهو يدعى أنه اضطر أضطراراً للاطلاع بالمسئولية لانه لم يجد بين الشعب المصرى بأجمعه من يصلح للحكم حيث يقول فى كتاب فلسفة الثورة: «قامت الطليعة بمهمتها واقتحمت الاسوار وخلعت الطاغية ووقفت تنتظر وصول الزحف المقدس للصفوف المتراصه المنتظمة إلى الهدف الكبير» .... الخ

(١) نقلا عن الدكتور عبد الجليل العمرى شخصاً

ويستطرد « ليقول وكنا فى حاجة للعمل فلم نجد وراءنا إلا الخنوع والتــكاسل ومــن هنا وليس من أى شيء أخذت الثورة شعارها"

كما يقول « كل رجل قابلناه لم يكن يهدف إلا إلى قتل رجل آخر، وكل فكرة سمعناهــا لم تكن تهــدف إلا إلى هــدم فكرة آخــري». ومثل هذه الإدعاءات تضحضها الحقيقة ذاتها حيث أن كل ساسة البلد الكبار كانوا رهن الإعتقال أو أنهم كانوا يحاكمون أمام محاكم الغدر أو محكمة الثورة ، وهى المحكمة التى لاترقى إلى محاكم الخط فى قديم زمانها .

ولعل الذى يرجع إلى احكام محكمة الثورة يتبين له مدى ماتصل إليه الجهالة من سطوة وتحكم ومدى ماتهبط اليه الوضاعة من صلافة وتجبر وماذا يستطيع أن يفعل كبراء البلد وقد سلطت على رؤوسهم فوهات البنادق ورحم الله إسماعيل الحبروك حيث يقول:

أنــت جيــش عبقــــرى (١) مفـرد بين الانــــــام

أنت ســلم فى الحــروب أنت حــــرب فــى الســــــلام

وهكذا أعلنت حرب تفتقر إلى التكافؤ بين وضيع جاهل يده مثبته على الزناد وبين أهل الفكر والعلم والثقافة والأدب والفن.

ولقد زادت حرب ١٩٥٦ حاكم مصر تجبراً على تجبر وترفعا على ترفع حتى كان يسب رجال الدين فى خطاباته فيقول« أنهم يفتون لقاء دحاجه تلقى اليهم» ثم يتعرض هو للفقة فى ١٩٦١ حتى يبرر أن الفلسفة الماركسية التى يعتنقها هو ، هى من صحيح الإسلام واصول الفقة ولعل

١- يقصد جيش عبد الناصر .

القارىء يذكر خطابه المشهور وهو يستشهد بابى **ذر الغفارى** فى حديثه عن النبى صلى الله على وسلم « ثلاث للناس جميعاً النار والماء والكلأ " . وفى رأيه أن **أبا ذر** بحديثه المنسوب هذا عن الكلأ قد عبر عن فلسفة الإسلام فى الاشتراكية رغم أن الحديث فى حد ذاته لاغبار عليه إذا ماوضع فى مكانه الصحيح وتم تفسيره بالمعنى الظاهر والمراد منه إلا أن **عبدالناصر** يقرر أن الكلأ والماء والنار هى وسائل الإنتاج التى كانت معروفة فى زمن النبوة ، ومادام **أبو ذر** قد أفتى بأنها لا تجب ملكيها إلا للناس جميعاً فإن تطوير الحديث وفقا للتخريج **الناصرى** لا يعنى إلا أن وسائل الإنتاج الحديثة من مصانع ومتاجر وعقار هى أيضا ملك للناس جميعاً . ولعل مثل هذا التخريج .يوضح مدى إجترائه على المجتمع وعلى الإسلام معاً ، ومدى تحريف الكلم عن موضعه . ولقد ضخمت حاشية **عبدالناصر** من شأنه وألهته حتى أصبح لا ينظر إلى الأمور عالمية كانت أومحلية إلا من خلال صورته هو كرمز للعبقرية والإلهام السياسى والزعامة والبطولة ، حتى أصبح لايعبأ بشئون بلده التى تضيق حدودها عن مجده وميادين نشاطه وقد إندفع ليدس أنفة الطويل فى كل المشاكل العالمية والعربية والافريقية ، فأن تعذر عليه تواجدها عمل على خلقها وايقاظ نار الفتن فهو يوجه كل همه للعراق كما يندد بحلف بغداد تنديداً لا ينقطع حتى تقوم ثورة العراق بقيادة **عبدالكريم قاسم** الذى يناصبة العداء ، فهو شيوعى لا يضمر لمصر إلا الحقد الدفين . ثم يتآمر على السعودية ويتوعد مليكها بنتف ذقنه ، ويوجة الإهانات التى تخرج عن حدود اللياقة إلى **الملك حسين** الذى يندد بأمه **الملكة زين** ، وهى ملكة هاشمية ليس لها شأن

بالسياسة أو بالنزاع الجارى بينة وبين إبنها وهو يتآمر على اليمن ولبنان والأردن والسعودية وليبيا والمغرب وتونس والسودان ثم يتجة إلى افريقيا ليناصر **لومومبا** ضد **تشومبى** أو غيره من هذه النباتات الشيطانية كما زود المتمردين فى الكونغو برئاسة **انطوان جيزنجا** بالأسلحة عقب الاطاحة بصديقه **لومومبا** ، كما وجهت الاذاعات المصرية ببثها إلى افريقيا وإلى أثيوبيا لتحريض الاقلية المسلمة فى الحبشة على الثورة ضد **هيلا سلاسى** وحكومته الأمر الذى احتج بسببه الامبروطور **هيلاسلاسى** ، وحينما قامت الثورة الشيوعية بالحبشة فقد أتت على الأخضر واليابس فى حين أن حكم **هيلاسلاسى** كان يمتاز بالتعقل والحكمة كما كان يتبع الكنيسة المصرية والتى كانت تمثل باباً مفتوحاً بين مصر والحبشة .

وهكذا بلغ **جمال عبدالناصر** الذروة التي كانت تؤهلة أن يمهد طريقه إلى زعامة الدول الإسلامية ، وإحياء فكرة القومية العربية لتصبح واقعاً يحسب العالم حسابه.

كما كانت الدول الافريقية تتطلع اليه بإعتباره الرائد الذي مهد أمامها السبيل نحو التحرر . وفي ضوء هذه الشعبية الجارفة تمت الوحدة مع سوريا رغم معارضة كثير من أعضاء مجلس قيادة الثورة لما كان يكتنف هذه الوحدة من صعاب بما في ذلك البعد الجغرافي بين البلدين والذي تفصل بينهما إسرائيل ، وكذلك صعوبة السيطرة على الضباط السوريين لما يتسمون به من عدم الإنضباط بعد مابرعوا في عمليات الإنقلاب.

وقد عبر الزعيم السوري **شكرى القوتلى** عن رأية **جمال عبد الناصـــر** في أبناء وطنه حيث يقول له « لقد وضعت نفسك في ورطة في بلد يعتبر كل شخص فيه نفسه إلهاً ».(١)

إلا أن الوحدة قد تمت في ٢٢ فبراير ١٩٥٨

ونجد أن **الأمير فيصل** في ذلك الوقت، ولم يكن قد اعتلى الملك بعد يصرح **لأنور السادات** كما جاء في كتابه « **البحث عن الذات** » عن مخاوفه الشديدة أن مصر ستتلقى ضربة شديدة من جراء هذه الوحده ويطلب من **السادات** أن يبصر زعيمه « بان سوريا عبارة عن عشائر هم ادري بها ، وأن هذه الوحدة لن تستمر ولن تتمشي مع التيارات السياسية فى مصر.

ويقدر ماكان السوريون متحمسون للوحدة تحمساً بلغ حد الهوس حتى أنهم قد حملوا سيارة **جمال عبدالناصر** حملا، وظلت سوريا بعد اعلان الوحدة وهي من الهذيان والخطب والمهرجانات لا تنقطع . وكما جاء بكتاب **السادات** أن السوريين كانوا يأكلون ويشربون وينامون وهم وقوف أو جلوس في أماكنهم بالميدان الذي يطل عليه قصر الضيافة (٢).

إلا أن عمر هذه الوحدة لم يدم طويلاً ـ فقد أسهم **جمال عبدالناصر** بقدر كبير في التعجيل بالإنفصال بسبب سياستة المرتجلة – ولعل اختياره **لعبد الحكيم عامر** كممثل شخصى له بسوريا كان من أهم أسباب هذا الانفصال، وكما أساء عبدالناصر اختيار لمثليه ، فقد وقع **عبدالحكيم عامر** في نفس المحظور حيث أن حركة الأنفصال قد نبعت من

١- ناصر – لأنتونى ناتنج .

٢- البحث عن الذات – أنور السادات.

مكتبة هو، إذ أنه قد وضع ثقته الكاملة في مدير مكتبه السوري **عبدالكريم النحراوي** الذي أضاف اليه أيضاً وظيفة كاتم أسرار الجيش، وقد عمد إلى اجراء حركة تنقلات بين ضباط الجيش السوري ووحداتة ليعين شركاءه المتآمرين في كافه المناصب الهامة بالجيش مع إستبعاد الضباط الموالين لمصر وللوحدة إلى بعثات خارج القطر السوري إمعانا في الحيطة[1] . ورغم ماترامي إلى أسماع **عبدالحكيم عامر** من أنباء هذه المؤمراة إلا أن ثقته الكاملة في مدير مكتبه السوري كانت كاملة . وبالرجوع إلى مذكرات **البغدادي** في هذا الشأن وهي تعكس صورة صادقة لما كان عليه الحال بسوريا نجد أنه يضيف إلى هذه الأسباب التي عجلت بالانفصال سلوك **شمس بدران** الفج مع الضباط السوريين ذوي الرتب الكبيرة كما ضاق الشعب والجيش أيضاً بأسلوب **عبد الحميد السراج** رئيس جهاز المخابرات في القمع والتجسس ومع ذلك فقد قام **عبدالناصر** بترقيته إلى منصب رئاسة المجلس التنفيذي لسوريا حتي أنهم لقبوه بالسلطان **عبدالحميد** .

كما أن **عبدالناصر** لم يراع الخلاف البعيد بين طبيعة الشعبين المصري والسوري أو ظروف الدولتين الإقتصادية حينماً طبق القرارات الإشتراكية التي أصدرها في يوليو ١٩٦١ بأسلوب موحد في الدولتين رغم أن نشاط الشعب السوري يتركز في التجارة بصفة خاصة ورغم ما كان يتنامى إلى أسماع **عبدالناصر** من أنباء السخط وبذور الفتن وسلوك الضباط المصريين الذي كان يتسم بالعجرفة في سوريا الا أنه كان يعتقد أن حب السوريين له هو من القوة بمكان بحيث يقف حائلاً دون أيه محاولات للإنفصال .

١- مذكرات البغدادي - الجزء الثاني.

إلا أن الإنفصال قد أصبح حقيقة واقعه وقد خرج من عباءة **عبدالحكيم عامر** بقيادة رجال مكتبة في غفلة منه. ولقد كان وقع هذا الانفصال بالغ الشدة علي **جمال عبدالناصر** حتى أنه قد افقده توازنه وحكمه الصحيح للأمور وقد صور له خياله الجامح أن الرأسمالية والرجعية السورية والعالمية هي التي تآمرت عليه وكذلك السعوديون ووكالة المخابرات المركزية وفرنسا وانجلترا.. ومادامت يده مغلولة في سوريا وليس أمامه من سيل في ضرب الرأسمالية والرجعية هنالك ، فقد أفرغ جام غضبة على رعاياه من المصريين وقد دخل في روعه أن مثل هذا الإنفصال في سوريا قد يشجع العناصر المناوئة له في مصر من قبل السياسيين القدامى ، والطبقات التى أضرت بالقوانين الإشتراكية ، فهو يسارع ببث الرعب في نفوسهم ويفصح لزملائه من أعضاء مجلس الثورة أن الشعب ينتظر هزة حتى يفيق ، وأنه لا سبيل إلى مهادنة الرجعيين أو النكوص عن طريق الحل الإشتراكي إلى آخر المدى [1] وضرورة تجريدهم من ممتلكاتهم بوضعهم تحت الحراسة والقبض على الساسة القدامى وايداعهم بالسجون وعزل اعداء الثورة والحيلولة بينهم وبين انشطتهم ومصادر رزقهم ولقد كانت هذه الفترة العصيبة التي تمر بها مصر انعكاساً للهلع الذي أصاب قادة الثورة بعد إنفصال سوريا فهم يتحسبون أن فشل الثورة في منطقة ما يعني احتمال الفشل في كل مكان .

وهكذا كانت الزعامة المصرية متعطشة لأي مجال جديد تمارس فيه نشاطها على المسرح الدولي وترد فيه اعتبارها وتؤكد زعامتها في العالم العربي والعالمي وخصوصاً بعد عداء الثورة الجديدة في سوريا لسياستة

١- البغدادى - الجزء الثانى .

وضياع آمالة في العراق والحملات التي يشنها قادة الإنقلاب في البلدين ، كما إنضمت إلى هذه الحملات دول أخرى من التي كانت تعاني من المؤامرات الناصرية النشطة ضدها.

ورغم هذه الفترة العصبية التي كان يجتازها الحكم الناصرى ، فإن **عبدالناصر** لم يكن وحيداً تماما أو منعزلا عن العالم العربي . فإن أسلوبه وأبواق دعايته كانت ترتكز على إطلاق كل الغرائز الضعيفة من حقد وشهوة للسلطة في نفوس الطامعين والانتهازيين .

وهكذا فقد قامت بالسعودية بوادر الفتن الخطيرة ووجة الخطورة فيها أنهاثورة من الداخل في قلب البيت الملكي ذاته . ومن إخوّه الملك بزعامة **الأمير طلال** ومؤازرة أربعة من اخوته وهم أخوة **الملك سعود** كذلك، وقد شكلت هذه المجموعه من الامر اء ما يسمي بحركة الامراء الأحرار ، وقد أعلن **طلال** قائد الحركة أن هدفه ينحصر في تغيير الأوضاع في السعودية . وقد تسلل هؤلاء الأمراء الخمسة الى القاهرة.

كما كانت عدن أيضاً تموج بالثورة ضد الإحتلال البريطاني بإيعاز من الحكم الناصري -كما كانت الجيوب **الناصرية** في الدول العربية تتواجد في الجيوش تحت مسمي الضباط الأحرار في السعودية والأردن والعراق رغم عداء هذه النظم الملكية **لجمال عبدالناصر** .

ومن جانب آخر وفي اعقاب انفصال سوريا ، كان قادة الإنقلاب يشنون هجوماً شرساً على النظام المصري ، وكذلك قادة النظام العسكري الشيوعي في العراق الذي كان يشن حملة ضارية على **عبدالناصر** بزعامة

العقيد المهداوي ، وقد كان ضابطاً سليط اللسان يزهو بأنه أبن جزار وهو كذلك أبن عم الرئيس **عبدالكريم قاسم** ، وقد كان **المهداوي** يتباهي بأن أباه يذبح الخراف أما هو فيذبح الخونه ، وكان يندد بالحكم المصري بأبشع الألفاظ ، وكان يترأس محاكمات هزلية تفوق محكمة الدجوي في مصر .

كما كان **للملك حسين** في الأردن دوره أيضاً في التنديد **بجمال عبدالناصر** حتى أنه قد وصفه بإنه العميل الرئيسي للشيوعية في الشرق الأوسط.

وفي خضم هذه الحملات المسعورة المؤيدة أو المعارضه التي إجتاحت دول العالم العربي تعرضت الثورة المصرية لاقسي ضربة وجهت لها منذ قيامها ، ولعل انفصال سوريا قد جعل **عبد الناصر** متلهفا لفرصته الأولى التي قد تتاح له لرد إعتباره وهيبته في الدول العربية,بل وفي العالم باسره وهكذا حينما توفي **الملك أحمد حميد الدين** أمام اليمن ، وقامت الثورة اليمنية بقيادة **العميد عبدالله السلال** في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، فقد كان **عبدالناصر** متلهفاً على الإعتراف بها والعمل على إنجاحها، وبعد يومين إثنين من إعلان قيامها من إذاعة صنعاء فقد إعترفت الحكومه المصرية بها .

وربما كان الإسراع في محاولة احتواء هذه الثورة في اندفاع وجرأه يرجع إلى تلهف الثورة المصرية على رد اعتبارها كما سبق الذكر وكذلك نظراً للظروف الصعبة الداخلية التي كانت تمر بها السعودية والتي كانت تعاني من صدمة انشقاق الأمراء السعوديين على اخيهم - وكذلك كما كان

يبدو واضحاً من حقد **الملك سعود** على أخيه العظيم **الأمير فيصل** في ذلك الوقت ، مما كانت تظن معه القيادة المصرية أن إعتراض السعودية علي التدخل المصري في اليمن لن يكون أكثر من شقشقة لسان أو زوبعة في فنجان ، وخصوصا بعد أن أعلنت ثورة اليمن عن مقتل الإمام **البدر** نجل الإمام **أحمد** وولي العهد وخليفته بعد مصرعه - كما كانت القيادة المصرية تظن أيضاً أن بريطانيا لا تستطيع أن تكون ندا لها في المنطقة، بعد أن قطع **جمال عبدالناصر** ذيل الأسد البريطاني في حرب ١٩٥٦ وكذلك ضعف مركز الجيش البريطاني في قاعدة عدن المشتعلة .

وربما يكون **عبدالناصر** قد تلقي تشجيعاً خفياً من الولايات المتحدة للإقدام علي مغامرة اليمن ، ومثل هذا الترجيح من جانبنا يرجع إلى محاولة الرئيس **كنيدي** حسم الأمور لصالح الثورة اليمنية بإعترافة السريع بحكومة **السلال** المهتزة بعد عدة أسابيع من قيامها ، رغم إدراكهع بما يثيره هذا الإعتراف من حفيظة السعودية لما فيه من تهديد صريح لنفوذهم بل ولبقائهم.

كما أن **كنيدي** قد قام بالوساطة بين السعودية ومصر بما يدعم استقرار ثورة اليمن . بل أن السفير الأمريكي في القاهرة كان قد قدم **لجمال عبدالناصر** مالدي حكومته من تقارير خاصة بالأحوال في اليمن بالنسبة لوضعها السياسي والإقتصادي قبل التحرك المصري نحو اليمن .

ولعل خطورة الموقف قد تفاقمت بظهور مايسمي بالضباط الأحرار في السعودية والأردن والعراق ممن يتعاطفون مع الثورة اليمنية. فقد

هبطت في مصر بعض الطائرات السعودية والأردنية طالبين حق اللجوء السياسي في مصر ، بعد أن أعلنوا عن رفضهم لنقل المساعدات العسكرية إلى قواعد القوات الملكية في اليمن - كما التجأ أيضاً رئيس سلاح الطيران الأردني إلي مصر ، وهذه الظاهرة قد تمت تحت ما يسمى بالضباط الأحرار في السعودية والأردن .

وظن **جمال عبدالناصر** أن الريح رخاء وكان **أنور السادات** من المتحمسين للتدخل المصري وقد أفهم زعيمة أن سربا واحد - من الطائرات سوف يحسم الأمور ، وأن مجرد أزيز الطائرات والقيام ببعض المناورات يكفي لعودة الشراذم الملكية إل جحورها . .

ولعل **حسين الشافعي** نفسة في الكتاب الذي قدمة صلاح الإمام كان يظن أن سوريا كانت طعماً وضع بذكاء شديد جداً جداً على حد الفاظة وأن **أنور السادات** قد أوقع فيها **جمال عبدالناصر** حيث أن **السادات** في رأي **الشافعي** كان وراء كل هذه المخططات ويستطرد **الشافعي** ليقول "فإذا كان **أنور السادات** كما تقول الواشنطن بوست - عميلاً للمخابرات الأجنبية منذ الستينات ، فهنا يسقط هذا التعجب ، ويسقط المنطق ، لأن **أنور السادات** كان أيضاً وراء حرب اليمن " ودفاع **الشافعي** عن **جمال عبدالناصر** أنه ليس مسؤلاً عن حرب اليمن، وأن **أنور السادات** أوقعه فيها هو من السذاجة بمكان حيث يظهر صاحبة في موقف الجاهل بعواقب الأمور الذي ينخدع برأي الآخرين مرة تلو الأخرى ، وان صاحبة **عبدالناصر** يضع ثقته في غير اهلها ، ويولي من يشاء ويعزل من يشاء بغير دراسة أو تبصر وهو أسوا مايوصف به حاكم .

وعلى أية حال فقد أثبتت الأيام والوقائع أن تقدير القيادة المصرية كان بالغ السطحية حيث كان الوضع السياسي في الخليج لا يحتمل التسليم بمطامع الناصرية وقد تكون الولايات المتحدة صادقة في نفورها من أسرة **حميد الدين** وعدائها للحكم الملكي المتخلف والمطلق في اليمن ، كما أن السياسية الأمريكية ترمي دائما وعلى العموم إلى التخلص من النظم الملكية في المنطقة ، وهو ما حدث في العراق وكذلك في ليبيا في فترة لاحقة.

إلا أن الولايات المتحدة رغم ذلك كانت تريدها ناصرية محجمة ومبرمجة بحيث لا تخرج عن دورها لاداء كثير من المهام نيابة عنها سواء كانت الأرادة الناصرية موالية أو معادية بأسلوبها المعهود في العناد والإندفاع الأعمي ، وقد برعت المخابرات الأمريكية في الإستفادة بها في الحالتين سواء في الرضا أو الغضب كما أنه لا يستبعد أيضاً أن بعض حاشية الزعيم لم تكن فوق الشبهات ، كما أن القوتين الأعظم كانتا دائما على شيء من التفاهم في الأمور الجارية.

فإذا ماكان قيام ثورة اليمن هو من الأمور المطلوبة بالنسبة للولايات المتحدة ، وكذلك الاجهاز على حكم أسرة **حميد الدين** واخيرا وليس آخراً ضرب البقية الباقية من آثار الإستعمار البريطاني في عدن، فإن زعامة **عبدالناصر** المنفردة في المنطقة هي من الأمور التي لم تكن لتقبلها السياسة الأمريكية.

فهى فى استعمالها **لجمال عبدالناصر** كانت بالغة الخبث والحسم معا فقد كان دورة بالنسبة لهم في اعتقادنا كدور النحلة التي تجمع العسل ثم

لا تحظي بشيء منه وانما يذهب كدها وكدحها للآخرين ، وأن يكن الذي تجمعه الثورة المصرية هو من العسل المر ، الذي خسرت مصر في جمعه أمنها واستقرار الدول الصديقة المجاورة وثقة الدول العربية التي كانت دائما ما تتطلع إلى مصر باعتبارها الرأس المدبر والصدر الرحب والجسر إلى العلم والمعرفة والحضارة.

ولقد فات **جمال عبدالناصر** أن السعودية لن تقبل في اليمن حكومة عميلة أو قوي خارجية، وأن دور **فيصل** في الزعامة السعودية لم يكن قد إنتهي بعد بل أنه كان قد بدأ ، وأن صلاتة بواشنطن ودوائر البترول بالولايات المتحدة هي من القوة بمكان ، ومع ذلك فإن **فيصل** قد قبل الأتفاقية التي جهد **كيندي** في حث الأطراف المتنازعة في اليمن على قبولها وبمقتضي هذه الإتفاقية وفي حال قبولها فقد تم اعتراف حكومة الولايات المتحدة بحكومه **السلال** وكان على الجانب المصري بمقتضي هذه الإتفاقية وكذلك السعودية سحب القوات الأجنبية من اليمن على مراحل ، وأنهاء المساندة الخارجية للملكيين ، وأنشاء نظام للرقابة الدولية لوقف الإشتباك وكذلك فض المنازعات والتقيد بالنصوص الواردة بالإتفاق مع وعود أمريكية بتقديم المساعدات الإقتصادية للجمهورية اليمنية.

ورغم أن هذه الإتفاقية كانت تمثل طوق النجاة للحكم المصري ، الا أنه بدلاً من ذلك فقد عمد إلى التلاعب بسحب بعض القوات ثم الرجوع إلي تدعيم الجيش المرابط باليمن رغم ماكانت تتكبدة مصر من خسائر في الأرواح ونزيف من العملات الصعبة يومياً كما إتضح بجلاء عجز

الجمهوريين رغم مساندة الجيش المصري على حسم الحرب بقوة السلاح في جبال اليمن الوعرة وصحرائها المكشوفة وطبيعتها القاسية بعد أن عمدت السعودية لإنتهاز الفرصة لإحراج الدكتاتور المصرى واستنزافة وقد واتتهم الفرصة للإنتقام ورد الصاع صاعين ، وكان سلاحها في ذلك هو المال ومتاخمة الحدود بينها وبين اليمن والإستعانة برجال العصابات من المرتزقة المحترفين دوليا وبمعاونة البريطانيين الذين وجدوا فرص سانحة لتلقين الدكتاتور درساً بالغ القسوة بعد أن تورط ورطة العمر في أمر لم يكن له به شأن أو مصلحة كما أن ولاء الولايات المتحدة إذا ما اضطرت إلى الاختيار فهو إلى جانب **فيصل** بطبيعة الحال بعد أن اضطلع **جمال عبدالناصر** بدوره وانتهى بقيام ثورة اليمن والإطاحة بأسرة **حميد الدين** ، ولقد اتاحت له فرصة العمر أن يخرج من اليمن بكرامته ، وهي الفرصة التي تركها لتفلت من بين يدية ، وبينما كان **فيصل** بذكائه المتوقد يلتزم باتفاقية **كنيدي** في العمل على وقت الإشتباك ، فإن الجيش المصري كان يضطر اضطراراً لتدعيم قواته بعد تردى موقفه العسكري في اليمن ، كما أن **السلال** كان يزيد الموقف سوءاً بالتصريح أنه يملك الصواريخ التي سوف تدمر الرياض على رأس حكومتها ، كما كانت الطائرات المصرية تغير على بعض المناطق في السعودية التي كانت تحتمى بها القوات الموالية للنظام الملكي في اليمن . وإزاء هذه الإنتهاكات لروح الإتفاقية التي قامت بمبادرة من الرئيس الأمريكي ، والتي كان اعتراف الحكومه الامريكية بحكومة الثورة اليمنية ثمناً لها ، فقد شعرت الحكومة الأمريكية ببالغ الحرج إزاء المملكة السعودية بل ومن داخل الولايات المتحدة ذاتها وكذلك من العالم

الخارجي وخصوصاً دول الغرب التي كانت تساند السعودية بغضاً في النظام المصري .

كما أن سياسة الولايات المتحدة في المنطقة تلتزم بسلامة النظام الملكي بالسعودية إلتزاما محورياً ، مما اضطرت معه إلى الضغط على النظام المصري ، كما عمدت إلى المناورات العسكرية التي أظهرت بكل وضوح وقوفها إلى جانب النظام السعودي وخصوصاً بعد إلتزامة بكل تعهداته فيما يختص بإتفاقية اليمن ولعل مثل هذه السياسة الأمريكية في منطقة الخليج التي تقوم على الالتزام بأمن وسلامة السعودية قد كانت من المرونة بمكان حيث أنها قد استخدمت **عبدالناصر** في حدود منفعتها هي ، فهي ترحب بالفرص المتاحة والصداقات المرحلية التي لا تتعارض مع اهدافها البعيدة ، أما أمن السعودية فيظل بعيداً عن العبث .

وإزاء الفرصة الأولى التي اضاعها **عبدالناصر** للإنسحاب ، وإزاء تحول مسار الحرب لصالح الملكيين فقد عهد **فيصل** إلى استغلال الموقف لتحقيق أغراضة في إحراج **عبدالناصر** بحيث لايستطيع بعد ذلك الإنسحاب إلا وفقا لشروطة وبحيث يتعذر عليه إدعاء النصر سياسيا أو عسكريا ، وهو الأمر الذي كان يؤرقة أشد الأرق .

وبعد عامين من الإستنزاف فقد نجحت مساعي الدول العربية في تهيأة الجو للمصالحة بين الزعيمين بعد أن إتضح بجلاء عجز **عبدالناصر** فى إحراج الموقف السعودي أو تهديد أمنها وقد تمت بالفعل مصالحة هشة بعد أن اضطر **جمال عبدالناصر** إلى الإعتذار عن هجمات الجيش المصري وإغارة

وإغارة الطيران على الأراضي السعودية. إلا أن القوات الملكية سرعان ما إستأنفت القتال من جديد ، كما أصبح نظام **السلال** نفسة عرضة للانقلاب من الداخل وقد استقال عدد من وزرائه احتجاجاً على فساد الحكم ، وعلى توسل **السلال** إلى تدعيم نظامة بقوة الجيش المصري مما كان يبعث علي ازدراء الشعب اليمني كما أضافت وضاعة أصلة إلى ضعف مركزه كرئيس للثورة حيث كان والده حلاقا باليمن، ومثل هذه الأمور هي من الأهمية بمكان في بلد يقوم على النظم القبلية ومع كل ما أتضح من عجز النظام وفساده فإن القيادة المصرية كانت تزداد تمسكا به إلى الحد الذي بلغ إلى أرهاب المعارضين للنظام من زعماء القبائل المؤيدة للنظام الجمهوري لمجرد رفضهم لزعامة **السلال** كماقامت بحبس عددكبيرمنهم في السجون المصرية.

ورغم ماكان يعانية النظام المصري من نزيف ومن محاصرة في اليمن إلا أنه كان مستمراً في إثاره الفتن والاضطرابات في اليمن الجنوبية ، رغم ما أعلنته بريطانيا من عزمها على التخلي عن كافة قواعدها بعدن والخليج الفارسى وليبيا وهي آخر معاقلها في العالم العربي ، والتعهد بالجلاء في موعد محدد هو عام ١٩٦٨. الا أن **عبدالناصر** استمر في حملته العنيفة ضد الإمبريالية البريطانية ، وقد ضاعف من مساندتة العسكرية لثوار عدن بالأموال والسلاح ، كما انطلقت ابواق الدعاية على التركيز في هجومها ضد الإستعمار البريطاني . كما أعلن أن جيوشة باليمن باقية مادامت عدن تحت الإستعمار. وهكذا أضاع فرصة أخرى للخروج من اليمن بعد إتفاقية السودان حيث أنه كان يظن أنه يستطيع بحملاته الضارية ضد

الإحتلال البريطاني أن يعجل بموعد جلائها عن قواعدها حتي ينسب لنفسه نصراً جديداً في العالم العربي .

وما نظن الا أن الولايات المتحدة كانت بالغة السعادة بهذه الحملة الناصرية ، وبخروج بريطانيا من آخر معاقلها بالخليج وكذلك من ليبيا .

ورغم ما كان يبدية **كيندي** من تعاطف مع **عبدالناصر** وما كان يوليه له من اهتمام مبالغ فيه بالتشاور معه في كثير من القضايا الدولية كما يتضح من الخطابات المتبادلة بينهما ورغم المعونات الإقتصادية التي تقدمها الولايات المتحدة وخصوصاً مايتعلق بإتفاقية شحنات القمح ، إلا أن **عبدالناصر** قد إنتهز الفرصة الأولى للتعريض بالولايات المتحدة وسياستها الامبريالية إزاء الغزو الأمريكي لكوبا كما أدان عملية خليج الخنازير التي تورط فيها **كيندي** شخصياً.

كما هاجم بعد مصرع **كيندي** الرئيس الامريكى **جونسون** وبذلك توقفت شحنات القمح إلى حين بعد أنتهاء أجلها في ١٩٦٥.

وقد يقال أن **جمال عبدالناصر** وهو رجل المبادىء ماكان ليقبل السكوت إزاء قضية عالمية خطيرة مثل غزو أمريكا لخليج الخنازير بكوبا إلا أن نفس الرجل بعد حرب ١٩٦٧ كان قد إبتلع لسانة عند غزو الإتحاد السوفيتي لشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨. وكان من رأي **تيتو** أنه مهما بلغ حجم اعتماد مصر على مساعدات روسيا وحمايتها إلا أنه لا يليق بزعيم بارز من زعماء دول عدم الإنحياز أن يلتزم مثل هذا الصمت إزاء وحشية الجيش الروسي في قمعة لبلد أوروبي - ولعل **تيتو** كان يتحسب أن يكون

عدم إدانه السلوك السوفيتي ، قد يغري القادة الروس بممارسة الابتزاز قبل دول أوروبا الشرقية كذلك ، بما في ذلك يوغوسلافيا بطبيعية الحال.

وكما جاء بكتاب " **ناصر** " **لانتوني ناتنج**" أنه عندما قام **تيتو** بزيارة السد العالي في أسوان في وقت لاحق من نفس العام ، حاول **عبدالناصر** ،تفسير أسباب صمتة ، فأوضح له أنه لا يستطيع أن يهاجم الروس الذين يمثلون أمله الوحيد في الحصول على الأسلحة التي يحتاج اليها للدفاع عن مصر. ويزعم **انتوني ناتنج** أن **تيتو** قد أعلن أن هذا آخر شيء كان يريده لمصر ، وأنه لم يعد يشعر بنفس الإحترام لزعيمها كما يستطرد ليقول أن ضياع هذا العنصر الجوهري من الأساس الذي كانت تقوم عليه هذه الصداقة قد عجل بنهاية هذه الصلة التي كانت تعتبر أوثق صداقات **عبدالناصر** السياسية خارج مصر

• مقدمـــات حرب ١٩٦٧

في هذه النبذة التي نحن بصددها وهي علاقة مصر بالعالم الخارجي في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وخصوصا بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وهي الفترة التـــي كانت تتسم بسرعـــة الاحـــداث ، وبروز زعامـــة **جمال عبدالناصر** علي مسرح السياسة العالمية كظاهرة أسطورية سرعان مابزغت ثم سرعان ماإنطفأت بعد أن إتضح بجلاء فشل التجربة والتكلفة البالغة التي تكبدتها مصر . ولم يكن ذلك من جانبنا محاولة للتأريخ حيث أن موضوعنا بعيد عن هذا الخط ، حيث تنحصر دراستنا في التناقضات التي تزخر بها مذكرات الضباط الأحرار وبصفه خاصة من سبق أن تولي الحكم منهم ، ومن خلال هذه الدراسة نحاول أن نصل إلى كثير من الأمور التي مازال يكتنفها الغموض كما نعرض أيضاً إلى الظروف المحيطة بقيام الثورة و الآباء الحقيقيين لها .

ففي رأينا أن ثورة يوليو انما تمثل شرخا في تاريخ مصر انقطعت معه الصلة بين تاريخها القديم وما كان يمثلة من تقاليد ومثل وأسلوب ، وبين حاضر ضل فيه الأبناء والأحفاد سبيل أبائهم الأولين كما انقطعت الصلة في العمل السياسي والحقل الإقتصادي كما اندثرت القيم التي كانت تعتز بها مصر ايما إعتزاز قبل الثورة لتسود مفاهيم جديدة بالغة الشذوذ والغرابة وخصوصاً بالنسبة للمخضرمين الذين امتدت بهم الحياة ليعيشوا وطناً آخر وشعبا آخر وفهما آخر.

ولعل نكوص الحكومة في عهدها الأخير عن الحل الإشتراكي وتملك الدول لأدوات الإنتاج لتنهج نهجاً مضاداً قوامة الحرية الإقتصادية وآليات

السوق مع تمسكها بالدستوراللادستوري الذي ينص على أن القطاع العام هو ركيزه مصر الإقتصادية فإن هذا التراجع يعني أن مصر قد أضاعت من عمرها أربعين عاماً في تجارب ماركسية فاشلة في مصر شأنها في كل العالم . كما يعني ذلك أيضاً أن مصر قد بددت تراثاً هائلاً من حضارتها وركيزتها من الإداريين والفنيين والتقنيين والإقتصاديين وغيرهم من رجال الفقه والسياسة والإجتماع وما إلى ذلك في فتره انقطاعها بعد الثورة وبحيث أصبح من العسير إمساك الخيوط التي كانت تصل الأبناء بأبائهم وما كانوا يورثونه ويطورونه من حضارة ، سرعان ما ابتزلتها الثورة المشئومة .

والتزاماً منا بالمنهج الذي سبق الاشارة اليه في الدراسة فإننا نعود للإستكمال موضوع علاقة مصر الثورة بالعالم الخارجي بعد انتصار ١٩٥٦ المزعوم ثم الوحدة السورية المصرية وانفصالها ثم التدخل المصري في ثورة اليمن وهي أهم معالم الثورة التي كانت المقدمة لهزيمة ١٩٦٧ ومثل هذه الأحداث البالغة الخطورة في تاريخ مصر قد وقعت بالأمر المباشر والمنفرد من **جمال عبدالناصر**، شأنها شأن حرب ١٩٦٧ ولقد كانت نتيجة لمثل هذه القرارات أن أنقطعت جسور مصر مع العالم بأسره ، كما إنتهت دعوى الزعامة الناصرية إلي مجرد حجارة في يد القوى الدولية يحركونها سواء برضائها أو رغما عنها .

ولقد أتيحت له من الفرص مالم يتح لزعيم آخر للعودة إلى بر الأمان وتدارك الاخطاء المميتة ، الا أنه كان يتميز دائما بقصر النظر وبسهولة

الاستشارة بحيث لا يمكن التعرف له على سياسة مستقرة وواضحة أو اسلوب في الحكم أو منهج في الفكر ، وانما كانت تحركاته دائما ما تتسم بانها كانت عبارة عن ردود أفعال إنعكاسية لتوجهات خارجية مدروسة ، وهي التي كانت تمثل الثغرات.التي احرزت الدول الأخرى كامل أهدافها من خلالها ولعل أكثر مايميز هذه الشخصية النرجسية والتي تعاني من مرض العظمة أن الامور بمصر لم تعد تقاس بمدى ماتحققه من المصالح الوطنية بقدر ماكان ينظر اليها على أساس مدي ماتحققه لصورة الزعامة والرمز ولقد كانت سياسة إسرائيل الثابتة هي التقرب للولايات المتحدة وتوسيع شقة الخلاف فيما بينها وبين مصر وهو الأمر الذي يسرته لها الزعامة المصرية بكل سهولة وفي غفلة منها [١].

Dangerous Liaison. Andrew and Leslie Cockburn.

(١) وهو مؤلف ظهر بالوليات المتحدة وسوعان ما أختفي من التداول وهو يشير إلي الصلة الخفية ما بين أمريكا وإسرائيل.

الإنزلاق إلى الهاويــة

لعل السنوات السابقة على هزيمة ١٩٦٧ كانت تمهيداً للكارثة، من أقتصاد مهلهل ، وجيش منقسم على نفسة ، وقد تخلى الجيش عن مسئولياته ليصبح أداه لتثبيت الحكم الدكتاتوري في الداخل كما أصبح طرفاً في النزاع علي السلطة ، ففي ظل رئاسة المشير **عامر** للجيش تحول إلي اداة للهيمنة علي مقدارات الدولة باكملها ، وتوزيع المناصب المدنية الهامة في الدولة على المحاسيب والأنصار بدءاً من السفارات في الخارج إلى الشركات والمؤسسات الصناعية والتجارية- بل أنه قد بلغ الأمر إلى حد الإستهانة بخطوط السلطة فنجد أن **شمس بدران** رجل المشير وزير الحربية فيما بعد يصدر إلي كافة مؤسسات الدولة خطابات دورية باسم المشير عن ضرورة اخطارة باية مناصب شاغرة وأن يحظر على القائمين بالامر ملء هذه الوظائف الا بعد الرجوع اليه .

كما إنقسم الجيش على نفسه في تنازع ولائة بين رئيس تقلص نفوذه بين الدوائر العسكرية لكي تتجة بولائها إلى المشير **عبدالحكيم عامر** وبينما يتربص الأول بصاحبة فإن الثاني كان يدرك ما يدور بخلد زعيمة ، فهو يزداد تشبساً برئاسة الجيش ويتدعيم سلطانه بينهم بتشكيلات لاتدين بالزعامة الا له ومن جانب آخر فإن **عبدالناصر** يحاول مثل هذا الأمر بين صفوف الجيش ونجد بعض تفاصيل مثل هذه المنافسة بين الصديقين اللدودين على تبعية الجيش في مذكرات **صلاح نصر والبغدادي** وقد جاء في مذكراته أن **جمال عبدالناصر** كان يعتقد أن مجموعه من الضباط المحيطين **بعبدالحكيم** يقومون بنشاط مضاد لشخصه.

والدكتاتور كما هو معلوم يغفر الذنوب جميعها إلا ما يتعلق بذاته أو بسلطانه ومنذ حرب ١٩٥٦ فإن **عبدالناصر** كان يدرك تمام الإدراك أن **عبدالحكيم** لا يصلح لقيادة الجيش وقد حاول جهده أن يتخلص منه الا أنه لم يستطع ذلك حتى النهاية وبعد أن نفذ السهم منيت مصر بأفدح الهزائم في ١٩٦٧.

وكذلك فإن أداء الجيش باليمن كان يدعو للأسى ، فقد أصبح النقل اليها مطمع كل ضابط ناشئ يريد أن يتأهل أو يتكسب ، لما كانوا يتمتعون به من مزايا مالية في ذلك الوقت ومن مزاولة تجارة غير مشروعة في العملات النقدية والبضائع ولعل سحب الجيش إلى اليمن منذ البداية وإحتجازه بها وضعف تنظيماته وأدائه كان الخطوة الأولى لكارثة حرب ١٩٦٧.

كما أصبح مجلس الشعب ختماً في يد الحاكم لا وظيفة له الا أضفاء الشرعية على كل الإجراءات المرتجلة والتشريعات المعيبة التي لا تستند على المبادىء القويمة للفقه أو التراث والتقاليد أو المبادىء الدستورية المتعارف عليها ، وإنما أصبحت وظيفته هي سد الذرائع تحقيقاً لرغبات الحاكم في التقنين .

ولعل القرارات الإشتراكية العنيفة التي كان يصدرها **عبدالناصر** في ذلك الوقت قد باعدت مابين الشعب وبينه بعد أن أصبح الرعب والنفاق ديدن الحكم . كما إنقسم الشعب على نفسة فهنالك طبقات تحت الرعاية وطبقات موسومة بأنها من اعداء الشعب وهي طبقات المثقفين والتقنيين

والإداريين ومن سبق أن مستهم من قبل القرارات الأشتراكية أو قانون الإصلاح الزراعي ومن شاء سوء حظهم أن يشى بهم جهاز المخابرات المنحرف الذي أصبحت سيرته بالغة الإنحطاط والعفونه.

كما تحولت شخصية الزعيم المريضة إلى شخصية بالغة الإنفعال والخطورة بعد انفصال سوريا وتفاقم أمراضة العضوية أو النفسية مما عجل بتحول كثير من الدول العربية عنه بعد أن تبين لها أن انتصاره المزعوم في ١٩٥٦ والذي اهدته له الولايات المتحدة اهداءاً لم يكن بغير ثمن ، وإن لم تكن مثل هذه الإتفاقية الخاصة قد خرجت من قبل إلى دائرة العلن ، والتي كانت تقضي بفتح مضايق تيران أمام الملاحه الإسرائيلية.

وقد إنتهزت كثير من الدوائر العربية المعادية هذه الفرص وكأنها ضفادع لاتني عن النقيق والتنديد بصفقة السلاح التي عقدها الرئيس في الخفاء.

ولعل الرئيس لم يكن يدرك في ذلك الوقت أن تعهده القديم ١٩٥٦ بحرية الملاحة في خليج العقبة ، كان يقابله من جهة آخرى تعهدات الرئيس الامريكي **ايزنهاور** الموثقة والملزمة قبل إسرائيل بضمان بفتح مضايق تيران امام سفنها وحرية الملاحة.

ولاشك أيضاً أن شخصية **عبدالناصر** قد أصبحت وكأنها كتاب مفتوح أمام خصومه من ساسة الولايات المتحدة أو غيرهم بما في ذلك إسرائيل بطبيعة الحال فهم يدركون عفوية قراراته ، وإنفراده بالحكم وسهولة

إستثارته واندفاعه نحو ردود افعال يمكن التكهن بها وتوجيهها إلى حيث يريدون . فالنقيق الذي احاط **بعبد الناصر** مندداً بصفقته في مضايق تيران لم يكن مبعثه كراهية بعض الدوائر العربية وحسب بل أنها كانت على ما يبدو من مسار الاحداث فيما بعد انها كانت حملات مدفوعة من قبل أعداء خطيرين بالغرب تمهيداً للكارثة الكبري وسرعان ماتحركت القيادة المصرية إلى مصيرها المرسوم فقد عقد **عبدالناصر** جلسة لهيئة اللجنة التنفيذية العليا في آواخر مايو ١٩٦٧ لاستطلاع الرأي في إغلاق المضايق أمام الملاحة الإسرائيلية، وبطبيعة الحال فقد وافقت اللجنة بالأجماع إلا فرداً واحداً هو **صدقي سليمان** رئيس الوزراء في ذلك الوقت وفقا لما جاء بكتاب **السادات "البحث عن الذات "** ولم تكن هذه الموافقة إلا تحصيلا لحاصل حيث أصبحْ رجال **عبدالناصر** لا يتدارسون الامر بقدر ما يجتهدون في معرفة رأي الزعيم ومزاجه الخاص ثم يندفعون بالموافقة على الخط الذي تتبناه الزعامة.

وقد احاطت بالرئيس عصابة بالغة السوء كثير من بينهم ذوو توجهات مشبوهة مثل **على صبري وشعرواي جمعه وسامي شرف** ولقد رسخ في نفوس الشعب أن هذه المجموعة وخصوصاً **سامي شرف** قد ضربت حصارا جوال الرئيس بحيث أصبح لا يرى الا من خلال عيونهم بل أنهم كانوا يتحايلون في توجية الاستفسارات المطلوبة من الدوائر المختلفة بحيث لا تصل إلى أيدي الرئيس الا التقارير التي تساند رأيهم الخاص . كما اشيع أيضا أن **سامي شرف** كان عميلا للمخابرات الروسية ، وأنه كان

يلخص التقارير الواردة بما يجعلها توحي بالنتائج التي كانت المخابرات الروسية تحرص علي إبرازها[1].

وهكذا حينما أبدى رئيس الوزراء **صدقي سليمان** اعتراضة على إغلاق المضايق وكان قد سبق له زيارة مرتفعات الجولان على الحدود السورية مع إسرائيل فإن اعتراضاتة قد ذهبت أدراج الرياح بل أن رئيس الوزراء ذهب إلى حد التوسل إلى **جمال عبدالناصر** كي يتراجع عن قراره بعد أن أكد له أن لا وجود اطلاقا لأية قوات إسرائيلية على الحدود وإن مثل هذه المزاعم التي يروجون لها غير صحيحة . كما يذكر **أنتوني ناتنج** في كتابه "**ناصر**" فإن الرئيس لم يستمع لنصيحة - رئيس وزرائه اللحوح كما جاء بالكتاب بل أنه لم يكن ليتقبل من ناحية المبدأ أن يتدخل وزراءه في مناقشات لا تتصل إتصالاً إيضاً لا وثيقا بأعمالهم[2] .

أما بالنسبة للعلاقات الخارجية ، فقد كان **عبدالناصر** منعزولا عن العالم الخارجي بعد أن حطم جسورة مع الغرب وكذلك امريكا كما أن الجروح التي خلفتها حرب ١٩٥٦ لم تكن لتلتأم ابدا في فرنسا وإنجلترا وكذلك فإن العلاقات بين **جمال عبدالناصر** والمانيا كانت قد بلغت أدني حدودها. وبعد مصرع الرئيس الأمريكي **كيندي** فإن الرئيس **جونسون** لم يكن كسلفه حريصاً في الابقاء على شعرة معاوية كما يقولون . وخصوصاً بعد أن شن **عبدالناصر** حملة هجوم على الولايات المتحدة بعد إنتهاء إتفاقية شحن القمح في ١٩٦٥ والتلكؤ في تجديدها كما اتهمها بأنها تمارس معه لعبه القط والفأر وأنها تسعي إلى تجويع مصر وكانت مصر قد

١- كتاب جون بارون ومجلة المصور وآخر ساعة . ٢- ناصر لأنتونى ناتنج ، ص ٢١٤.

تلقت في السنوات الثلاث السابقة ما تقدر قيمته بمئات الملايين من الدولارات كسلع غذائية رغم ماكانت تعلمه واشنطن من انحياز عن الناصر للسياسة الروسية كما كانت دول الغرب تدرك انه قد أصبح في يد الإتحاد السوفيتي سواء بمشيئتة أو رغما عنه - وهكذا فان واشنطن قد أيقنت أن وجود عبدالناصر في المنطقة قد أصبح يتعارض تماما وسياستها . ومن جهة أخرى فقد كان الرئيس المصري يسئ الظن بالرئيس **جونسون** وقد يئس من تعاونه معه وبدلا من أن يحني **عبدالناصر** رأسه للمعاصقة فقد عجل بوقوعها وبذلك فإن الظروف المحيطة بمصر ، وكذلك الظروف العالمية قد أصبحت مواتية تماماً للإيقاع بحكم **جمال عبدالناصر** في الفخ الذي نصبته له إسرائيل والذي كان يحظى بمباركة الولايات المتحدة وتأييدها .

ولعلنا نلمس أيضا أن الإتحاد السوفيتي لم يكن بعيداً عن مؤامرة هزيمة ١٩٦٧ كل البعد ، كما سيأتي ذكره فيما بعد فالشرك الأول الذي وقع فيه **جمال عبدالناصر** هو توقيع إتفاقية دفاع مشترك بينه وبين سوريا في ٤ نوفمبر ١٩٦٦ رغم أن توجهات القادة السوريين في ذلك الوقت لم تكن معروفة أو موثوق بها بالنسبة لمصر .

وقد تمت هذه الإتفاقية نتيجة للضغوط التي مارستها موسكو على الدولتين وتمضي الأمور إلى غاياتها حينما عمدت روسيا وسوريا عل افهام مصر أن هنالك غزو وشيك على سوريا ويستمع **جمال عبدالناصر** لهذه الإشاعات رغم أن **صدقي سليمان** كان قد سافر بنفسة إلى الجولان بصحبة بعض الضباط السوريين ولمس بنفسه هدوء الوضع على الحدود كما أنتجت

حملات الدعاية آثارها في احراج **عبدالناصر** واتهامه بأنه يختبىء وراء قوات الطوريء الدولية وأنه قد تورط في صفقه المضايق عقب ١٩٥٦ فيسرع الزعيم المصري بطلب سحب قوات الطواريء الدولية وإن كان بشكل جزئي يقتصر على مراكز المراقبة القائمة على الحدود فقط ، مع موافقته على ابقاء الوضع على ماهو عليه في المناطق الساخنة الاخرى مثل قطاع غزة أو شرم الشيخ .

إلا أن **يوثانت** سكرتير عام الامم المتحدة في ذلك الوقت يصر على أن يكون الانسحاب كاملا وليس جزئيا إذا ماصممت مصر على رأيها ويضطر **جمال عبدالناصر** إلي طلب سحب القوات من غزة وشرم الشيخ وسيناء بالكامل وهو شرك جديد انزلق اليه انزلاقا وهكذا إندفعت القوات المصرية لاحتلال المواقع التي اخلتها قوات الطواريء الدولية بما في ذلك شرم الشيخ واعلنت القاهرة أن خليج العقبة أصبح مغلقا في وجه السفن الإسرائيلية بين تهليل الدول العربية وابتهاجها.

ولم يكن هذا الفخ المنصوب من الأمور التي تخفي على رجال السياسة وعواصم الدول الحية فنجد أن **الملك حسين** يتملكة الجزع رغم أن إذاعته كانت ضالعة في حملة التنديد والسخرية بالرئيس المصري ، فهو يبعث برسالة عاجلة إلى الفريق **عبدالمنعم رياض** رئيس أركان القيادة الموحدة في ذلك الوقت أن يحضر للقائه وقد كان صديقاً شخصيا له وكما جاء في كتاب الفريق أول **كمال حسن علي** "مشاويرالعمر" أن **عبدالنعم رياض** ذهب للقاء الملك في أول مايو ١٩٦٧ ويحملة الملك برسالة إلى

عبدالناصر تتضمن تحذيراً من فخ يدبر للقوات المصرية من أن فئة معينة متآمرة في سوريا سوف تشعل النار علي الحدود مع إسرائيل فيجري ضرب القوات المصرية وأن الملك يريد إبلاغ هذه الرسالة إلي **جمال عبدالناصر** شخصياً إلا أن **جمال** لايأبة لهذا التحذير بل أنه في لقاء له مع **البغدادي** كما جاء بمذكراته يتفاخر بإن **الملك حسين** يتوسل أن يسمح له بمقابلته والإنضمام إليه وقد عبر عن ذلك بالفاظ سوقية.

ثم نجد في كتاب **هيكل** سنوات الانفجار نص المذكرة التي حررها الفريق **عبد المنعم رياض** والتي تحمل رسالة الملك والتي سلمها للفريق أول **على على عامر** طبقا للتقاليد العسكرية في تسلسل مراتب القيادة والذي يسرع بدوره إلى تسليمها إل المشير **عبدالحكيم عامر** إلا أن المشير لايأبة لهذا التحذير بل أنه يهمل تماماً تسليم الرسالة إلى **جمال عبدالناصر** أو أن يخبره بشأنها حتى تسنح الصدفه في مساء ١٣ مايو عند مقابلة الرئيس **لعبدالمنعم رياض** فيخبرة برسالة الملك وطلبة العاجل في تحديد موعد للقائة.

وللقارئي أن يتبين مدي إستخفاف القائمين بالأمر بالأحداث الخطيرة التي كانت تجرى في هذه الفترة العصيبة ، رغم ماتنطوي عليه الرسالة من انباء ، وقد عبر عنها الملك تعبيرا دقيقاً حيث كان يختار كل كلمة يقولها بل كل حرف طبق لأقوال الفريق **رياض** (١) وكانت الرسالة تعني وفقاً لتحليل الفريق أن هنالك مؤامرة لأستدراج مصر أو توريطها بحيث يمكن ضربها . وأن سوريا هي طعم الاستدراج أو التوريط وأن موعد التنفيذ

---

(١) سنوات الأنفجار - محمد حسين هيكل ص ٤٣٩

قريب . وأن **الملك حسين** برغم كل الإعتبارات قرر أن يحذر مصر لسبب رئيسى هو خشتيه أن تصل المخاطر إلى مملكتة لصعوبة حصر النار إذا ما إشتعلت في المنطقة – هذا بالطبع إلى جانب أسباب أخرى موضوعية . كما .كان الفريق يشعر أن **الملك حسين** لم يفصح بكل مالدية من اسرار ولعلنا نتبين مدى إستخفاف القيادة المصرية بالمعلومات التي ترد إليها رغم ماتمثلة من خطورة بالغة ، ولم تكن رسالة الملك هي الإستنثناء والتي لم تعرها القيادة السياسية أو العسكرية ماتستحقة من الإلتفات ، بل أن الأمور كانت تجرى على عواهنها مما يعكس مدى استخفاف **جمال عبدالناصر** بإدارة شئون السياسة و الحرب عام ١٩٦٧ وفي كتاب **أمين الهويدي** الفرص الضائعه وقد كان حاضرا فى ليله مجلس الوزراء التى خصصت للإستماع إلي بيان وزير الحربية **شمس بدران** عن الموقف والتي عقدت من قبيل الحفاظ على الشكل فقط طبقاً لاقوال **الهويدي** حيث يقول "أن **شمس بدران** دخل تسبقه بعض الخرائط وعلى وجهه ابتسامة لاتتفق مع خطورة الأوضاع ، والقي بيانا أكد فيه الثقة المتزايدة في قدرة مصر القتالية واستعداداتها الكاملة وانه إذا تدخل الأسطول الأمريكى فهم كفيلون به" .

ولم يكن تحذير **الملك حسين** هو الوحيد الذي تلاقاه **عبدالناصر** في هذا الشأن ، فقد كانت الأمور من الوضوح بحيث يستطيع كل محلل سياسي أو حتى قارئي عادي للصحف والمجلات أنه يستنبطها وأن يدرك المأساة والهاوية التي كانت مصر على حافتها.

ولقد تلقي **عبدالناصر** بعض التقارير من مختلف الجهات ولعل أخطرها ماتلقاه من سفارة مصر في بروكسل بعد أن أطلع وزير خارجية بلچيكا سباك السفير المصري **أمين شاكر** على أن الولايات المتحدة قد تحولت بإستراتيجياتها في الشرق الأوسط إلى الإعتماد على محورين هما إسرائيل وتركيا بعد أن اصحبت على يقين كامل أن التعايش السلمي مع **جمال عبدالناصر** قد أصبح مستحيلا . وكانت هذه المعلومات هى حصي ماجمعه سباك وزير خارجية بلچيكا من اجتماع سري لممثلي دول حلف شمال الأطلنطي ولهذه الأسباب فإن واشنطن في سبيلها إلى رسم سياسة جديدة للدفاع عن المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط .

وكان مما يعزز مثل هذا التقرير هو التعزيزات الحربية الضخمة التي تنقلها الطائرات الحربية الأمريكية لإسرائيل قبل الحرب وفقاً لمعلومات المخابرات المصرية - ولعل مثل هذه التعزيزات قد جاءت في اطار استراتيجية امريكا الجديدة في منطقة الشرق الأوسط ، والتي عرفت فيما بعد بسياسة إطلاق يد إسرائيل في المنطقة Unleash Israel وهي الإستراتيجية التي تمت في اطارها حرب ١٩٦٧ بعد الدروس المستفادة من اخطاء الغزو الثلاثي الفاشل على مصر في حرب ١٩٥٦ من الناحية السياسية ، والتي أهملت فيها انجلترا وفرنسا وإسرائيل اعداد المسرح الدولي لقبول مثل هذا الغزو ودواعيه وتعرية سياسة **جمال عبدالناصر** واظهاره في دور المتسبب في ازعاج السلام العالمي [١] وكانت الإشارة الرمزية لعمليات ١٩٦٧ هي الديك الرومي وهي تسمية يقصد بها **جمال عبدالناصر** .

---

(١) انتونى ناتنج" ناصر صـ ٤٣٩.

ولعل هذه المعلومات كانت معروفة **للملك حسين** بطريقة أو بأخرى وهو مايوضح جزع **الملك حسين** ورسالته **لجمال عبد الناصر** ، **فالملك حسين** وهو المخضرم فى السياسة كان يشعر تماماً أن جائزة إسرائيل الكبرى هى الضفة الغربية سواء أكانت هذه الجائزه قد دخلت فى إعتبارات السياسة الأمريكية أو لم تدخل وكذلك حرية الملاحة أمام السفن الإسرائيلية والقضاء نهائيا على النفوذ الناصرى فى المنطقة بحيث تصبح منطقة الشرق الأوسط واقعه تحت المظلة الإسرائيلية ولأمد طويل وقد دخل فى روع **الملك** أن مصر سوف تستطيع استرجاع حدودها طال المدى أو قصر لما لها من إمكانات ضخمة وعمق تاريخي ومصالح مشتركة مع دول العالم ، أما الأردن فهى بلد محدود الإمكانات ، قد خلقته الدول الإستعمارية خلقا مصطنعا ، وقد لايضيرها أن تلقى به للذئاب إذا ماقتضت مصالحها ذلك .

ويدعى **انتونى ناتنج** فى كتابه " **ناصر**" أن **عبد الناصر** كان يعيش أثناء أزمة ١٩٦٧ فى جو ١٩٥٦ ، فهو لايتصور أنه مهدد بصورة خطيره ووشيكة بهجوم إسرائيلي.

كما يدعي أنه قد أوضح لصديقه **جمال عبد الناصر** إن الحرب ستقوم بعد ٣٦ ساعه وكان ذلك في زيارة له وبقصد تحذيره. كما حدثه إن إسرائيل قادرة تماما وفقا للمعلومات التي استقاها **ناتنج** من لندن علي أن تقوم وحدها بما سبق أن قامت به من أجلها قاذفات القنابل البريطانية من طراز **كانبيرا** في عام ١٩٥٦ . ولم يصدقه **جمال عبد الناصر** بل أنه راجعه فيما سبق أن إدلي به **ناتنج** من معلومات من قبل أن الأسابيع القليلة السابقة شهدت حركة مكثفه من طائرات النقل الإسرائيلية التي كانت تقلع

كل ساعه من مهبط الطائرات الخاص بمصنع **داسو** في فرنسا ، وهي محملة بأحدث القاذفات المقاتلة من طراز **ميج** لتجميعها في إسرائيل.

كما أن **جمال عبد الناصر** لم يكن علي اتصال كامل بزعماء موسكو وهم حلفاؤه الوحيدون ، والذين قد أصابهم القلق الشديد من تفاقم الأزمة ومن إحتمالات الحرب التي قد تؤدي إلي تورطهم ، بعد أن ساهموا بأنفسهم في تصعيد الأمور إلي أن خرجت من أيديهم فهم حريصون كل الحرص علي تهدئة الموقف والكف عن أي إجراء استفزازي آخر.

وعندما أوفد **جمال عبد الناصر** وزير حربيته **شمس بدران** إلي موسكو في ٢٥ مايو ١٩٦٧ فقد أوضح له القادة الروس موقفهم من عدم تحبيذهم لما تتخذه القاهرة من إجراءات إستفزازية إلا أن الوزير المصري قد نقل إلي **جمال عبد الناصر** صورة مغايرة تماما لموقف الساسة الروس إلي حدّ أنه أهمل تحذيرهم بضرورة ضبط النفس ، وأنهم لايستطيعون التورط في حرب عالمية جديدة بل أنه قد قلب الوضع تماما بإفهام رئيسة تأكيد الروس بأنهم سيقفون وراءه بكل صلابة.

وتمضي الأمور إلي نهايتها المحتومة في ظل سياسة مرتجلة ، وحكومة فرد أتي عليه المرض وإضطراب تفكيره ، وأحاطت به حاشية مغرضه أو جاهلة ، كما تكونت عصابات من مراكز القوي ، حتي انقسم الجيش علي نفسه وإتسعت الهوة مابين الزعيم وشعبه.

ولانود في هذا الكتاب إن نمضي في سرد وقائع حرب ٥ يونيو سنه ١٩٦٧ بأكثر مما عرضنا له حيث أن دراستها تخرج عن النطاق الذي

اخترناه كمنهج لدراستنا ، كما أن ماهو متاح للنشر في هذا الشأن له مراجعة الكثيرة من المتخصيصين والقادة الذين شاركوا أحداث هذه المأساة وإن كانت مساحة المعلومات التي حجبت تظل بالغة الضخامة والخطورة.

كما أن المحاكمات التي أجريت في أعقاب حرب الأيام السته تظل مبتسرة ، كما نجد أن **حسين الشافعي** في الكتاب المعنون باسمه لمؤلفه **صلاح الإمام** يردد [1] " أن ماحدث في ١٩٦٧ كان إتفاقا وديا بين القوي الكبري لتنهي به الوضع الذي كان يسبب لهم قلقا في الوضع الذي استقروا عليه ، وخلق فكرا جديداً ونظاما جديداً ، ثم يستطرد ليقول "إنه هنا يطالب بتحقيق لأثبات من تورطوا في الخيانة في حرب ١٩٦٧".

ولعل القارئ يدرك أن شهادة **الشافعي** في هذا المجال لها ثقلها لأنه كان علي رأس محكمة خاصة للتحقيق الذي أجري بشأن المؤامرة علي السلطة من جانب مكتب المشير. وهو يؤكد أن الأحداث الذي عاشها من خلال المحاكمات قد أكدت له أن ماحدث لم يكن ليحدث إلا في ظل الخيانة.

ورغم أن **حسين الشافعي** لم يكن مؤهلاً إطلاقا لرئاسه تحقيق خطير في موضوع يتصل بسلامة الوطن ، وتورط المشير ورجاله وكذلك المخابرات العامة في المؤامرة الكبري علي السلطة إلا أن النتائج المبتسره التي توصلت إليها لجان التحقيق تظل بالغه الأهمية رغم ذلك في الجزئيات التي سمح له بتناولها . ورغم ذلك فقد ظلت هذه التحقيقات رهن السرية المطلقة إلا ماكان يتناثر منها ، أو ماسمح بتسريبه وهو يؤكد فساد العهد وتورطه في الخيانة والتآمر علي سلامة الوطن ، وقد وزعت بعض اجزاء

١- كتاب حسين الشافعى لمؤلفه صلاح الأمام ، ص ١١٧.

التحقيق بصورة سرية وهي تمس بعض رجال المخابرات العامة . والبالغ الغرابة في الموضوع أن مثل هؤلاء الأشخاص مازالوا علي قمة الحكم حتي الآن رغم أن المحاكمة قد أدانتهم في ذلك الوقت إدانة كاملة ، ورغم اعترافهم التفصيلي بارتكاب أفعال فاضحة تمس الشرف وكرامه الوطن والمواطنين والإتجار في الرقيق الأبيض في سبيل الشهوات الشخصية التي لاتتصل بالمصالح الوطنية بادني صلة.

وفاة عبد الناصر

عند حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ فإن **جمال عبد الناصر** كان قد انتهي، أو أنه كان سيان أن يموت أو يحي، بل أن موته كان سترا له بعد أن أوقع بلده في شر أعماله ، وبعد أن قامر بشرفها .ومجدها وكبريائها فخسرت مصر كل شئ ، وإن ظلت أبواق دعايته بعدها تدوي دون خجل أو حياء في إن بقاء الرئيس **جمال عبد الناصر** في منصبه هو اعلاء لإرادة الأمة وتحد لإسرائيل والإمبريالية الأمريكية.

- وهكذا فإن عصابته قد صورت رجوع الرئيس عن قرار استقالته بعد الهزيمة هو اعلان عن الصمود والتصميم علي إزالة العدوان ، وسارت في مصر المهرجانات التي تعبر عن فرحة المخدوعين من أبناء مصر ، كما قام عضو من أعضاء مجلس الشعب ليرقص اثناء الجلسة التي أعلن فيها عن عدول **جمال عبد الناصر** عن إستقالته واستمراره في الحكم .

إلا أن الحقيقة التي لايمكن طمسها هي أن **جمال عبد الناصر** قد مات بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ولعل قصيدة **أبو سلمى** كانت تعبر عن وجدان الشعب المصرى حيث يقول:

ايهـا الحـاملون الويــة العـار تخـلوا عـن حلبـة الميـدان
سلموا الشعـب امره واستريحـوا ياحمـاة الأصنام والاوثـان
كل جيش يكون حربا علي الشعب ذليـل إذا التقـي الجمعـان
عاصـف بـين أهلـه ونسيـم للمغيريـن شـان كـل جبـان
يـوم هبـت علـي حدودكـم النار جثوتـم امـام كـل دخـان
كـل يـوم تجـددون الشعـارات فـرارا مـن ازمـة الوجـدان
بعد حرب التحرير قـد اصبح الـ يوم شعـارا إزالـة العـدوان
ثـم حريـة تقولـون للنـاس ومافيكـم سـوي سجـان
إن جيـش الشعـب المشـرد اقوي من جيوش الحرير والطيلسان

وبعد الهزيمة فقد إرتد **لعبد الناصر** بصره بعد أن أعمته العنجهيه حيث كان لايبصر إلا بعيون حاشيته من عبدة الفرد وأذيال الدكتاتورية . كما أنه قد علم بعد أن أصبح العلم لايجدي ، من هم أصدقاء مصر الحقيقيون ومن هم أعداؤها . فقد سارعت الدول التي كانت تسبح بحمده من دون الله لتهزأ به وتسخر من هزيمته وتندد بمصر والمصريين في بلاد الشام والعراق والجزائر . بينما وقف إلي جواره **حسين ابن زين** كما كان يحلو له أن يغمزه ، وكذلك **الملك فيصل وأمير الكويت ، وملك ليبيا** . حتي أن **جمال عبد الناصر** كان يشعر بالعطف إزاء **الملك حسين** وقد زاده إعجابا به أنه لم يندد بموقف مصر أثناء الحرب من التمويه وإذاعة الأخبار الكاذبة بعد أن أبلغته هيئة أركان الحرب المصرية أنه قد تم تدمير ثلاثة أرباع سلاح الطيران الإسرائيلي فوق القاهرة ، حتي أن الأردنيون كانوا يعتقدون أن الطائرات الإسرائيلية التي شاهدوها علي شبكات الرادار وهي تعود من مصر أن هي إلا طائرات مصر تقوم بالإغارة علي إسرائيل[١].

١- انتونى ناتنج " ناصر " ، ص ٤٩٩ .

كما ابتلع **جمال عبد الناصر** كبرياءه القديم وأصبح يستجدي الروس . أن يعوضوا مصر عن خسارتها في السلاح، وأن يقوموا بتدريب الجيش المصري علي إستعماله ، وكذلك أن يقدموا الفنيين والمستشارين ، وقد قبل شروط الروس في إبقاء القوات المصرية تحت سيطرتهم الكاملة.

كما طلب **عبد الناصر** شبكة صواريخ أرض جو لأغراض الدفاع يديرها السوفيت في مصر. وفي واقع الأمر فأن **جمال عبد الناصر** لم يكن يملك إلا التسليم بالوضع القائم والإذعان لشروط روسيا بعد أن تخلت مصر عن إرادتها ، وبعد أن أصبحت روسيا هي المتحدث الرسمي باسم مصر في المحافل الدولية والأمم المتحده ، كما أصبح خبراؤها هم الذين يديرون شبكات الدفاع الجوي والصواريخ في القواعد المصرية بل أن أمريكا كانت قد قدمت ماكانت تدعيه من أدلة قاطعة من أن الروس ينطلقون بطائراتهم من المطارات المصرية للتصدي للغارات الإسرائيلية. وهكذا إنتهي **جمال عبد الناصر** إلي التسليم بحقائق الأوضاع السياسية بعد أن تحملت مصر بتبعات إدعاءاته القديمة وطموحه الأعمي لزعامة دولية لايؤهلها له وزنه أو حجم بلده الذي تعصف به مشاكل التخلف والفقر وإنهيار الإقتصاد الذي سببته الثورة منذ قيامها في ١٩٥٢ .

وفي مؤتمر الخرطوم الذي اقترحه **الملك حسين** أظهرت السعودية والكويت ومملكة ليبيا في عهد **الملك السنوسي كامل** إستعدادهم لمساعدة مصر والأردن علي الخروج من وهدتيهما ، كما تمكن **عبد الناصر** من الوصول إلي إتفاقية تمكنه من سحب القوات المصرية من اليمن.

وهكذا فقد أدرك **عبد الناصر** البون الشاسع بين أصدقاء السراء الذين كانوا يلتفون حوله إبان مجده القديم والذين سرعان من إنفضوا من حوله

بعد أن بدد أموال مصر في سبيل تصعيدهم وتمكينهم من الإستيلاء علي الحكم في بلادهم عنوة وإقتدارا، وبين أصدقاء مصر الحقيقيين الذين كان يصفهم بالرجعيين وقد وقفوا إلي جانبه بعد هزيمته المدوية في ١٩٦٧ رغم ماسبق أن عانوه من ورائه من مؤامرات وبذاءات وإثاره للفتن في بلادهم.

كما اكتشف **عبد الناصر** أيضا مدي عجز الروس وتخاذلهم ازاء حرب ١٩٦٧ الذين ساقوه إليها ثم لم يرفعوا بعد ذلك أصبعا واحدا لوقف الغزو الإسرائيلي، أو تقديم المعونة العاجله أثناء هذا الزحف ، ونجد في مذكرات البغدادي[١] أنه كان قد سأل **عبد الناصر** عن موقف الروس ووعدهم بالمساعدة ، فأجابه بمانصه :" أنهم مذعورون من الأمريكان " .

ولعله قد تبين بجلاء أن الروس يستطيعون أثارة الفتن والأزمات الدولية ولم يكن ذلك بالأمر العسير حينما يجدون الأدوات الطيعة ، ولكنهم لايستطيعون إخراجه من البئر العميق الذي أوقعوه فيه ، كما تبين أن الحل أصبح في يد الولايات المتحدة وحدها.

ولذلك فأنه أعلن عن قبوله لمبادرة **روجرز** وزير خارجية امريكا في ذلك الوقت وهو في زيارته لموسكو وعلي مائدة الإجتماع في **الكرملين** بعد أن بلغ به اليأس مداه من قدرتهم علي مساندته ، وقد إنفعل **برجينف** لهذا الإعلان إلا أن **جمال عبد الناصر** قد صرح له أنه "بعد مافعلتموه معي فإني أقبل حلا حتي مع الشيطان" [٢] وهكذا فإن وفاة **جمال عبد الناصر** بعد ذلك بشهور في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ كانت إعلانا رسميا عن الحدث الذي كان قد نفذ بالفعل قبل ذلك بثلاث سنوات عند هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧.

١- مذكرات البغدادى ، جزء ثان ، ص ٢٩٨ .
٢- البحث عن الذات- للسادات ، ص ١٧٠ .

وحينما تولي **السادات** الحكم فقد كانت أخطاء سلفه هي أبلغ الدروس التي حرص علي إستيعابها. فهو يدرك تماما أن لعبة الأمم وضرب القوي العظمي ببعضها هي من العبث بمكان ، ودائما ماتنتهي أن يسقط اللاعب فريسة للعبة ذاتها. ولعله أدرك كذلك أن الصلة بين القوتين الأعظم في ذلك الوقت وفي ظل رئاسة **نيكسون** كانت قد رسخت علي أسس معينة من الفهم حتي أن **السادات** في إحدي خطبه بعد أن يئس من مبادرة **روجرز** واحتمالات فشلها فقد قال إن العلاقة مابين الدولتين روسيا وأمريكا قد إنتقلت من الوفاق إلي العناق.

وفيما سبق فقد دخل في روع دول الحياد أن **ناصر** قد انتصر في حرب ١٩٥٦ بتمكنه من ضرب الدولتين بعضهما ببعض ومن سياسة الترويع من حافه الحرب النووية ، وهو فهم بعيد عن الواقع تماما . وقد كان هذا الإدعاء يرجع دائما إلي أن هذه الدول دأبت علي مهاجمة أمريكا وإحراجها إعتمادا علي ردود الأفعال الهينة اللينة للولايات المتحده إزاء مثل هذه الحملات ، بينما كانت دول عدم الأنحياز تتحوط تماما من ممارسة نفس الشئ مع روسيا لما كانت تتسم به من العنف وسرعة الردع ، خصوصا وأن أغلب هذه الدول كانت تدور في فلكها كما كانت تميل في سياستها الإقتصادية إلي اليسار وإلي نظم التخطيط الموجه.

– وبعد ولاية **السادات** في مصر ، كانت الولايات المتحدة في ظل **نيكسون** قد نهجت نهجا جديدا في سياستها الدولية وكذلك في منطقة الشرق الأوسط بطبيعة الحال. وهذه السياسة الجديدة وإن كانت ترتكز علي الوفاق الدولي كأساس لها ، فأنها مع ذلك كانت أكثر واقعية من حيث

الوصول إلي فهم كامل ومتبادل مع الروس ، وإلي تعريف لسياسة الوفاق بحيث يتم الإتفاق فيما بينهما أن لايحاول أحدهما أن يفوز علي حساب الآخر، وأن يكون محور الإلتزام بهذه السياسة من الجانبين معا بحيث لايمكن الوصول إليها إلا بالتضحيات المتبادلة ، وإن النشاط الغير مقبول من أحد الطرفين في إحدي المناطق لابد وإن يقابله رد فعل مماثل من الطرف الآخر في المناطق الأخرى . مما أدرك معه الإتحاد السوفيتي أنه لايمكنه الإحتفاظ بنفوذه العالمي في حالة تعريض مصالح الولايات المتحدة للخطر. وتطبيقا لهذه السياسة فقد كان البيت الأبيض علي إتصال يومي بموسكو حتي يتجنب أي من الطرفين الإقدام علي خطوات غير محسوبة والتي قد تنشأ بناء ا علي معلومات غير دقيقة[١].

ولعله في اطار هذه السياسة فقد قبلت موسكو أن تتراخى في تأييدها لحركات التطرف في الشرق الأوسط ، أو تعريض مصالح الدول الموالية لسياسة الغرب للخطر ، ولعلها قد وصلت كذلك إلي صفقات معينة مع الولايات المتحدة خاصة بدول أوربا الشرقية وخصوصا أثناء المفاوضات التي تتعلق ببرلين والتي كانت موسكو تعلق عليها إهتماما بالغا.

ومن المؤكد كذلك إن سياسة الإتحاد السوفيتي قد أصابها التغيير في منطقة الشرق الأوسط ، بينما كانت الولايات المتحدة تصعد مساندتها لإسرائيل بالمستوي الذي يصبح تسليحها أقوي من تسليح الدول العربية مجتمعه.

١- هنري كيسنجر " الدبلوماسية" .

كما عمدت الولايات المتحدة إن تنتهج سياسة جديدة في المنطقة بحيث لاتسمح للإتحاد السوفيتي أن يحرز أية مكاسب سياسية جديدة من خلال أخطائها كما سبق ان حدث في أثناء الغزو الثلاثي لمصر عام ١٩٥٦. كما رسخ في يقين القادة الروس أنه في ظل سياسة الوفاق الدولي ، فأنها لابد وإن تلتزم بالإمتناع عن مساندة الدول المتطرفة في الشرق الأوسط التي تهدد أمن المنطقة وإلا فأنها ستواجه بتقليص نفوذها علي الصعيد العالمي.

وقد أدرك **السادات** بفطنته السياسية أن أوراق اللعب قد انتقلت ليد أمريكا وحدها ، وأن روسيا حينما حثت سلفه علي إبرام إتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا قبيل حرب ١٩٦٧ فأنها لم تكن مستعدة لمساندته عند تأزم الموقف كما أنها لاتملك إيجاد الحل السياسي لمشكلة مصر في إزالة آثار العدوان ، وفي ظل هذا اليقين ، وقبل أن يصدر **السادات** قراره بإخراج الخبراء الروس من مصر قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وإبان ولاية **نيكسون** الأولي فقد صرح **كيسنجر** للصحفيين بكل ثقة " أن الإدارة الجديدة لنيكسون سوف تعمل علي تقليص النفوذ السوفيتي من منطقة الشرق الأوسط "(١).

ومن العسير أن نتكهن بمدي العلاقة الخاصة التي كانت قائمة بين الولايات المتحدة **والسادات** وقد سبق لنا أن أوردنا في الصفحات السابقة من هذا الكتاب ماتناثر من أخبار نشرتها جريدة واشنطن بوست في فبراير سنه ١٩٧٧ ، وماأورده **هيكل** في كتاب **"خريف الغضب"** في هذا الموضوع وكذلك مايردده **حسين الشافعي** في كتاب **صلاح الإمام** حول علاقة **السادات**

١- هنرى كيسنجر - الدبلوماسية .

بالمخابرات المركزية الأمريكية، إلا أن الوثائق التي يمكن الرجوع إليها في هذا الشأن محدودة للغاية، كما انه لايمكن الإستناد إليها بصفه يقينية ، فقانون حرية المعلومات طبقا للدستور الأمريكي لايعني نشر المعلومات التي تعرض مصالح الأمن القومي للخطر.

كما أن كثيرا من المستندات المسموح بنشرها في ظل القانون السابق جاءت مبتسرة بعد حذف بعض أجزائها في محاولة للتعتيم بالنسبة لبعض الأحداث.

كما أن مثل هذه الوثائق الصادرة عن الحكومات المختلفة في العالم بما في ذلك الولايات المتحدة لابد وإنها تعكس وجهات نظر هذه الحكومات بحيث لاتسئ إلي علاقاتها بالدول الأخري فأنه ليس من المقبول عقلا أو منطقا أن تقوم الحكومات علي اختلافها بتقديم ما يثبت بعض الأحداث أو الوقائع التي تسئ لدولها ، أو أن تعرض سلامتها وأمنها للخطر بنشر أسماء عملائها أو مايشير إلي العمليات الخاصة التي قامت بها أجهزتها من تصفية بدنية لزعماء الدول الأخري ، وهو أمر واقع في السياسة الدولية بما في ذلك روسيا أو الولايات المتحدة أو الدول الأخري كذلك . فالأمر الذي لاشك فيه أن الوثائق كثيرا ماتتعرض لعمليات التعتيم أو الحذف أو الإحاطة بالسرية المطلقة.

إلا أننا في نهاية هذا الباب الذي خصصناه لعلاقة مصر الثورة بالسياسة العالمية فأننا نود أن نشير إلي مايأتي:-

أولا: إن مصر قد أصبحت تدور في الفلك الأمريكي بصورة سافرة قد تتعارض مع مصالحها القومية ، كما أنها تتعارض بالفعل مع سياستها العربية والخارجية بوجه عام.

ثانيا: أستقر الوضع حاليا علي الأعتراف بإسرائيل كقوة نووية في منطقة الشرق الأوسط لها من إمكانات التسليح مايحافظ علي تفوقها المطلق علي جيرانها من العرب مجتمعين وفقا للتعهد الأمريكي المعلن بهذا الخصوص.

ثالثا : تفاقم الأزمات المالية والإقتصادية والإجتماعية التي تحيط بمصر بحيث أصبحت تعتمد علي المعونات الخارجية كسياسة ثابته ومستمرة كما أصبحت تعتمد في غذائها علي المعونات من الخارج.

رابعا : تضارب السياسة المصرية من الإشتراكية الماركسية في الماضي إلي سياسة الحرية الإقتصادية حاليا في ظل نظام عسكري قائم ومستمر منذ قيام الثوره ١٩٥٢ وحتي الآن ، وقد لازمه تفاقم ظاهره الفساد الحكومي وتركيز الثروات الفاحشة ، مما أنتج حالة رهيبة من الفوضي الإقتصادية والدستورية، والتي لاتستطيع مصر حيالها أن تنتهج سياسة قومية ناجحة إزاء مايتهددها من إخطار.

ولاشك أن مثل هذه الحكومات القائمة تحظي بالتأكيد الخارجي حيث يتعذر تماما الإبقاء علي نظام التبعية السياسية إلا في ظل الأسلوب العسكري.

حلــف الأفاعــى

أو التشكيل الإرهابى لثورة ١٩٥٢

لم تكن ثورة يوليو عند قيامها مجموعة من الضباط راعهم ماكان يدور في مصر من سوء الحكم وفساد الملك والإنصياع للإستعمار البريطاني، أو أنها مجموعة من الضباط ذوي الثقافة الذين اقبلوا علي التضحية بأنفسهم لإنقاذ الوطن من وهدته والإنطلاق به نحو أهدافهم النبيلة ، أو إنها مجموعة من الواطنيين الشرفاء كان لها برنامج محدد سارعوا إلي تحقيقه بعد أن تخاذل المدنيون عن القيام بواجبهم نحوه .

أن كل هذه الإفتراضات التي نعرض لها لا تمثل إعتبارات انقلاب ١٩٥٢ الذي لم يكن في حقيقة أمره إلا تجمعا لجيوب الإرهاب في مصر ، وإتحاد التشكيلات العصابية التي كانت تمارس عملها تحت الأرض أو في وضح النهار في غفلة من الحكومة ، وفي ظل التراخى والتهاون الذي ساد الحكم بعد أن أفسده عبث الملك وتآمره علي الدستور وسرعة تغير الوزارات وإقالتها بما أحدث قدرا خطيرا من القلق والإضطراب ، وتبديد روح المسئولية ، وعدم الحرص علي النظام ، أو اليقظة بين رجال الحكم الذين لم تتح لهم الفرص لتدبير الأمر وعلاج الصدع والضرب علي أيدي هؤلاء المخربين ، الذين كانوا يتوسلون بالحرية لوأد الحرية أو الذي كانوا يتباكون علي الدستور للسطو علي الحكم وإقامة أردأ حكم ديكتاتوري عرفته مصر.

لقد كانت التشكيلات الإرهابية واسعة الإنتشار في مصر قبل ثوره ١٩٥٢ ولم يكن مبعثها سوء الحكم بقدر ما كانت ترجع إلي ضعف النظام والتآمر علي الدستور من جانب أصحاب الأمر الذين كان يتوجب عليهم حمايته حفاظا علي سلطانهم ، كما كان يرجع أيضا إلي تراخي قبضة الأمن وتنازع الأحزاب الرئيسية في البلد ، وهو الأمر الذي سبق أن عرضنا إليه في مقدمة الكتاب رغم أن الأحزاب الرئيسية في رأينا كالوفد والأحرار الدستوريين والسعديين كانت في حقيقتها عبارة عن أحزاب من أحزاب لا تختلف مبادؤها وأهدافها ، وان إختلفت أساليبها بعض الشيء ، ولقد غفلت هذه الأحزاب عن تجديد شبابها والتطلع إلي روح العصر الجديد إبان الحرب العالميه الثانيه أو في اعقابها ، وهي الحقبة التي كانت تحفل ببذور المتغيرات العالمية ، وتأذن ببداية زوال عهد الإستعمار بصورته القديمه لتطل علي العالم أشباح قوي جديدة لم تكن قد تمرست بعد بأصول السياسة الكونية ، كما كانت الدول الإستعمارية التي انهكتها الحرب تسلم الخيوط التي كانت تتلاعب بها في مصائر العالم إلي ايدي مرتعشة لم تكن صقلتها الخبرة أو المعرفة بالتاريخ أو التمرس بالسياسه الدولية فأفلتت خيوط وتشابكت خيوط .

وفي مصر فإن هذه التشكيلات العصابية التي نشأت في أثناء الحرب وبعدها كانت ترتكز علي عدة محاور منها جناح بالغ التطرف والخطورة للحزب الوطني القديم يكاد يعمل مستقلا عن قياداته لا تربطه بسياسه الحزب أو ساستها إلا يافطة الحزب ، وكان **عبد العزيز علي** هو

أخطر الشخصيات التي ترأست هذا الجناح وحولته إلي جيب إرهاب مخضب بالدماء . كما كان للحزب جناح آخر من المتطرفين تحت رئاسة **فتحي رضوان** الذي إنتقل بولائه من حزب مصر الفتاة إلي الحزب الوطني وان كان قد اتخذ لنفسه مقرا مستقلا عن الحزب في شارع شريف ليباشر عملياته بعيدا عن أعينهم ، ولقد كانت له صلات **بجمال عبد الناصر**(١) .

كما كان علي رأس قائمة الإرهاب جماعة الإخوان المسلمين بطبيعة الحال وقد أفلحت في استقطاب كثير من ضباط الجيش منهم **جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وخالد محي الدين وعبد المنعم عبد الرؤوف** من الذين أسهموا فيما بعد في حركة الضباط الأحرار بعد أن أقسموا يمين الولاء علي المصحف والمسدس فى حى صليبه كما اتصلوا برئيس العمليات الخاصة **عبد الرحمن السندي** لتدريب شباب الإخوان من أعضاء التنظيم السري علي استعمال الأسلحه(٢) . وكذلك كانت تشكيلات الإخوان تضم **رشاد مهنا ، وحسين الشافعى وأنور السادات** وغيرهم من الرتب الكبيرة.

- وجدير بالذكر أن حركة الإخوان في هذه الفترة التي نشير إليها كانت علي مايبدو ضالعة في الإتصال بالمخابرات الأمريكية والبريطانية . ويروي **خالد محي الدين** في كتابه **"الآن أتكلم"**(٣) انه عندما إجتمع الضباط في منزل **حسن إبراهيم** قبيل الثورة " فقد القي **عبد الناصر** في هذا الإجتماع بقنبلة " حيث أخبرهم أن **حسن العشماوي** وهو من قادة

١- صورة فوتوغرافية لجمال عبد الناصر ضمن تشكيل القمصان الخضر لحزب مصر الفتاة ص ٤١١.
٢- أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين لمؤلفة حسين حمودة - من الضباط الأحرر.
٣- خالد محى الدين - والآن اتكلم .

الإخوان عاود الإتصال به وأبلغه أن الإنجليز يريدون التخلص من الملك بعد أن أصبح مكروها من الشعب وكرر أن **عشماوي** أكد له إن الإنجليز طلبوا من الإخوان إغتيال الملك لكن الإخوان رفضوا خوفا من عواقب ذلك ضدهم.

واذا ماصدقت رواية **جمال عبد الناصر** ، وقد كان **حسن العشماوي** علي صلة بكثيرين من رجال الثورة الحاضرين في الإجتماع، فإن ذلك لايعني إلا أن ثمة صلة قوية كانت تربط مابين الإخوان والمخابرات البريطانية ، حيث أن تكليفهم بإغتيال الملك لايعني إلا أنهم يأمنون علي البوح بأسرارهم لهذه الجماعة في أمور بالغة الخطورة مثل اغتيال **الملك فاروق**.

كما كانت الجماعة علي مايبدو علي صله ما بالمخابرات الأمريكية وفقا لماجاء بكتاب **مايلز كوبلاند** – لعبة الأمم ولشواهد أخري كثيرة في الماضي والحاضر ، وليس موضوع الشيخ عمر عبد الرحمن ببعيد.

ومع أختلال النظام في الجيش وتحول كثير من افراده إلي العمل السياسي بصفه سرية بعد إن فتح **الملك فاروق** نفسه هذا المجال أمامهم بتجنيد بعضهم في منظمته المعروفة **بالحرس الحديدي**، فأن بعض الضباط أيضا كانوا يدينون بالولاء لتشكيلات **أحمد حسين** رئيس حزب مصر الفتاة الذي كان متشيعا للنازية والفاشية، كما كان لحزبه تشكيل عسكري خاص من القمصان الخضر الذي انزلق إلي صفوفهم **عبد الناصر** في أحدي مراحل حياته المتقلبه. كما كان كثير منهم يلتفون حول **عزيز باشا** المصري الذي

كانت له نظريات بالغة التطرف حيث كان لايري من وسيلة لأنجاح الثورة إلا بالإغتيالات الفردية ، وقد تأثر العديد من الضباط بافكاره الدموية ، كما لايخفي **خالد محي الدين** في كتابه أنه بالرغم من هذه النزعات فقد تأثر به شخصيا كما تأثر به **جمال عبد الناصر** وكثيرون غيرهم [١].

- كما تأثر الضباط أيضا بالحركة الشيوعية في مصر ، وعلي وجه الخصوص **يوسف صديق وخالد محي الدين، وجمال عبد الناصر** نفسه ولقد قامت ثورة يوليو ويده في أيديهم ولعل مذكرات **البغدادي** تلقى الكثير من الضوء علي مدي تأثره بالنظرية الماركسيه التي كان **جمال عبد الناصر** لايخفيها عن زملائه ، كما أن **خالد محي الدين** قد أفرد كثيرا من صفحات كتابه لتجربته مع الشيوعية كما لاينكر مدي اعجابه بالرفيق **بدر** سكرتير عام الحركة الديموقراطية للتحرير الوطني المعروفة باسم **حدتو** وهو ميكانيكي ، ولقد ظل **جمال عبد الناصر** يسخر من **خالد محي الدين** ويشير إليه فيما بعد في اجتماعات مجلس قيادة الثورة قائلاً " **زعيمه ميكانيكي**".

وكما سبق الذكر فقد كان كثير من الضباط متورطين في منظمة الحرس الحديدي، ونجد أن بعضهم يلتمس لنفسه أو لزملائه العذر بدعوي أن مبعث اشتراكهم كان يرجع إلي محاولة اختراق التشكيل العصابي الملكي ، إلا أن عمليات الإغتيال التي قاموا بتنفيذها تضحض اقوالهم.

ونجد أن **خالد محي الدين** يلتمس العذر لهم في كتابه حيث يقول[٢]" وحتي لايساء فهم الأمور أود أن أوضح أن الملك كان في منتصف

١ ، ٢- كتاب خالد محى الدين والآن اتكلم ص ٩٥ ،٥٥.

الأربعينات لم يزل محبوبا من قطاعات من الجيش ، وكان البعض منهم يعتبر أن ولاءه للملك هو جزء من ولائه لمصر " . وهو دفاع لا يقوم علي منطق مقبول من قبل **خالد محي الدين** لأن الولاء شئ والNانضمام لتشكيل عصابي للإغتيالات شئ آخر . كما نجد في كتابة أيضا مايرويه من أن **جمال عبد الناصر** تمكن من الغاء نقل **خالد محي الدين** من سلاح الفرسان في الحال عن طريق الدكتور **يوسف رشاد** ، إلا أنه ينفي عن **جمال** أن نكون له صلة مباشرة بالدكتور حيث كان يتعامل معه عن طريق آخرين ، ومع ذلك فهو يستطرد ليقول في كتابه " أن هذه الواقعة مازالت تحيره حتي الآن".

وواقع الأمر أن مصادري الخاصه كصديق لأسره **رشاد باشا** والد الدكتور **يوسف رشاد** تؤكد أن **جمال عبد الناصر** قد سبق له أن سعي لمقابلة الدكتور **رشاد** في صحبه **أنور السادات** إلا أنه لم يكن ليستريح إليه ، ولعله لم يقبل بانضمامه إلي التنظيم أو لعله قد قبله مع التحفظ وعلي حرف . وقد ظل **عبد الناصر** بعد ذلك يحمل ضغائنه ضد الدكتور **رشاد** لولا حماية المشير **عبد الحكيم عامر** الشخصية ورعايته له طوال حياته بعد الثورة حتي أنه قد حصل له علي عقد كمستشار بشركة سرباكس بالبحر الأحمر. وحتي نعيد ترتيب الأوراق السابقة مدعمه بوقائعها ، فإننا نتبين ان عمليات الإرهاب والإغتيالات المختلفة التي تمت قبل قيام الثورة بواسطة الإخوان المسلمين وقد كان علي رأس ضحاياها **النقراشي باشا** رئيس الوزراء في ذلك الوقت ديسمبر ١٩٤٨. وكذلك العمليات التي كان يقوم

بها الجناح المتطرف من الحزب الوطني وكان أهم ضحاياها الشهيد العظيم **أحمد ماهر باشا** وقد قام بإغتياله المحامي **محمود العيسوي** أحد تلاميذ **عبد العزيز علي** والذى أفتي له مشايخ الإخوان بإباحة دم الشهيد والعمليات التي كان يقوم بها التنظيم الملكي " الحرس الحديدي" الذي قام بإغتيال **أمين عثمان** كما قام بعده بمحاولات فاشلة لإغتيال **النحاس باشا** كما نفذ الحرس الحديدي بعد ذلك عملية إغتيال الشيخ **حسن البنا** إنتقاما لمقتل **النقراشي باشا** ، وهو الحادث الذي نسب ظل ما إلي **إبراهيم باشا عبد الهادي** وقد وقعت أغلب هذه الحوادث في منتصف الحقبة الأربعينية وقبيل الثورة ويكاد أن يكون القتلة جميعا علي معرفة ببعضهم البعض حيث تظهر المذكرات مدي الصلة التي تربط فيما بينهم . وقبل ذلك التاريخ فإن الإتصالات التي تمت بالجانب النازي أثناء غزوه للحدود المصرية كانت من عمل الجناح المتطرف للحزب الوطني برئاسة **عبد العزيز علي** وعصابته التي كونها من الضباط والتي كانت تعرف بنواة الطيران ، حيث انه كان من الأوائل الذين كانوا وراء خروج الجيش من عزلته والولوج من الباب الأسفل إلى العمل السري ، ويساعده في مثل هذه المهام صلاتـــه الواسعة بكثير من الجهـــات الإرهابيـــة في مصـــر وعلي رأسهـــم **عزيز باشا المصري** الذي لم يكن بعيدا عن مثل هذه التنظيمات، ولعل المراجع علي كثرتها واختلافها ، تتواتر كتاباتها عن اتصالات الشيخ **حسن البنا** مرشد الإخوان المسلمين بالتشكيل المتطرف للحزب الوطني القديم وكذلك بنواة الطيران والتى نبعت من هذا الحزب وقد عرضنا لهم في أكثر من موضع من هذا الكتاب .

ويستطيع القارئ اذا مارجع لكتب البحث عن الذات **للسادات** أن يتبين أن صلته بعزيز **باشا المصرى** تمت بواسطه الشيخ **حسن البنا** في عياده طبيب **بالسيدة زينب** من أتباعه . وكذلك يروي لنا كتاب **محمود فوزي** الذي صدر بعد وفاة المرحوم **وجيه أباظه** ، كيف أن الشيخ **حسن البنا** سبق له أن إستدعى **وجيه أباظه** وطلب اليه إنشاء مصنع للمسدسات ، وكيف أن نواة الطيران كانت علي وشك إنشاء محطه إذاعه سرية مشتركة مع الإخوان إلا أن المشروع لم يخرج إلي حيز التنفيذ كما جاء بالكتاب سابق الذكر " **وجيه أباظه** يتذكر " لمؤلفه **محمود فوزي** أن المستشار **محمد عبد الرحمن أباظه** شقيق حرم المرحوم **وجيه أباظه** وهو من أعضاء الحزب الوطني المتطرف الذي يدين بزعامه **عبد العزيز علي** يفصح أن نشاطهم كان ينبع من دار المغرب العربي التي حولها **عبد العزيز علي** إلي نواه للحركه الوطنيه ، وأن **عبد العزيز على** كان منفتحا علي الإخوان المسلمين ، والشبان المسلمين، وجماعة شباب **محمد** ، **واحمد حسين** زعيم حزب مصر الفتاة ، **وعزيز باشا المصرى** وكانوا يتدربون علي ضرب النار في وادي حوف ، ويقرر أنه من ضمن العمليات التي قاموا بها هي حادث سينما إمبريال حيث كانت مخصصة للإنجليز ، وقد القوا عليها قنبلتين وكان الفاعل الرئيسي الدكتور **عز الدين عبد القادر** حفيد الزعيم **أحمد عرابي** وهو الذي قام أيضا بمحاولة إغتيال **النحاس باشا** بإطلاق الرصاص عليه ، ولم يكن الدكتور **عز الدين** عضوا بالحزب الوطني الإ أن **عبد العزيز** علي استعاره من حزب . مصر الفتاة للقيام ببعض العمليات . كما يصرح المستشار **محمد عبد الرحمن أباظه** أن **عبد العزيز علي** كان أول من كون نواة الطيران

ولنا في هذا الموضوع حديث في الفصل القادم من هذا الكتاب ، حيث كانت التشكيلات المدنية للحزب بالإشتراك مع نواة الطيران وراء فكرة الإتصال بالألمان أثناء الحرب العالمية الثانية . والذي نريد أن نصل إليه من خلال العرض السابق أن هذه الجمعيات الإرهابية التي تخللها الضباط أو التي قامت الجمعيات بتجنيدهم لحسابها كانت تعمل جميعا بتناغم كامل وتوافق مريب .

فهم جميعا منفتحون علي بعضهم البعض ، والعمليات التي تمت في كثير منها مشتركه كما هو حادث فى قنبله سينما امبريال السابق الإشارة اليها حينما إستعان **عبد العزيز علي** باحد إرهابي حزب مصر الفتاة ، كما تحدثنا مذكرات الأستاذ **خالد محمد خالد** أن قاتل الشهيد **أحمد باشا ماهر** وهو أحد أعضاء الجناح العصابي للحزب الوطني أقبل علي جريمته بعد أن نسب إلي الشيخ **سيد سابق** عضو جماعة الإخوان المسلمين فتواة بإباحة دمه بل أن استاذنا **خالد محمد خالد** يؤكد أن **العيسوي** من الجهاز السري للإخوان، كما أن محاولات إغتيال **النحاس باشا** قد تكررت بواسطه **أنور السادات** وكذلك بواسطه الدكتور **عز الدين عبد القادر** عضو حزب مصر الفتاة .

كما أن أغلب ضباط الحركات السريه قبل إنضمامهم فيما بعد في تشكيل الضباط الأحرار قبيل الثورة كانوا علي صله **بعزيز باشا المصري** ، والذي كان يحبذ لهم سبيل الإغتيالات كوسيلة فعالة لقيام الثورة . ولقد كانوا جميعا بغير إستثناء أيضا علي صلة بالشيخ **حسن البنا** ، كما كان كثير منهم علي صلة **بعبد العزيز علي** .

ونجد أنه بعد حادث المنشيه ومحاوله إغتيال **جمال عبد الناصر** المزعومة بالأسكندريه وبعد أن تم القبض علي مرشد الجماعة في ذلك الوقت المستشار **حسن الهضيبى** ، فقد فزع تنظيم الإخوان إلي **عبد العزيز على** يعرضون عليه قبول رئاسة الجمعية مرحليا لحين الإفراج عن المستشار الهضيبي ، ولقد حوكم بتهمه التآمر بعد أن إفتضح أمر هذه الإتصالات وحكم عليه بالسجن المؤبد ولم يفرج عنه إلابعد وفاه **عبد الناصر** وولايه **أنور السادات** الذي سارع بالأفراج عنه .

واذا أردنا أن نسترسل في إقامة الأدلة علي الصلة المريبة والعضوية ما بين الجمعيات الإرهابية علي إختلاف مذاهبها وما بين ثورة يوليو ، فأننا نستشهد بعملية إغتيال المستشار الشهيد **الخازندار** قبيل حل جمعية الإخوان المسلمين عام ١٩٤٨ ، ولعل الحادث كان من أهم أسباب حل الإخوان ، فقد قصد بهذه العملية البشعة أرهاب القضاء في مصر تمهيدا لتكثيف العمليات الأخري الإرهابية التي كانوا يخططون لها . ولقد تم لهم بالفعل ما أرادوا حيث إتسم الحكم علي قتله المرحوم الخازندار بالتخفيف الشديد ومع ذلك فبمجرد قيام الثورة فقد أسرعت بالإفراج عن القتله ونشرت صورهم بعد الإفراج وهم في أحضان السادات يتلقون تهنئته بين مظاهر الإبتهاج والنصر وكان يبدو من والقع الصورة مظاهر الصداقة القديمة بين هؤلاء.

ولعل الصلة ما بين التشكيلات العسكرية المختلفه والإرهاب في مصر قبل الثورة هي من المواضيع التي لم تجد بعد العناية الكافية لكشفها، وازاحه الستار عنها . بل أن حريق القاهرة لم يكن بعيدا عنهم ، وأن كان المشتركون فيه يمثلون أكثر من جهة لأنهم كما سبق أن ذكرت

متناغمون ، متألفون ، متعاونون علي الضلال والتخريب وإنهم منغمسون في مخطط لقلب نظام الحكم جميعا بتغير إستثناء ورغم جريمة حريق القاهرة البشعة، فقد وجدت من يدافع عنها حينما القي عبد الناصر خطاب إفتتاح مجلس الشعب في ١٩٦٠ حيث يقول:

" لقد كان حريق القاهرة أول بادرة للثورة الإجتماعية علي الأوضاع الفاسدة ، وحريق القاهرة هو تعبير شعبي عن سخط الشعب المصري علي ما كانت ترزح فيه مصر من اقطاع واستبداد رأس المال" (١) ولعل الغموض الذي مازال يحيط بواقعه حريق القاهرة يؤكد ضلوع ضباط ثورة يوليو فيها مع العناصر المخربة الأخري .

ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نقفز إلي نتيجه متسرعه من أن هذه الجيوب والجمعيات والأحزاب الإرهابية كانت علي إتفاق كامل أو أنها ذات أهداف واحدة أو أنهم كانوامطلعين البعض بالتفاصيل أو في كل القضايا والجرائم ، فقد حدث في بعض الأحيان أن تمت عمليات تصفية من إحدي المنظمات ضد الجمعيات أو المنظمات الأخري: ولكن العامل المشترك بينهم هو أنهم جميعا من طلاب السلطة في إطار الشرعية أو ضد الشرعيه، ولقد كانوا يدركون تماما أن النظام القديم يقف حائلا بينهم وبين الحكم ولا يسمح لتشكيلاتهم بالمشاركة فيه . ولقد أخطأت الأحزاب القديمة حينما قبلت مهادنتهم أو الإستعانة بهم في مراحل مختلفة .

كما أن كثيرا من هذه التشكيلات العصابية كالشيوعيين والإخوان المسلمين قد نجحوا في تخلل الأحزاب القديمة عن قصد بعيد وتدبير طويل المدي كما كان الإخوان المسلمون أيضا يحاولون إسترضاء الملك قبل

١- ورد فى كتاب أبو الفتح " ناصر " ، ص ٣١٤ .

إقدامهم علي جريمة إغتيال **النقراشي** باشا ، ثم أنهم عادوا لمثل هذه المحاولات من جديد . وهم من اليقظة بحيث أنهم لم يكن ليخفى عليهم أن الملك كان وراء عملية أغتيال مرشدهم السابق الشيخ **حسن البنا**، فقد سعي المستشار **حسن الهضيبي** لمقابلة الملك **فاروق** وقد صرح بعد الزيارة الملكيه بأنها زيارة كريمة لملك كريم (١)

فالتحالفات التي كانت قائمة بين الأحزاب المتطرفة وبين التشكيلات الإرهابية التي كانت تباشر نشاطها تحت الأرض كانت علي أوثق الصلات ولعل كل حزب ، أو عصابة ، أو جماعة منها كانت تظن أنها الأذكي والأكثر دهاءً ، وانها تستطيع أن تسّخر الآخرين لصالحها لتعبيد الطريق أمامها نحو السلطة ، بل أن الإخوان كان لهم مسئول خاص لخلايا الجيش هو الصاغ **محمود لبيب** وهو ضابط من الرعيل الأول من جيل **عزيز باشا المصري** وضالع حرب وله توجهاته النازية التى كان يتوق لتطبيقها في ممارسته للنظام العسكري لجماعه الإخوان . وكان يواظب علي الإجتماع اسبوعيا مع الخليه الرئيسية للتنظيم العسكري التابع للجماعة .

إلا أن هذه التشكيلات جميعا التي سعت إلي تجنيد الضباط في صفوفها ظنا منها أنها تستطيع إستخدامهم في قلب نظام الحكم لصالحها ، كانت علي درجة واسعة من السذاجة وقصر النظر فقد تكون هذه التشكيلات والجماعات سابقة الذكر علي مقدرة كبيرة في بث الإرهاب والفوضي في ربوع الوطن ، وكذلك في التخطيط لعمليات الإغتيالات وفي تكوين خلايا علي درجه رفيعة من السرية وقد يكونون قادرين علي خداع الشرطة ورجال الأمن وإختراقهم أيضا وكذلك التسلل إلي الأحزاب

١- محمد حسنين هيكل - خريف الغضب .

الأخري وزرع بعض التابعين لهم في صفوفهم ولكنهم رغم كل ذلك فهم ليسوا مؤهلين للحكم وليست لهم برامج تمكنهم من الإستحواذ على الثقة لا على المستوى المحلى أو العالمى كما أن ثقافتهم السياسية والإدارية لا تدعو للثقة والأطمئنان، ولعلهم لو تركوا للحكم لكانوا مثلاً آخر من خومونية إيران كما انهم فى توسلهم للسلطة وتسرعهم فى الوثوب اليها فقد فضحتهم حماقاتهم ، بما جعلهم صيدا سهلاً للضباط الذين سبق لهم استخدامهم كاعضاء تابعين لهم ، كما أنهم كانوا قد تورطوا فى الإتصال بالقوى الأجنبية . ولعل الدوائر الأجنبية كانت ترحب بهذا الإتصال من قبيل التعرف على آرائهم ولكنها لا تستطيع أن تركن اليهم ، أو ان تطمئن إلى مخططاتهم فقد كانت مثل هذه الدوائر رغم تحفظاتها لا ترى من نظام آخر بديل للحكم القائم إلا الجيش والجيش وحده باعتباره أخف الأضرار .

وفى بلد كمصر عميق الجذور بأصول الحكم ، فلم تكن امريكا التى تتطلع إلى مد نفوذها بها مع إشاعة الإستقرار ورسم سياسة طويلة المدى فى المنطقة لتجرؤ أن تمد يدها إلى مثل هذه العصابات إلا مرحليا ، ولأغراض مؤقته - أما الحكم فهو بعيد عن ذقونهم حيث أنهم بالنسبة لمخابرات مثل هذه الدول لم يكونوا يمثلون إلا حلفاء مرحليين لا يمكن الإعتماد عليهم فى المدى الطويل ولسنا هنا فى مجال التفضيل بين حكم الدكتاتورية العسكرية من جهة أو حكم الأحزاب والتجمعات الإرهابية من جهة أخرى ، بقدر ما نحن نحاول إدراك طبيعة السياسة الأمريكية فى ذلك الوقت وهم يعملون فى مصر منذ مطلع الحقبه الأربعينية للبحث عن بديل للحكم الملكى وعن حليف يطمأنون معه على مصالحهم وعلى تأكيد

السلام في منطقة الشرق الأوسط ، وفي ظل هذه المفاهيم تم الإتصال بينهم وبين حركة الضباط الأحرار بعد تجميع جيوب الحركات الأخرى التي كانت تضم المتآمرين الآخرين من الضباط وكذلك بعض المدنيين وقد كانت بداية حركة الضباط الأحرار في ١٩٤٩ .

"الإختلاف بين الأحاديث والمعانى فى منطق الثورة"

وكما كانت توجهاتهم السياسية فى رأينا بعيدة عن الجادة والصواب ، فقد كانت كذلك أفكارهم الأخرى فى المسائل العامة أو الخاصة طبقا للإختلافات فى تكويناتهم الطبقية والعقلية والخلقية والفكرية ، حيث كانت الكلية الحربية فى ذلك الوقت ملجأً للفاشلين، من الطلبة. ، كما أن كثيرا من هذه الدفعات التى تخرجت منها لم تستغرق دراستها أكثر من سنتين بالزيادة أو النقصان وفى دراسة مبتسرة .ولعل فى ذلك ما يلقى الضوء عن الأسباب البينة فى تخلفهم من حيث الثقافة العامة .

وللقارىء أن يتتبع مسيرتهم منذ بداية الثورة ليدرك الفرق الشاسع ما بين تصريحاتهم وبين ما تعنيه مثل هذه التصريحات وما تنطوى عليه من تناقض بين الألفاظ المستخدمة وبين مدلولاتها التى يريدون التعبير عنها . كما أن المعانى التى كانوا يعبرون عنها تختلف تماما فى جوهرها عن المعانى المتعارف عليها والمستقرة فى الوجدان الإنسانى كالحرية والديموقراطية والمعانى السامية الأخرى التى تتشرف بها الطبائع الإنسانية. .

والمثل لدينا نسوقه عن الرئيس **محمد نجيب** ، وهو الوجه الذى تقنعت به الثورة فى أول أمرها لخداع جماهير الشعب ، وحتى تتوسل به للتقرب إليهم . ورغم أن هذا الرئيس المخدوع قد حصل على شهاده الحقوق إلا أن فهمه وتصوره هو الآخر للديموقراطية والحرية هو من الأمور التى تستوجب ، الدراسة والتحليل من واقع ما ورد فى كتابه " **كلمتى**

للتاريخ " فاللواء **نجيب** كما سبق أن أوردت نقلا عنه يقرر مانصه " **أن قدرة العسكريين على إستعاب المعاني السامية للديموقراطية أمر شديد الصعوبة نتيجة لطبيعة حياتهم داخل الجيش، حيث تنفذ الأوامر بلا تردد ولا مجال للشورى وتبادل الرأى** " [١] .

الإ أن **محمد نجيب** نفسه رغم حكمته السابقة يقع فى نفس الخطأ الذى ينسبه إلى العسكريين لأنه هو كذلك فرد منهم ، فهو يتصور أن القرارات التى تتسم بالقمع داخل مجلس الثورة تصبح ديموقراطية ما دامت الأغلبية قد صوتت لصالحها بغض النظر عن طبيعة القرارات ، ولنا فى هذا المجال كثير من الشواهد والأمثلة، فمثلا عندما إقترح **سليمان حافظ** مشروع قانون الأحزاب السياسية ، وقد عارضه فيه الدكتور **عبد الرازق السنهورى** معارضة شديدة ، الإ أنه عند أخذ الرأى ، فقد تم التصويت لصالح هذا المشروع المعيب والذى يعصف بالديموقراطية عصفا حيث أنه كان فى حقيقته بداية لإستبعاد الأحزاب السياسية والعمل الحزبى بمصر ، وكذلك فإن إستثناء الإخوان المسلمين من القرار ، وهو الأمر الذى كان يتعارض كذلك مع روح شموليه مشروع القانون المقترح حيث أن المساوة فى الظلم ضرب بسيط من العدل ، وهو الرأى الذى كان يرتأيه اللواء **نجيب** . إلا أنه يقول أن الأغلبية رجحت كفة المشروع [٢] .

وإنه كما يزعم يخضع لحكم الأغلبية وقد فاته أن حكم الأغلبية اذا ما كان ينطوى على الظلم فهو باطل من أساسه ولا يجوز التمسح باسم الديوقراطية فى اقراره .

١. ٢ - كلمتى للتاريخ - محمد نجيب ، ص ٢٥٠ .

وقد جاء بكتابه أيضا فى هذا الخصوص مانصه " **كنا فى هذه الفترة نمارس عملنا ممارسة ديموقراطية ، لا يستبد أحد برأيه ولا يستطيع أن ينفرد بإرادته . . . وكانت الأغلبية هى المعيار الوحيد الذى يرجع كفة على أخرى ، وكنت أنا صاحب الرأى فى إتباع هذه القاعدة الديموقواطيه** " ومثل هذا الحديث يعنى أن الأستبداد يصبح مقبولاً ومشروعا إذا تولت عصابة ممارسته عن طريق الشورى.

وفى موضع آخر يقول اللواء " أن مجلس قيادة الثورة إتخذ قرارا بتكليف أعضائه بمباشرة الإشراف على الوزارات المختلفة ، فاصبح فى كل وزارة مندوب للقيادة وقد عارضت هذا الرأى ولكن أغلبيه مجلس القيادة وافقت عليه ". وهو يلتمس العذر دائما لنفسه ، بأنه إزاء كل الممارسات القمعية لم يفكر أبدا فى الإستقاله ، معتقدا أن وجوده يفيد أكثر من غيابه، وأنه قادر مع الوقت على أصلاح الأخطاء .

وفى موضع آخر وعند تشكيل محكمة الثورة وهى محاكم بالغة الجهل والجهالة يقول اللواء : " **اعترضت على فكرة " محكمه الثوره " التى تجعل منا خصما وحكما فى نفس الوقت ولكن وقفت دى أغلبية المجلس حيث أصروا على تشكيلها امتداداً لمحاكماتهم لضباط المدفعية**" وهكذا يخضع اللواء نجيب دائما لرأى الأغلبية الباغية تحقيقا لمفهومه الغريب عن الديموقراطية " (١) .

ويتبين الرئيس المخدوع اللواء **نجيب** الشرك الذى أندفع اليه فهو يقول : " **صحيح أننى أنا الذى وضعت لائحة العمل الديموقراطى فى**

١- كلمتى للتاريخ - محمد نجيب ، ص ٧٨ ، ٨٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٨٧ ، ٢٢٣.

المجلس ... ولكن شعب مصر ليس هو مجلس الثورة . ويفكر المسكين دائما فى الإستقالة إلا أنه سرعان ما كان يتراجع عنها لأنه قد أصابه هو أيضا مرض السلطة وشهوة الحكم فهو يتعلق بأهداب الرئاسة ، يعيدونه اليها فيعود ويبعدونها عنها فيبتعد رغم سنه ومركزه .

وهو فى النهايه يسلم بالأمر الواقع فيقول فى إحدى صفحات كتابه " **كنت منهكا كملاكم فى الجولة الثانية عشرة ... لم أهزم بالضربة القاضية ، ولكنى هزمت بالنقط بعد كفاح طويل فقد كانت نقابة المحامين مازالت تعلن عن الإضراب ، وطلبة الجامعة يعقدون مؤتمرا يؤيدون فيه الإتجاه الديموقراطى ، وهيئات التدريس فى الجامعات أصدرت بيانات تؤيد الديموقراطية والحياة النيابية** " ولكنى كنت واثقا أن قوات الجيش الموالية لمجلس الثورة يمكن أن تتحرك لإطلاق الرصاص على أية هيئة إذا تعرضت خطتهم السوداء للفشل".

ثم يعترف الرئيس المخلوع أنه ليس هو الذى أقدم على الإستقالة ولكن طرد وضرب وسجن حيث دخل عليه ذات يوم **عبد الحكيم** عامر ومعه **حسن إبراهيم** ليقولا له فى خجل بصوت خافت "ن إجلس الشوره قد قرر إعفاءكم من منصب رئيس الجمهورية " وهكذا أصبحت الثورة هى صاحبة الوصاية على شعب مصر منذ ذلك التاريخ البعيد وحتى حاضرنا التعيس .

أما عن ديموقراطية الأميرالاى **خالد محى الدين** فهى أيضا ديموقراطية من نوع خاص ولقد عبر عنها **السادات** أبلغ تعبير حيث يقول عنه أنه " **شيوعى ماركسى حاول أن يستخدم سلاح الفرسان تحت ستار**

عودة الديوقراطيه والأحزاب معتقدا بذلك أنه يستطيع فرض دكتاتورية اليسار تلك التى تحيل البشر إلى عجلات فى آلة ، لاهم لها إلا طحن الإنسان ، والقضاء عليه وسلبه أخص مقوماته التى خلقها له الله سبحانه وتعالى "

ولعلنا لا نملك إزاء إتهام **السادات لخالد** الإ التصديق بالنسبة لهذه الجزئية ، فقد سبق أن عرضنا لما كان من أمره حينما كان بجنيف ثم استدعاء الزعيم الشيوعى الصهيونى له ليقنعه بالرأى الذى لا يتفق والديموقراطية فى شىء فهو يعترف أنه التزم برأى زعيمه **كوريبل** فى العودة إلى معسكر **عبد الناصر** من جديد ملتزما بشروط القاهرة من " **منطلق أنه فى السياسة ليس بالإمكان التمسك بكل شيئ حتى لا تخسر** كل شئ "

والذى يقلبّ كتاب خالد **والآن اتكلم** " نجد من واقع كلامه ما يصلح دليلا على زعمنا فى الشطط البين بين حديث هؤلاء السادة الضباط وبين المعانى التى يرمون إليها فليست ديموقراطيه **خالد محى الدين** الإكديموقراطية **جمال عبد الناصر** وكديموقراطية **السادات** ذات الأنياب وغيرها من ديموقراطية الجرعات حيث يقول فى كتابه المذكور " **فبرغم اننا ومنذ الأيام الأولى لمحاولة بناء تنظيم " الضباط الأحرار" كنا نعتقد ونعلن ونتمسك بالديموقراطية كمخرج للوطن والشعب لكننا نسينا فى غمره حماستنا ونحن ضباط عاديون أن الديموقراطية تعنى فى الأساس الأول تداول السلطة ، فما أن أصبحنا حكاما حتى نسى البعض ما تعاهدنا عليه وتمسك بالسلطة "**

ولم يكن هذا النسيان من جانبهم إلا أنهم يعرفون تماما رأى الشعب فيهم ، وماذا يكون عليه الأمر فى ظل إنتخابات حرة ونزيهة .

كما نجد فى كتابه أنه عندما قرر مجلس قيادة الثورة توزيع أعضائه على الوزارات المختلفه وهو ما يعنى تعميق مسار الدكتاتورية العسكرية وفرض الوصاية على الحكم المدنى ، فقد كان من نصيب **خالد محى الدين** وزارتى الصحة والصناعة ، إلا أنه قد طالب بالوصاية على وزارة المالية والإقتصاد مبررا ذلك بأنه حاصل على بكالوريوس التجاره (دفعة ١٩٥١).

وفى كتاب الرئيس **محمد نجيب** " **كلمتى للتاريخ**[١] " نجد أنه يتحدث عن ديموقراطية **خالد محى الدين** الخاصة حيث يطالب بحرمان النواب السابقين الذين صوتوا تأييدا لأيه قوانين مقيدة للحريات من حقوقهم الدستورية ، وكذلك الذين رفضوا رفع ضريبة الأطيان ، وكذلك رؤساء الأحزاب والذين طبقت عليهم قوانين الإصلاح الزراعى .

ولعلنا نريح القارىء حينما يعلم تمام العلم أن عصابة إنقلاب ١٩٥٢ هم من طلاب السلطة بحد السيف وبحق الفتح ، وأن فهمهم للمعانى الجليلة مثل الحرية والديموقراطية فهو بالغ الشطط والخلط .

ونقلب فى مذكرات السادة الضباط لنجد كل غريب وطريف ، ففى **فلسفة الثورة** " **لجمال عبد الناصر** نجده يذكر أن كل رجل قابله لم يكن يهدف إلا إلى قتل رجل آخر ، وكل فكرة سمعها لم تكن تهدف إلا إلى هدم فكره أخرى " . وهو أدعاء لا يقوم على أساس فمثل هذه الإخلاقيات

١- كلمتى للتاريخ - محمد نجيب ، ص ٢١٤.

لم تكن معهودة قبل ثورة يوليو فى مجتمع الصفوة الذى كان يتحدث عنه بين رجال الحزب الواحد فى حين أن مذكرات زملاءه جميعا تحفل بذات المعانى التى ينسبها للعهد السابق على الثورة ، حيث يتهمه زملائه جميعا وعلى رأسهم **محمد نجيب** بأنه أى **جمال عبد الناصر** كان يتفاوض مع الإنجليز من وراء ظهورهم ، كما أنه يتصل بالمخابرات الأمريكية والسفير الأمريكى ، ويؤكد أنه بعد انقطاع المحادثات بين الحكومة والإنجليز فى ١٩٥٤ ، فإن الرئيس **محمد نجيب** يقرر فى كتابه كلمتى للتاريخ أنه قرأ فى مذكرات **رويرتسون** كبير المفاوضين العسكريين أن **جمال عبد الناصر** كان يتصل بهم سرا فى هذه المرحلة . كما يذكر **محمد نجيب** فى كتابه أن **جمال عبد الناصر** طلب إليه بعد قيام الثورة مباشرة تأمين رجال الثورة بحيث يأخذ كل فرد منهم عشرة آلاف جنيه و**محمد نجيب** أربعة عشر الفا فيكون المجموع ١٣٤ ألف جنيه ، وإنه قد طلب من **زكريا** أن يحجزهم لهم نقودا جديدة ، ويقول **نجيب** إنه جزع أشد الجزع لهذا الحديث وعنفه تعنيفا شديدا . كما ذكر فى موضع آخر " إنه لم يكن يستطيع النظر إلى وجه **جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر** حيث كان يرى على وجهيهما قناع إبليس ومن أيديهم تقطر الدماء " كما يعترف **نجيب** أن الثورة فى أول عهدها لم تكن تعتبر إسرائيل عدوها الأول حيث كانت هذه العداوة تتركز على جنود الإحتلال فى القناة ..

وهو يذكر تصريحات **بن جوريون** التى تمنى فيها النجاح لثورة يوليو ، كما تحدثت (**جريدة هاآرتس**) عن امكانات الحل السلمى .

ولعلنا فى الباب الأخير من هذا الكتاب نحاول أن نلقى الضوء على حقيقة موقف الثورة إزاء إسرائيل فى أول عهدها انعكاسا من تأييد الولايات المتحدة لثورة يوليو ، ١٩٥٢ وانجاحها ، كما يتحدث كتاب **محمد نجيب** عن موقف **جمال عبد الناصر** من الدستور والديموقراطية وهو ما سبق أن عرضنا له وكذلك عن قصة الملايين الثلاثة من الدولارات التى سلمها **مايلزكوبلاند للتهامى** والتى اعاد تسليمها بدوره **لجمال عبد الناصر**.

واذا ما أنتقلنا إلى مذكرات **البغدادى** فإنها تحفل بأشد الكراهية **لجمال عبد الناصر** ونظامه ونذكر من حملته الطويلة بعض الأسطر التى تغنى عن أى بيان تحت عنوان " **تحطيم الآلهة** " حيث يقول " كنا نعرف من قبل أنه يقامر ، وكنا نندهش من هذا التصرف ، وهو كان قدر أنه سيحقق نصرا يرفعه إلى السماء دون أن يخسر شيئا فجاءت النهاية - نهاية نظامه ، وخزى وعار على الأمة - ربما يكون خيرا من يدرى !!! ربما أراد الله إنقاذ هذه الأمة من أستعباد **جمال عبد الناصر** لها ومن تأليههم له " ولعله نفس المعنى الذى سبق ان ذكره الشيخ **الشعراوى** عقب هزيمه ١٩٦٧، من أنه سجد لله شكراً أن أنقذ الله مصر من حكم الطاغية ، وقد عابت عليه كثير من الأقلام موقفه إلا أن **البغدادى** قد سبقه فى التعبير عن هذا المعنى وسجله فى مذكراته صراحه . أما ما أورده **البغدادى** على سبيل تاغمز فإننا نجده فى سطو ر أخرى حيث يروى أنه بينما كان **جمال عبد الناصر** يصرح بمعتقداته الماركسية عقب إنفصال سوريا ، ويقترح

تشكيل لجان ثورية ، يروى **البغدادى** أن **عبد الناصر** لاحظ عدم تحمسه للفكرة فعرض عليه أن يخرج معه إلى حديقة منزله الخلفية لمشاهدتها بعد التوسع الذى جرى بها وبعد أن نقل سلاح الإشارة من مكانه والذى كان يقع خلف حديقة منزله مباشرة قبل هذا التوسع ليضمه إلى حديقة منزله. بل إنه فى محاكمات مراكز القوى ١٥ مايو فقد دافع **على صبرى** عن تهمة الفساد الخاصة به وحصوله على رشوة من شركة **عثمان أحمد عثمان** ق.ع. فى صورة ڤيلا بأن الفيلا الخاصة به هى واحده من ثلاث والڤلتين الأخرتين هما لكريمتى الرئيس **جمال عبد الناصر** [١] وفى حملة الكراهية يمضى كتاب الصامتون يتكلمون بما يفصح عن أبلغ درجات الكراهية حيث يتبارى الفرسان الثلاثة **(البغدادى ، كمال الدين حسين ، حسن إبراهيم)** فى فضح مخطط صديقهم **جمال عبد الناصر** لتصفية الرئيس السابق **محمد نجيب** جسديا كما سبق الذكر . كما يقرر **كمال الدين حسين** إدانته للنظام والثورة حيث يسجل فى هذا الكتاب أنه بعد تجربتهم الغير موفقة فى موضوع الحرية ، فإنه لم يعد يؤمن إطلاقا بأى نوع من الإنقلاب أو التآمر يمكن أن يؤدى إلى الحرية ، بل أنه سيؤدى إلى دكتاتورية أشد قطعا ، فإذا أرتكب باسم الدين كان أدهى وأمر [٢].

ولعلنا نلاحظ من واقع كلامة أنه يصم حركة الضباط الأحرار فى يوليو ١٩٥٢ بأنها كانت من قبيل المآمرات والإنقلابات . وفى مضمار سعار الكراهية بين الضباط الأحرار ورئيسهم **جمال عبد الناصر**

١- رجال عبد الناصر والسادات كمال خالد المحامى رقم ١١٧ جلسة ١٩٧١/٨/١٣.
٢- الصامتون يتكلمون.

يقرر **أنور السادات** في كتابة البحث عن الذات :"أن **عبد الناصر** كان **مشغولا بالخرافة التي أصبح إسمه مقترنا بها ... خرافة كبيره جدا في مصر والعالم العربي فهو البطل الذي حقق النصر على إمبراطوريتين كبرتين " بريطانيا وفرنسا "** [1] كما يقول في كتابه أيضا أنه أكتشف فيه **(جمال عبد الناصر) أنه يشك في كل إنسان وفي كل شئ إلى أن يثبت العكس ."** وفي ظروف حياتنا المعقدة هذه قليلاً مايثبت العكس" [2]

وقد حفلت مذكرات الضباط الأحرار بحملات التشكيك في كل واحد منهم حيث أن كل مذكرة أو مؤلف لضابط تحمل في طياتها كل التجريح في سياسة وذمة الآخرين بغير استثناء، فهذا عميل روسي والآخر عميل أمريكي أو إجليزي بحيث لايبقى أمام القارئ شخص واحد منهم لم تتناوله مذكرات زملائه بالخيانة .

وحتى تكتمل الصورة في هذا الفصل الذي نحن بصدده من الكتاب والذي تتناول فيه مدى التشويش في المعاني التي يسوقها السادة الضباط الأحرار والتي يعبرون عنها بأسلوب لايؤدي إطلاقا إلى مفهومها المستقر وجوهرها الصحيح ، فهي تختلف تماما عن المعاني التي يألفها الناس والتي إستقرت في ضمير الشعب على صورة أخرى غير التي يراها هؤلاء . الفلاسفة الجدد ، فإننا نستشهد بكتاب **"البحث عن الذات"** **للسادات** حينما أورد قصة عن أبيه يعبر فيها عن المعاني الرفيعة في الكرامة والوطنية في رأيه حيث جاء بالكتاب أن أباه كان معجبا بنابليون الذي حدث عنه ابنه

---

١ . ٢ - البحث عن الذات ، ص ١٩٤-١٦٣ .

محمد أنور الساداتى طويلاً وذكر له " أنه عندما نفى الإنجليز نابليون فى سانت هيلانة تعمد الحاكم الإنجليزى للجزيرة أن يجعل بوابة بيت **نابليون** قصيرة بحيث يضطر القائد الفرنسى الأسير إلى أن يحنى قامته فى كل مرة يدخل بيته أو يخرج منه ، ولكن نابليون لم يمكنه من غرضه فكان يجلس على الأرض ويدخل أو يخرج زاحفا ، ولكنه رافع الرأس".

ويستطرد **السادات** فيقول " طبعا هذه لم تكن الإخرافة، ولكنها تعكس صورة البطل فى وجدان الشعب المصرى وخاصة إذا كان هذا البطل خصما قويا من خصوم الإنجليز.

وطبقا لروايته هذه التى لاتدعو إلا إلى الإشفاق ، فقد فهمنا مايقصده أبوه من أن نابليون يخرج زاحفا حتى لايضطر إلى الإنحناء أمام السجان الإنجليزى حاكم الجزيرة ولكننا لانفهم لماذا يدخل نابليون بيته زاحفا أيضا حيث أن ظهره فقط وقفاه هما ماكان يمكن للسجان أن يراه؟؟

ولعل القارئ يدرك مدى ماتعكسه رواية الأب لإبنه من اسفاف فى المعنى بحيث أنه جعل من **نابليون** وهو القائد العظيم مسخا يزحف كديدان الأرض. ولكنه مع ذلك يرفع رأسه، كما أن إعادة الإبن للرواية وتسجيلها فى كتابه البحث عن الذات مايفصح عن الأثر الكبير لأبيه على تفكيره ووجدانه.

وكذلك فإنه من الأهمية بمكان أن ننقل للقارئ صورة من ممارسات رجال الثورة والضباط الأحرار ، وكيف يقلبون المعانى الجميلة بحيث تصبح ضربا من الحيوانية والتسفل واعتذر للقارئ أن أسوق إليه من الأدلة

ماكانت لا ترقى فى الماضى إلى مرتبة التصديق ، ومن واقع كتاب **اعتماد خورشيد** ، وقد كان من الأفضل والأسلم أن نستبعد مثل هذا الكتاب عن مجال الأستشهاد . إلا أننى قد عثرت فى مراجع أخرى على الدليل لصدق بعض روايتها على الأقل ، ومن كتاب **محمد حسنين هيكل** سنوات الإنفجار أسوق حادثه أكدها فى كتابه من واقع التحقيقات الرسمية التى تمت بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧.

تقول **إعتماد خورشيد** فى كتابها : إن **صلاح نصر** كان يتباهى بأنه يحكم مصر ، ويحكم **عبد الناصر** ، ويجعله ينام ويستيقظ بأمره، وكان يتصل أمامها تليفونيا بالرئيس ليلهو به ، ويخبره بأنه من الأفضل أن يختفى فى برج العرب أو أن لايخرج من بيته وما إلى ذلك، ثم يتصل بعد ذلك **بالمشير عامر** ويحكى له هذه الوقائع على سبيل التسلية.

ولقد أدلت بمثل هذه الوقائع وغيرها أمام محكمة الثورة فى جلسة ١٩٦٨/٥/١١ بمبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيره فى قضية المخابرات وتم التحقيق فيها برئاسة **حسين الشافعى** ، وأغرب ماورد فى إعترافاتها هو مايتعلق بليالى " **السمو الروحانى** " التى كانت تتم فى فيلا المريوطية ويحضرها نجوم المجتمع والمسئولون وهى فيما تقرره فى التحقيق أن هذه الليالى كانت تبدأ بعد التاسعة مساء وتنتهى مع تباشير الصباح التالى . وكان يتم فيها كل الوان الإنحراف :.. زبائنها نوعيات عديدة من البشر فنانون وفنانات ، مسئولون من مختلفى الأصناف سيدات مجتمع وخادمات وكومبارس.. وشماشرجية واتباعه.

كانت الليالى تبدأ باحتساء الخمر ثم عرض الأفلام الشاذة يليها ممارسة الجنس والفجور بشكل مباح .

واتوقف عن تكملة ماورد فى كتابها أو اعترافاتها أمام محكمة الثورة برئاسة **الشافعى** لأننا نأنف من " **سمو الثورة الروحانى** " **لصلاح نصر** ، لأنقل ماورد فى كتاب **هيكل** بهذا الخصوص من واقع حديث **صلاح نصر أمامه** ، ثم ماعثر عليه **هيكل** بعد ذلك فى قراءاته لمحاضر التحقيق مع **صلاح نصر** وآخرين والخاصة بوقائع إنحراف المخابرات سنة ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ونص ماجاء بكتاب سنوات الإنفجار بخصوص الحادثة سابقة الذكر والمتعلقة بموضوع السمو الروحى هو مايأتى[١] كان جهاز المخابرات العامة منذ أنشئ وحتى منتصف الستينات. أكفأ أجهزة المخابرات فى المنطقة ، وكان جهد "**صلاح نصر** " فى إنشاه وادارته لاينكر. ولكن طول البقاء فى المنصب، مع ظروف السرية المطلوبة للجهاز والتى تؤدى إلى ظاهرة الإنحراف التى تعرفها كل الأجهزة المماثلة - قادته إلى مواضع الزلل. وكان السيد **صلاح نصر** شخصية تتنازعها تناقضات داخلية . وأتذكر أن رأيته فى الهند سنة ١٩٦٦ ، وكان ضمن أعضاء الوفد المصرى الذى سافر لإجتماع قمة الدول غير المنحازة فى دلهى .ولكن مهمته الحقيقية هناك كانت للتنسيق بين المخابرات الهندية والمخابرات المصرية . وحدث أثناء هذه الزيارة أن صحبه مدير المخابرات الهندى لزيارة مجموعة معابد " **كاجوراو" فى ولاية " ماديا برديش "** وهى معابد مغلقه للزوار العاديين

١- سنوات الإنفجار - حسنين هيكل ، ص ٢٠٤.

بسبب ماتحتويه من تماثيل الجنس الفاضح . وكان الجنس فى معابد " كاجوراو" ضمن الطقوس الدينية التى تمهد للرهبنه - فترة نسيان للنفس فيه بغية الإكتفاء - تؤدى إلى الملل منه برغبة التطهر. . ولكننى سمعت السيد " **صلاح نصر**" يتحدث عن زياراته لهذه المعابد بالتركيز على ما رآه فيها ، وليس بالفلسفه الكامنة وراءها بصرف النظر عن صحتها ، ثم وجدت بعد ذلك - أثناء قراءتى لمحاضر لتحقيق معه ومع غيره فى وقائع قضية إنحراف المخابرات سنة (١٩٦٧ ، ١٩٦٨) عبارة أن الجنس وسيلة للسمو والتطهر " تتكرر منسوبه إلى السيد " **صلاح نصر** " وأدركت أن ما رآه فى معابد "**كاجوراو**" كان أكبر مما يستطيع أن يفهمه أو يحتمله وهذه مشكلة كثيرين تجيئهم السلطة دون أن تصحبها الموازين الثقافية التى تستطيع ترويض نزوع البشر إلى مايتصورونه من متع الحياة".

والقصة التى اوردها **هيكل** هى ذات القصة بعد أن أعادها **صلاح نصر** إلى الوجود فى مصر والتى تدعى **اعتماد خورشيد** انها إنماط من الشذوذ التى إستوردها من الهند ليستخدمها فى عمله الغريب ومصداقا لقول الأثنين سواء الأستاذ **هيكل** أو **إعتماد خورشيد** فقد تسربت إلى أيدى كثيـرين من ابناء الشعب صور من بعض أوراق التحقيق الرسمية فى قضية المخابرات ١٩٦٨ ، والتى تؤكد للأسف الشديد وقوع مثل هذه الحوادث وإستخدام المخابرات فى ذلك الوقت للضحايا من سيدات الشعب المصرى ، وكان إستخدامهن فى الرذيلة يتم لأسباب

شخصية متعلقة بفساد وفجور رجال الحكم فى ذلك الوقت وليس له أدنى صلة بأعمال المخابرات الرسمية ، وكانت بعض هذه العمليات تتم عن طريق تجنيد أو توريط عناصر من السيدات لإستغلالهن فى عمليات مايسمى " **بالكنترول** " أو السيطرة التى قام بها مايسمى بقسم المندوبين بالمجموعة ٩٨ منذ عام ١٩٦٣ وقد نشأت فكرة مايسمى بالكنترول منذ سنه ١٩٦٣ كما سبق الذكر أى منذ نشأة جهاز المخابرات بصورته القبيحه برئاسة **صلاح نصر** . وليس كما يدعى الأستاذ **هيكل** أن الإنحراف جاء متأخرا ليعفى صاحبه من المسئولية الجسيمة فى السكوت على مثل هذه الجرائم أو إقرارها.

وفى كتاب **صلاح الامام** يسأل المؤلف المذكور **حسين الشافعى** وهو موضوع كتابة عن محاكمات رجال مكتب المشير **وشمس بدران وصلاح نصر** وقد كانت المحكمة مشكلة برئاسته عام ١٩٦٨ ، وفيما يتعلق بقضية فساد المخابرات يجيب سيادته إن **صلاح نصر** " كان ضابطاً ممتازا أدى خلال قيادته لجهاز المخابرات العامة اعمالا جليلة!! ولكننا نحن بشر وقد تحدث بعض الإنحرافات فى مرحلة ضعف بشرى، لكنه قبل كل شئ كان أحد الضباط الأحرار الذين قاموا بالثورة ، وكان قائدا للكتيبه ١٣ تحت قيادتى فى حصار قصر المنتزه يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، ومعظم ماقيل عنه مدسوس علينا من اعدائنا" (١).

ولنا هنا أن نتساءل عما ينسبه **الشافعى** من أعمال جليلة **لصلاح نصر**، وإذا ماكانت عمليات السيطرة " **الكنترول** " والسمو الروحى تدخل فى مضمار هذه الأعمال الجليلة ؟.

١- صلاح الأمام - حسين الشافعى وأسرار ثورة يوليو وحكم السادات ، ص ١٣٨ .

وإذا ماكانت أقوال إعتماد **خورشيد** من قبيل مايصفه **الشافعى** بإنه مدسوس عليهم من اعدائهم . فهل أقوال **هيكل** هى كذلك مدسوسة أيضا وهو الذى يدعى إنها من واقع التحقيقات الرسمية من قضية إنحراف المخابرات التى تمت تحت رئاسة **الشافعى**؟؟.

وهل كون **صلاح نصر** من الضباط الأحرار يشفع له إباحة هتك أعراض المصريين حيث يدعى **الشافعى** فى معرض دفاعه عنه إنه قبل كل شئ كان أحد الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة يوليو ١٩٥٢ بمعنى أن قيامه بهذه الثورة يغفر له ماتقدم من ذنوبه وماتأخر!!! ولو لم يكن له من دنياه إلا أنه قد شارك فى هذه الثورة لكفاه خزيا.

وهل صور الأوراق المتناثرة من التحقيقات الرسمية فى ١٩٦٨ التى خرجت من طوق السرية المضروبة عليها هى أيضا مدسوسة من اعداء الثورة؟

أو لم يحن الوقت بعد أن تُرفع الوصاية التى فرضتها ثورة يوليو ١٩٥٢ على الشعب حتى يعلم الشعب كيف كانت تحكم مصر فى ظل العهد الناصرى وفى ظلال خلفائه ؟؟

وخصوصا وان **الشافعى** نفسه يقرر أن هزيمة ١٩٦٧ كانت نتيجة للخيانة ، وأنه يطالب بتحقيق لإثبات من تورطوا فيها ، وإن التحقيقات السابقة فى قضية الإنحرافات كانت بشأن المؤامرة على السلطة من مكتب المشير ، ولكنها لم تتناول أسباب الهزيمة ومصادر الخيانة.

ويقول مانصه " الأحداث التى عشتها من خلال المحاكمات أكدت لى أن ماحدث لم يكن ليحدث إلا بوجود الخيانة"[1].

ولقد آن الأوان أن يتم التحقيق جديا وعلنيا ومن ذوى الإختصاص فى أسباب هزيمة ١٩٦٧ بصفة خاصة ، وفى التجاوزات البالغة والمستمرة التى تتناول نزاهة الحكم منذ ١٩٥٢ بصفة عامة .

ويقول **حسين الشافعى** فى معرض دفاعه عن هزيمة ١٩٦٧ ، وازاء تحديد المسئولية والمسئولين فى هذه الجريمة مانصه لكل جواد كبوة ، ولكل لسان ذلّه ، ولكل عالم هفوة ، ولكل حكيم شطحة، ولكل حارس غفوة ، ولكل شاطر وقعة ، ولكل عزيز صفعة ، ولكل فارس سهم ، ولكل بطل حفرة ، ولكل شجاع رجفه ، ولكل أسد صياد .... ولكل ولكل .... ولكل. ثم يستطرد شفاه الله ليقول : "تكثر الأعذار وقتما نريد ، وتنعدم وقتما نريد ، ونخلع الألقاب على من نريد ، ونسقطها على من نريد أيضاً.

ولست أدرى أمثل هذا الكلام يصلح إيضاحا لمسئولية جريمة ١٩٦٧؟

أم إنه الكلام الذى يلقى الضوء على أسباب الهزيمة حينما يوسّد الحكم لغير أهله من أمثال هؤلاء الذين يلقون الكلام على عواهنه بغير فهم أو إدراك شأنهم جميعا بغير إستثناء.

وبمثل هذه الشطحات يحاول **حسين الشافعى** الدفاع عن مسئولية **جمال عبد الناصر** إزاء هزيمة ١٩٦٧ بقوله لكل عالم هفوة ، ولكل أسد صياد ، ولكل ولكل... ولكل.

١- كتاب صلاح الأمام ، ص ١١٧.

ومع أن مثل هذه الأمثال قد تصلح للإنشاد فى مقهى بلدى بمصاحبة ربابه ، إلا أنها تظل قاصرة عن تحديد المسئولية والمسئولين عن الخيانة فى حرب ١٩٦٧ . ولايستطيع **الشافعى** ولاعصابته كلها مجتمعة أن تسقط المسئولية عن شيخهم لأن الضحية هنا هى مصر وشعب مصر.

ألم نقل إن مثل هذه المجموعة من الضباط لها حديث آخر غير مايتحدث به العقلاء.

ونتهى هذا الفصل بعد أن قدمنا من أحاديث **حسين الشافعى** البرهان الحى عن البون الشاسع مابين الألفاظ التى يستخدمونها وبين ماتؤدى إليه هذه الألفاظ من معان عن نزاهة الحكم ، والسلوك القويم ، والديموقراطية والعدالة الإجتماعية والوطنية.

من هم آباء ثورة يوليو ١٩٥٢

حينما تناولنا دراسة موضوع ثورة يوليو من بعض زواياها المختلفة ، فإن الصورة التي تجمعت لدينا لم تزل شاحبه ومهزوزة ، ذلك لأن المتاح لنا من الحقائق والوثائق يظل محدودا. كما أن مذكرات السادة الضباط الأحرار تتضارب في وقائعها وفي تفسيراتها للأحداث ، كما أن الصفقات التي أبرمت خلف الأبواب ليست لها بالتأكيد سجلات يمكن الرجوع إليها ، فهي من الأمور التي لايستطيع الدارس حيالها شيئا سوي الإجتهادات في ضوء النظرة الكلية الشاملة ، وفي ضوء النتائج التي ترتبت بعد مرور الزمن علي مثل هذه الوقائع .

وقد حرصت عند روايتنا للأحداث التي تضمنها كتابنا، أن أتقدم بالمراجع التي استعنت بها من واقع مذكرات رجال ثورة يوليو ، وعلي وجه الخصوص من كان منهم أقرب إلي الحكم .

ومع ذلك فإن الربط بين الوقائع المختلفة ، وملأ الفجوات التي لاتجد تفسيرا يظل من قبيل الإجتهاد من جانبنا بعد الرجوع إلي ماوسعنا الجهد في الإطلاع عليه من المراجع والمؤلفات المحلية أو الأجنبية المتخصصة . وكذلك فإنه بمرور الزمن تصبح الوقائع التي كانت لاتجد لها تفسيرا في الماضي هي أكثر وضوحا في ضوء المتغيرات والوقائع الأخري

وفي بلد لايحكمه دستور وليس للشعب فيه رأي فإن الحاكم ينفرد بالتاريخ انفراده بالسياسة والإقتصاد وكل مقدرات البلد، فالرأي هو مايراه والتاريخ هو ما يسطره أو يجيزه لكتابه وأنصاره وحواريه ، حتي اختلطت أوراق التاريخ في مصر لا أثناء فترة حكمهم التعيس وحسب بل وفي عهد ماقبل الثورة أيضا بعد أن عمدوا إلي طمس الحقيقه وتزييف التاريخ ومطارده كل ماهو جميل وعظيم من فكر الغابرين . وعن جهل أو عهد إنتقلت مثل هذه المراجع والمذكرات المشبوهة من داخل مصر إلي خارجها ، وأصبحت هي المراجع لمن لايدققون ولايحققون.

ولم يكن للدارسين الشرفاء في مصر من خيار آخر غير الصمت لأن البديل هو السجن بل وما هو أشد هولا من السجون . وأصبحت الكلمة في مصر حبيسة كما أصبح الرأى أسيراً إلى أن يشاء الله . والا فبماذا يفسر هذا التعتيم على أسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧ وكذلك دور المخابرات وتجاوزاتها فى مصر قبل الهزيمة؟ ولقد أجريت تحقيقات مبتسره عن هذه المواضيع البالغة الأهمية ثم سرعان ماأغلقت الملفات لأنها تحتوى على أخطر مايتصوره عقل مهما بلغ به الخيال .

وكذلك فإن الوثائق البريطانية والأمريكية المنشورة والخاصة بملابسات ثورة يوليو ١٩٥٢ وأحداث الشرق الأوسط تظل قاصرة عن أن تقدم الحقيقة كاملة عن قيام ثورة يوليو وبواعثها وأسبابها وكذلك الدور الأمريكى وأهميته فى منشئها .

وفى هذا الخصوص فأننا نود إن نشير إلى بعض الحقائق فى هذا الصدد والخاصة بظروف قيام الثورة فى مصر:

أولاً : لم تكن ظروف مصر الداخلية هى المسئول الرئيسى عن قيام ثورة يوليو ، ١٩٥٢ بقدر ماكانت ظروف مصر الخارجية وموقعها فى السياسة العالمية هى العامل المؤثر بالدرجة الأولى فى تقديرنا.

ثانيا : إن ضعف السلطة ، وتراخى الأمن ، والتلاعب بالدستور كانت هى الدوافع وراء اجتراء المتآمرين على العبث بسلامه البلاد كما مهدت لهم السبيل فى تعاونهم مع الجيش الألمانى أثناء غزوه لمصر إبان الحرب العالمية الثانية كما مهدت لهم السبل مرة أخرى فى الاتصال بالإستعمار الجديد بعد نهاية الحرب استجابة لسعيه فى مد نفوذه بمصر بعد أن إتضح تماما تهاوى قلاع الإستعمار القديم فى العالم وحلول أمريكا وريثا له .

ثالثا: إن كثيرا من جيوب التآمر قد نشأت فى حضن السلطة ورعايتها ، وقد نعمت بحرية الحركة بعد أن أغمض الأمن عينيه امتثالا للأوامر الفوقية سواء من الملك نفسه أو من حاشيته ورجالاته الذين أسيىء إختيارهم ، دون أن تكون لهم دراية سياسية أو غيرة وطنية وبغير أن تكون لهم قواعد شعبية .

رابعا: إن الأحزاب الرئيسية فى مصر كانت قد تجمدت منذ مطلع الحقبة الأربعينة ، وقد غفلت عن المتغيرات العالمية التى

كانت على وشك البزوغ على صعيد السياسة العالمية ، حيث كانت تولى مسألة الجلاء عن وادى النيل كل اهتماماتها بينما كانت مثل هذه الأمور فى طريقها للحل بحتميه مسار الأحداث الدولية بعد الحرب ، وبعد أن تغيرت موازين القوى ، وكذلك بعد أن أصاب الهرم دول الإستعمار القديم.

وربما كانت الصيغ المطروحة أمام هذه الأحزاب للجلاء بعد الحرب فى كثير من الأحيان أكثر تسامحا ، وأفضل بكثير من معاهده الثورة التى أبرمت عام ١٩٥٤ بين جمال عبد الناصر وبريطانيا ، تحت الرعاية الأمريكية . إلا أن الأحزاب كانت تزايد على بعضها فى ظل الديموقراطية التى اساءوا إليها بعد أن تقلصت الزعامات فى مصر وأصبحت هذه الأحزاب رهينة للرأى العام فهى تتطلع إلى رأى الشارع وتلتمس رأى الجماهير بدلا من أن تقود وتتزعم .

خامسا: تآمر أصحاب الأمر على أنفسهم وسلطانهم . فالملك وكأن الله قد سلطه على نفسه فهو يتآمر على ملكه وحكمه وشرعيته ورعيته . فنرى أن منظمته الإرهابية وهى الحرس الحديدى قد قامت بالعديد من الأغتيالات، وبهذا فقد إنقسم الجيش على نفسه فمنهم من هم موال ومنهم من كان لا يقبل مثل هذه الأوضاع التى لاتتفق وكرامة الجيش . وقد بلغ بالجيش الأمر أن بعض الضباط أصبح يناوئ الملك علنا وجهرا.

وكما إنتقض الجيش على ولى الأمر ، فقد تفرقت الأحزاب الرئيسية الثلاث من حوله بعد أن بلغ به الطيش مداه ، فهو يتآمر على الوفد وعلى زعيمه النحاس باشا الذى حاول إغتياله عدة مرات بعد أن اغتال بالفعل وزيرا من وزرائه . وهو ينقم على الأحرار الدستوريين والسعديين عريضتهم المشهورة التى أعلنوا فيها رفضهم لتلاعب الملك بالدستور وسوء اختياره لحاشيته . وللقارئ أن يرجع لنص العريضه فى الصفحات السابقة.

ولقد قامت الثورة بعد أن مهد لها الملك أبلغ تمهيد وفى الصفحات القادمة فإننا نحاول أن نتعرف على آباء هذه الثورة الحقيقيين ، حيث أن حركة الضباط الأحرار لم تتكون إلا بعد نهاية حرب فلسطين وفى آواخر عام ١٩٤٩[١] .

وكان أول منشور صدر عن هذه المجموعة فى خريف ١٩٥٠[٢] وكذلك يذكر خالد محى الدين فى كتابه وعلى وجه التحديد صـ ٦٣ إن الخلية الأولى واجتماعها الأول كان فى ألنصف الثانى من عام ١٩٤٩ ويقول بما نصه " اقر هذا واكرره لأن الكثيرين حاولوا تقديم روايات مختلفه، فالمرحوم **أنور السادات** قال بروايه أخرى وآخرين أيضاً.

١، ٢- خالد محى الدين – والآن واتكلم ، ص ٧٦ ، ص ٨٢ .

من هم آبـــاء الثـــورة

أولا : الولايات المتحدة الأمريكية

ولاشك أن ثورة يوليـو ١٩٥٢ مـاكـانت لتـقـوم لولا دعم الولايـات المتحدة لـهـا والتمهيد لقيامها ، والإعتراف بها منذ لحظاتها الأولى ، ولقد وردت انباء هذه المؤامرة فى كثير من المراجع ، إلا أننا فى دراستنا هذه قد رأينا أن نقطع على المؤرخين الجدد من رجال الثورة، أو من الضباط الأحرار أنفسهم خط الرجعة بأن لانلتمس من دليل آخر غير ما أوردته مؤلفات السادة الضباط الأحرار أنفسهم الذين تولوا السلطة أو كانوا من رعيلها الأول، بحيث تصبح أقوالهم هى الدليل عليهم.

وعلى هذا الأساس فإننى أقدم أولا ماجاء فى كتاب خالد محى الدين " كلمتى للتاريخ" [1] بهذا الخصوص حيث يقول " عندما أجتمعنا لإنجاز خطط التحرك الفعلى كنا فى منزل **حسن إبراهيم** ، وتحدثت طويلا عن مخاوف **ثروت عكاشة** من تدخل الإنجليز ، وكان **عبد الناصر** هادئا وعلق على كلامى بكلمة واحدة : طيب : ثم قال إذا كان **ثروت** قلقان بلاش يشتغل ، ثم التفت إلى **بغدادى** وسأله : إيه أخبار على صبرى ؟ ، كانت المرة الأولى التى أسمع فيها هذا الأسم ، وسألت : من هو على صبرى ؟ وأجاب **بغدادى** : إنه مدير مخابرات الطيران وهو معنا وقد أخذ بعثة فى أميركا وهو على علاقة حسنة بالأمريكان، وإنه من خلال علاقاته بالملحق الجوى فى السفارة الأمريكية سمع منه تلميحات بأنه فى حالة تحرك الجيش فإنهم سيطلبون من الإنجليز عدم التدخل اذا كانت الحركة غير شيوعية ولاتهدد مصالحهم ".

١- كلمتى للتاريخ ، ص ١٢١ .

وانتهز **بغدادى** الفرصة ليعود إلى المطالبة بعدم مهاجمة الأمريكان ، ذلك أنه لاداعى لإثارة عداء الأمريكان ، وعندما حاولت الرد عليه ، قال **عبد الناصر** معلش ، بلاش حكاية الأمريكان دى حتى تنجح وبعدها نقول مانريد ونفعل مانريد".

ولم تكن القصه العارضة هى كل ما أورده **خالد** فى الموضوع بل اننا أمام إعتراف آخر بالغ الخطورة لا يختلف كثيرا عما جاء فى كتاب لعبة الأمم لمؤلفه " **مايلز كوبلاند** " فيما يتعلق بصلة كافرى بالثورة وهو ما سنتناوله فيما بعد ، حيث يقول فى موضع آخر من كتابه : " أن **جمال عبد الناصر** كان قد رتب قبل الثورة علاقة مع الأمريكان ، عن طريق **على صبرى** ومنحهم قدرا من التطمينات من أن الثورة القادمة لن تقف ضدهم . كما يقرر **خالد محى الدين** أيضا من واقع كتابه " إن كافرى كان يتصرف بالحق أو بالباطل - على أساس أنه يمتلك نفوذا فى صفوف الثورة ". (١)

ونجد أن تعبير خالد يحمل فى طياته أن إدعاء كافرى بالنفوذ فى صفوف الثورة لم يكن عاريا تماما من الحقيقة حيث أن إستعمال عباره بالحق أو الباطل تحملنا على تصديق أن مثل هذه العلاقة لها ظل من الحقيقه أن لم تكن الحقيقه كلها . بل إنه عند تفكير مجلس قيادة الثورة فى تكليف الدكتور **عبد الرازق السنهورى** بتأليف الوزارة، فقد كلف السفير كافرى **على صبرى** بإبلاغ **عبد الناصر** بعدم رضائه، عن هذا الترشيح ، وكان هذا كافيا لإستبعاده .

١- كلمتى للتاريخ ، ص ١٢٢.

ورواية **خالد** بهذا الخصوص لا تحتمل التأويل حيث أنه يذكر أنهم كانوا مجتمعين كمجلس قيادة الثورة وكانت الجلسة سرية وكان الدخول ممنوعا ، إلا أن **على صبرى** حضر بشكل طارئ مستأذنا فى مقابلة **عبد الناصر** ، وحينما خرج **خالد محى الدين** من الجلسة لإستطلاع سبب حضوره على هذه الصورة ، طلب إليه **على صبرى** إبلاغ **جمال عبد الناصر** أن **كافرى** ليس راضيا على إختيار **السنهورى** رئيسا للوزراء ، وكان هذا كافيا لإستبعاده[1]

وليس خافيا أن **كافرى** كان لا ينكر علاقته الخاصة جدا بالثورة بل إنه كان يتحدث عن أعضاء مجلس الثورة على إعتبار أنهم أطفاله " My Boys وهو ما سجله خالد فى كتابه مدعيا أن كافرى لم يكن يمتلك كل هذا النفوذ وإنه قد إستغل غموض الموقف ليتظاهر بما ليس له .

وهل بعد الإعتراض على ترشيح الدكتور **السنهورى** رئيسا للوزراء ، ثم ما كاد من أمر **عبد الناصر** فى الإمتثال لأوامره ما نحتاج معه أو بعده إلى دليل على مدى النفوذ الأمريكى ؟

ثم ننتقل بعد ذلك إلى كتاب **محمد نجيب** نفسه " كلمتى للتاريخ " فنجد أن الرئيس المخدوع ما كان يتصور أن ثمة علاقه سابقه على قيام الثورة كانت قد نشأت بين **جمال عبد الناصر** ورفاقه مع المخابرات الأمريكيه وكذلك السفير **كافرى** فهو يعجب من سرعة وتلقائية المبادرات الأمريكية فى تبنى الثورة ومحاولات احتوائها والتطوع بالوساطة بينها وبين بريطانيا فى مفاوضات الجلاء . وهو يدعى فى كتابه أن التساهل

١- كلمتى للتاريخ ، ص ١٨٨ ، ١٨٧ .

الذى تم من جانب عبد الناصر فى توقيع إتفاقية الجلاء ، وإدخال تركيا طرفا فيها ، والنص على حق بريطانيا فى العودة لقاعده قنال السويس فى حالة تهديد سلامة المنطقة بما فى ذلك تركيا ، لم يكن مبعثه إلا محاولات استرضاء الأمريكان للوقوف إلى جانبه فى الصراع على السلطة .

بل إن الرئيس محمد نجيب يدعى فى كتابه كذلك* أن صديقا له من السودانيين قد علم أن صلاح سالم قد هدد الأمريكان فى حاله رجوع نجيب للسلطة بأنهم سيعيدون الحياة البرلمانية إلى مصر وسيسمحون بتأليف حزب شيوعى[(١)] .

ورغم ما فى هذا الإدعاء من جانب الرئيس نجيب من محاولة إضفاء هالة كبرى حول ذاته ، إلا أن إدعاءه لا يخلو من الصحة ، حيث أن الولايات المتحدة كانت دائما حريصة على التعامل مع قوة عسكرية قائمة فى مصر تتمتع بالنفوذ المطلق وكذلك القبول الشعبى ، وهى معادلة بالغة الصعوبة إلا أن جمال عبد الناصر قد أفلح فى تحقيقها فى ضوء معاونيه مستشاريه من المخابرات الأمريكيه .

كما يدعى الرئيس نجيب كذلك أن محادثات الجلاء بين عبد الناصر والجانب البريطانى لم تستغرق الإ أياما معدودات بعد إنقطاعها وبعد أن تركزت السلطة فى يديه فى يوليو ١٩٥٤ ، وقعّ بعدها الطرفان إتفاقية الجلاء بالأحرف الأولى [(٢)] رغم أن الرئيس نجيب كان مستبعدا من المفاوضات الجارية كما أنه لم يستشر فى أمرها ، أو يطلب ألية التصديق عليها بعد ابرامها من قبيل إستكمال الشكل .

١- كلمتى للتاريخ ، ص ٢١٤ .

بل إن إعلان الموافقه على الإتفاقية صدر على أنه تمت الموافقة عليهه بإجماع الأراء فى مجلس الوزراء ونشرت بالصحف دون الرجوع إلى الرئاسة أو الوزارة ولم يأبه لإعتراضات فتحى رضوان ، بل أن **محمد نجيب** فى كتابه يذكر إنه لم تتح **لفتحى رضوان** ولا لغيره فرص التعقيب أو المناقشة. وبذلك يستطيع القارىء أن يدرك معدن هولاء الرجال ، رجال الحزب الوطنى من أمثال **سليمان حافظ** أو **فتحى رضوان** وموقفهم إزاء مبادىء الحزب فى " أن الحق لا يتجزأ ، " ولا مفاوضة الإ بعد الجلاء ومبدأ الجلاء الناجز والإستقلال التام لوادى النيل - مصر والسودان والملحقات . زيلغ وهرر ومصوع وأرتيريا .

وفى كتاب أبو الفتح نجد التأكيد على ما كان يتردد من الشروط الأمريكية لمسانده الثورة ، وهى إقامة ديكتاتورية عسكرية حيث يقول[1] " كانت مساندة أمريكا للدكتاتورية معروفة للشعب أو على الأقل لطبقة المتعلمين . فلما ثار الشعب لإعاده **نجيب** والمطالبة بالحياة النيابية كان المصريون يعلمون أن أمريكا لا تحبذ عودة الديموقراطية والحياة البرلمانيه فى مصر.

وقيل وقتها أن السفارة الأمريكية كانت على اتصال دائم عن طريق ليكلاند المستشار الثانى بالسفارة والصديق الحميم **لمحمد حسنين هيكل** **بعبد الناصر** لتحرضه ضد الديموقراطية . وقد قيل أن أمريكا تحبذ الحكم الديكتاتورى فى مصر لعدة أسباب أهمها إقتناعها بأن التفاهم مع شخص واحد أى مع حاكم دكتاتورى أسهل وأيسر بكثير من التفاهم مع حكومة مسئولة أمام برلمان وفى وجود أحزاب للمعارضة "

١- أحمد أبو الفتح " ناصر " ، ص ٥٠٢ .

ومثل هذه المعلومات قد لا نحتاج معها إلى الكثير من الأدلة حيث أن السوابق الأمريكية ، وسياستها فى العالم الثالث ترجح مساندتها للحكومات العسكرية أو الحكام المطلقين الذين يمكن الإعتماد عليهم. مثل حكام دول الخليج أو الحكومات العسكرية أو شبه العسكرية فى أمريكا اللاتينية وكذلك فى آسيا من أمثال ضياء الحق فى باكستان .

ونجد فى كتاب لعبة الأمم أنه قد تم الإتفاق ما بين ممثلى حركة الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر قبل قيامها وبين المخابرات الأمريكية على أن الحكومة المصرية المرتقبة فى ظل الثورة المزمع قيامها لن تسمح بديموقراطية حقيقية لا فى الحال ولا فى المستقبل القريب ، وأن مثل هذه الحكومة تستطيع أن تتستر وراء الشعارات التى تنادى بإعادة بناء الديموقراطيه السليمة ، والإدعاء بضرورة قيام حكومة تمثل الشعب تمثيلا صحيحا وما إلى ذلك من وسائل التعمية والتسويف[1] وقد استمر الحال على هذه السياسة أكثر من أربعين عاما .

ولعل أكثر مايعبر عن سياسة الولايات المتحدة تجاه ثورة يوليو هو التقرير الذى حرره كيرمت روزفلت لدين أتشسون عقب زيارته لمصر زيارة ميدانية قبل قيام الثورة وبعد أن التقى بممثليها ، وقد كان شأنه شأن وزارة الخارجية الأمريكية لايحبذون قيام انقلاب عسكرى فى مصر، رغم أن سفير الولايات المتحدة كافرى فى ذلك الوقت كان لايرى من سبيل آخر لإرساء سياسة أمريكية جديدة إلا تغيير الحكم وإبدالا بالجيش ، وقد نزل كيرمت روزفلت على رأى السفير بعد دراسته للموقف الذى لخصه

١- لعبة الأمم - مايلز كوبلاند ، ص ٥٠ .

فيما يلى: [1].

أولا : أنه ليس هناك أى إحتمال لقيام ثورة شعبية فى مصر كما كانت تتنبأ دوائر وزارة الخارجية الأمريكية لا بواسطة الإخوان المسلمين ولا بالشيوعيين.

ثانيا : ليس هنالك أى وسيلة أخرى لإستبعاد تدخل الجيش سواء قبلنا أو لم نقبل رغم تسليمنا بالنتائج السيئة التى أسفر عنها إنقلاب سوريا وتصرفات قادتها الشاذة . والتى من أجلها فإن مخططى إدارة العلاقات الخارجية الأمريكية أصبحوا يتخوفون من قيام ثورة عسكرية بمصر.

ثالثا : إن الضباط المرشحين للقيام بالإنقلاب لهم تطلعات ثابتة وهم تقليديون بعكس الإعتقاد السابق للدوائر الدبلوماسية بشأنهم من أنهم ضباط غير قابلين للتعامل.

وبهذا فأن فرص نجاحهم سوف تتزايد كما يتوقع سهولة التفاوض معهم كما أنه سوف يكونون أكثر مرونة عند استيلائهم على السلطة.

رابعا : يجب على الحكومة الأمريكية أن تتقبل فكرة إزاحة **الملك فاروق** عن العرش وكذلك الإطاحة بالنظام الملكى، وليس هنالك مايمنع من اتخاذ موقف المعارضة الصورية من جانبنا وهو الدور الذى يلائم السفير **كافرى** الذى سوف يسعده أن يبدى اهتمامه وحرصه على سلامة **الملك فاروق** الشخصية.

١- لعبة الأمم - مايلز كوبلاند ، ص ٥٠ .

خامسا : كما ينبغى أن تمتنع حكومة الولايات المتحدة بعد قيام الثورة عن أى محاولات جدية لإقناع ضباط الثورة اجراء انتخابات نيابية أو إقامة حكومة دستورية أو أى شئ من هذا القبيل وإن تقوم علاقة الولايات المتحدة مع الثورة فى مصر على أساس أنها سوف تنشئ مؤسسات دستورية فى مصر من جديد على انقاض العهد البائد.

سادسا : ومن أجل هذا فإن الحكومة الأمريكية سوف تمتنع تماما عن إدعاء أيه صلة سابقة بهذه المجموعات المتآمرة من الضباط بحيث يبدو الأمر وكأنها ثورة نابعه من الشعب ومتحررة من أى سلطان خارجى أو أمريكى عليها ، وأن دور الولايات المتحدة يقتصر على عدم معارضتنا لقيامها.

وحتى توحد الثورة الشعب من ورائها فلابد من البحث لها عن اعداء طبقا لمبادئ لورد راسل ، ومع استبعاد إسرائيل من قائمة أعداء الثورة فلا بأس من إحلال الطبقات العليا من المصريين كبديل لإسرائيل وكذلك سواء رضينا أو لم نرضى توجيه الكراهية للبريطانيين.

ولعل المثل الذى يشير إليه كيرمت روزفلت منسوبا للورد برتراند راسل هو : " إن الخطر الذى يهدد عامة الشعب هو الذى يستطيع أن يوحد المشاعر فيما بينهم .

وقد أدرك **روزفلت** كما يتضح من مجمل خطابه أن متطلبات الزعامة التى كانوا يتطلعون إلى إيجادها فى مصر والتى وضعوا لها شروطا خاصة من حيث الزعامة وشخصية الزعيم وما يجب أن تكون عليه من جاذبية ومن قبول شعبى هى من الصعوبة بمكان ، ولذلك " فإنهم سوف يضطرون إلى قبول ماهو متاح أمامهم من زعامة محدودة تستطيع أن تملى إرادتها على مجموعة من الضباط وان تسخرهم لإرادتها . ومثل هذه الزعامة سواء ظلت محدوده الأثر بين مجموعتها من ضباط الإنقلاب أنها استطاعت أن تكتسب قبولا شعبيا ، على أية حال من الأحوال فإنها سوف لاتتعدى نطاقها المحلى .

وتأسيسا على هذا فأنه من غير المجدى أن يتم تقييم مثل هذه الزعامة على أساس المقاييس الغربية الصارمة وأنه على الولايات المتحدة أن تهيئ نفسها لقبول التعامل مع هذه الزعامة المتاحة والتى لايمكن التنبؤ بمدى استقرارها فى المستقبل ، فإذا ما إتضح أننا قد راهنا على شخصية لاتستطيع إثبات نفسها ، فأنه من السهولة بمكان استبدالها بشخصية أخرى من رجال الجيش" .

وأهم مايعنينا من تقرير **كيرمت روزفلت** السابق ترجمته ترجمة حرفية هو مدى استخفاف المخابرات الأمريكية بمقادير الدول التى تتعامل معها بحيث اذا ماصادف اختيارهم لرجلهم فى مصر سوءا فى التقدير فلا بأس من إلقائه لمصيره وإنتقاء آخر يكون أكثر مناسبة للدور.

كما أن الدور الذى اقترحته المخابرات الأمريكية للسفير **كافرى** وهو أن يبدى اعتراضه الصورى على الإنقلاب ، وحرصه على سلامة **الملك**

الشخصية توضح مدى رخص استخدامهم للعواطف الشخصية واستعدادهم للإيقاع بالأصدقاء المخدوعين حيث أن كافرى كان يتظاهر بصداقة **الملك** فاروق وبحرصه البالغ على نظامه ، رغم أنه هو الذى كان يقترح دعم حركة الضباط الأحرار فى مصر ورغم معارضة وزارة الخارجية الأمريكية وكذلك المخابرات المركزية بعد تجربتهم الفاشلة فى سوريا .

واذكر فى هذا الصدد ماحدثنى به فيما بعد المرحوم **إسماعيل بك شيرين صهر الملك** عن واقعة تدعو لبالغ الدهشة وقد حدثت قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ بأيام قليلة بالأسكندرية حيث اتصل السفير **كافرى** بالقصر الملكى معربا على أن لديه رسالة هامة وعاجلة **للملك**.

ولم يكن **كريم ثابت** بالقصر فطلب **الملك فاروق** من **إسماعيل شيرين** أن يتوجه إلى عنوان السفير وأن يتعرف منه على ماهية الرسالة الشفوية.

وتوجه **إسماعيل شيرين** بالفعل إليه واذا بالسفير **كافرى** يحذر من وقوع إنقلاب عسكرى وشيك ، وقد اخبرنى **إسماعيل بك** بهذه الواقعة على سبيل التدليل بأن الأمريكان لم يكونوا ضالعين فى الإنقلاب.

إلا أن تقديرى الشخصى لترتيب الأحداث هو أن نجاح الإنقلاب عام ١٩٥٢ لم يكن مؤكدا ، كما أن أسماء الضباط الأحرار تكاد أن تكون معروفة **للملك** ، وكذلك فإن المدة القصيرة التى حذر فيها **كافرى** قبل وقوع الإنقلاب لم تكن لتسمح **للملك** بالقيام باية اجراءات مضادة لقمع الأنقلاب . ولعل السفير كان يريد إستباق الأحداث فإذا مافشل الإنقلاب فإن **كافرى** يكون بذلك قد أظهر ولاءه الخالص لصديقه **الملك فاروق** ، كما

دعم سياسة الولايات المتحدة بمصر، أما فى حالة نجاح الإنقلاب فإن الخطة الأمريكية تكون قد نفذت وفقا لما هو مخطط لها ، ولا مانع من أن يبدى كافرى تعاطفه وحرصه على سلامة الملك وخروجه من مصر تحت حمايته ، ثم تبدأ العلاقة الوثيقة بعد ذلك بأبنائه من ضباط الإنقلاب كما كان يدعوهم my boys .

وبهذه الثورة تكون الولايات المتحدة قد حققت أهدافها فى تدعيم نفوذها فى مصر ، وإقامة السلام فى ربوع المنطقة لصالح إسرائيل حيث أنه من الثابت تماما أن العداء مع إسرائيل لم يكن على رأس قائمة الثورة كما تكون الولايات المتحدة كذلك فى أول طريقها الصحيح للتخلص من حليفتها اللدودة بريطانيا ، وأن يتم لها ما كانت تخطط له منذ حقبة كاملة من الزمان وإبتداء من أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ من انتزاع بريطانيا من آخر معاقلها فى المنطقة . وقد اتاحت لهم شخصية الزعيم عبد الناصر أهم أهدافهم فى إبرام معاهدة الجلاء عام ١٩٥٤ والتى تم بمقتضاها خروج الإنجليز من مصر ، وهى معاهده لا ترقى فى شروطها إلى المعاهدات السابقة التى كانت الأحزاب ما قبل الثورة تعارض فى قبولها مثل معاهدة صدقى بيفن . خضوعا للمزايدات ولرفض الشعب لها . وربما تكون هذه الأحزاب قد أخطأت خطيئتها الكبرى فى الإنصياع لفئة مدفوعة من الشعب المجهَل بدلا من أن تقوده إلى الرأى الأفضل لصالح الوطن .

إن صلة الثورة بالمخابرات الأمريكية قبل قيامها لا شك فيه وأن ما سبق أن قدمته من أدلة إنما هى على سبيل المثال لا الحصر ، لأننى قد التزمت فى هذا الكتاب أن لا أتقدم بدليل ليس له وجود فى مذكرات الضباط من أعضاء مجلس الثورة أو من الضباط الأحرار . وقبل أن أنتقل

من هذه الجزئية وهى علاقة المخابرات الأمريكية بالثورة قبل قيامها فأننى أود أن استشهد بما جاء فى كتاب **حسين حموده** وهو أيضا من الضباط الأحرار الذين كانوا من زملاء **جمال عبد الناصر** فى خلية الإخوان المسلمين الرئيسيه الممثلة للجيش ، حيث يقول فى كتابه أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين ما نصه (١) أن الأمريكيين " حاولوا الإتصال بالجيش عن طريق الملحق العسكرى الأمريكى بالسفارة الأمريكية بالقاهرة والذى كان بحكم وظيفته على إتصال بوزارة الدفاع ".ثم يستطرد ليقول " وقد حضر كاتب هذه السطور شخصيا عده اجتماعات فى منزل الملحق العسكرى الأمريكى بالزمالك مع **جمال عبد الناصر** وكان الكلام يدور فى مسائل خاصة بالتسليح والتدريب والموقف الدولى والخطر الشيوعى على العالم بعامة والشرق الأوسط بخاصة ، وأن الولايات المتحده ستساند أى نهضه تقوم فى مصر . لأن بقاء الحال على ما هو عليه فى مصر ينذر بإنتشار الشيوعية وهذه الإتصالات بالسفارة الأمريكية كانت فى الفتره من عام ١٩٥٠ - ١٩٥٢ ميلادية ".

وصلة **حسين حموده بجمال عبد الناصر** ثابته فى كل مذكرات رجال الثورة بما لا يمكن إنكاره .

وكما سبق أن ذكرت فإن آباء ثورة يوليو كثيرون وأن المخابرات المركزية الأمريكية تمثل أهم أصول الثورة من واقع شهادة الضباط الأحرار أنفسهم قبل أن تكون من واقع المؤلفات الأخرى .

ولعلنا بعد هذه النبذة السريعه ننتقل إلى آباء الثورة الآخرين ومن أهمهم أيضا الإخوان المسلمين .

من آباء ثورة يوليو ١٩٥٢

ثانيا : الإخوان المسلمون

وعند قيام الثورة ١٩٥٢ فقد دخل فى روع الشعب أن الحركة إخوانية قام بها الضباط الموالون للجماعة ، وبدعوى فساد الأحزاب وضرورة إقامة حياة ديموقراطية سليمة فقد كلفت الثورة **سليمان حافظ** باعداد مشروع تنظيم الأحزاب السياسية ، وقد صدر القانون الذى كان ينطوى فى حقيقته على إنهاء العمل السياسى فى مصر ، وإلغاء الأحزاب السياسية .

ولم يستثنى من هذه الأحكام إلا جماعة الإخوان المسلمين باعتبارها جمعية تخرج من نطاق الأحزاب السياسية ، كما شاء لهم الهوى والتخريج فى ذلك الوقت .

وكما كان السفير الأمريكى **كافرى** يحتضن السادة الضباط الأحرار أعضاء مجلس الثورة مدعيا أنهم أبناؤه ، فقد كان المستشار **حسن الهضيبى** مرشد الإخوان المسلمين يتصور أن الحركه إن لم تكن إخوانية لحما ودما ، فقد قامت وهى ترتكز عليهم ، وإن جماعة الإخوان هم مقومات حياه الثورة ، وركيزتها الشعبية الوحيدة .

ولم يكن الرجل يتكلم من فراغ ، فإن أغلب أعضاء مجلس الثوره بما فيهم **جمال عبد الناصر** هم أعضاء فى جمعية الإخوان المسلمين ، بل أنهم ينتمون إلى خلايا الحركة السرية الضالعة فى الإرهاب . وقد سبق لهم

أن بايعوا على فداء الدعوة الإسلامية بحق المصحف والمسدس فى عام ١٩٤٦. ويذكر كتاب **حسن حموده** " أسرار حركة الضباط الأحرار"[١] أنه فى ليلة واحدة قادهم **صلاح خليفة** إلى منزل فى حى الصليبه بجوار سبيل أم عباس حيث صعدوا إلى الدور الأول ، ونقر صلاح خليفه على الباب نقرة مميزة ، وقال الحاج موجود؟ وكانت هذه كلمة السر ففتح الباب ودخلوا حجرة بها ضوء خافت جدا مفروشة بالحصر ، وفيها مكتب على الأرض ليس له أرجل .

ثم قادهم **صلاح خليفه** واحدا بعد الآخر لأخذ العهد وحلف اليمين فى حجره مظلمة تماما يجلس بها رجل مغطى بملاءه لا تعرف شخصيته، وكان سؤال هذا الشخص المتخفى الذى يأخذ العهد " هل أنت مستعد للتضحية بنفسك فى سبيل الدعوة الإسلامية وإعلاء كلمة الله " ؟

وكان المبايعون فى هذه الليلة الليلاء هم :

١-اليوزباشى عبد المنعم عبد الرؤوف

٢-اليوزباشى جمال عبد الناصر حسين

٣-الملازم أول كمال الدين حسين

٤- الملازم أول سعد حسن توفيق

٥- الملازم أول خالد محى الدين

٦- الملازم حسين محمد أحمد حموده

٧- الملازم أول صلاح خليفه

١- اسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين - حسين حموده ، ص ٣٥ .

وقد أقسموا جميعا على البيعة وأيديهم على كتاب الله والمسدس .

ولم تكن هذه البيعة التى ضمت أربعة من مجلس الثوره هى القائمة الوحيدة من بينهم الذين إنضموا إلى هذه الجماعة، وانما يسبقهم **حسين الشافعى** أيضا ، وأن تنصل فى كتابه من حدوث البيعة بالنسبة له أو للأخرين من أعضاء مجلس الثورة ، كما كان **رشاد مهنا** ضالعا معهم وكذلك **البغدادى وحسن إبراهيم** .

بل إنه من الثابت أيضا أن **جمال عبد الناصر** قد إنضم إلى التنظيم السيرى بالجماعة ، برئاسه **عبد الرحمن السندى** ، الذى أفسده **جمال عبد الناصر** فيما بعد بتأليبه على زعامه المستشار **الهضيبى** . كما أن **عبد الناصر** والإخرين كانوا يدربون شباب الإخوان المسلمين فى صحراء حلوان وجبل المقطم وفى محافظه الشرقية ومحافظة الأسماعيلية على الأسلحة الصغيرة ، والقنابل اليدوية وأساليب النسف والتدمير باصابع الجلجنيت وزجاجات مولوتوف .(١)

وكان هؤلاء السبعة من الضباط السابق الإشارة اليهم يكونون الخلية الرئيسية فى تنظيم الإخوان المسلمين داخل القوات المسلحه ، وظلت هذه الخلية تعمل سرا أكثر من أربع سنوات لضم أكبر عدد من الضباط إلى صفوف هذا التنظيم السرى . وجدير بالذكر أن ما ورد فى كتاب **خالد محى الدين** بخصوص البيعه يتفق ولا يختلف مع ما سبق أن أوردته فعلا نقلا عن كتاب **حسين حموده** ، والتى جرت بحى الصليبه بحق المصحف والمسدس وكذلك ما ورد فى كتاب **خالد محى الدين** بخصوص

١- كتاب – حسين حموده ، ص ٣٦ .

ضبط كتاب من كتب الجيش الممنوع تداولها للأفراد المدنيين والتى يقتصر توزيعها على ضباط الجيش لدى الجهاز السرى للإخوان المسلمين ، وهو كتاب عن كيفية إستخدام القنابل اليدوية ... وفى أعلى الصفحة الأولى للكتاب وجد أسم اليوزباشى **جمال عبد الناصر** ويستطر **خالد** فى كتابه ليقول :

" وأثارت هذه الواقعة مخاوف الحكم سنه ١٩٤٩ من أن يكون للإخوان إمتداد داخل القوات المسلحة ، وبالفعل ولفرط أهتمام الحكم بهذا الموضوع تولى التحقيق فيه **إبراهيم عبد الهادى** رئيس الوزراء بنفسه ، وهكذا استدعى **جمال عبد الناصر** ومعه الفريق **عثمان المهدى** رئيس أركان حرب الجيش لمقابلة رئيس الوزراء ، وسأله **عبد الهادى** : هل هذا الكتاب لك؟ فقال نعم وسأله هل لك علاقه بالإخوان ؟ فقال كنت أعرف ضابطا منهم أسمه **أنور الصيحى** ، **وقال عبد الهادى** : ولمن سلمت هذا الكتاب ؟ فقال **عبد الناصر** استعارة **أنور الصيحى**" الذى أستشهد فى حرب فلسطين[١] والذى لم يذكره الكتاب لأن **عبد الناصر** ما كان ليدلى به ، وقد علمته شخصيا من المغفور له **إبراهيم باشا عبد الهادى** إنه كان يؤدى واجب العزاء فى ذلك اليوم المذكور وقد إضطر للمشى فى الجنازة طويلا ، وقد أنهكه التعب وخصوصا لأنه كان مريضا بنسبه عالية من داء السكر. وكان مضطرا أن يأكل أى مواد سكريه بصفه عاجله ، وشاء له كرم خلقه وسماحة نفسه أن يدعو الضابط الصغير المتهم أمامه **جمال عبد الناصر** الذى كان يقف راجفا أن يقاسمه الأكل وكأنه يتمثل ببيت **أبى الطيب المتنبى** حينما يقول .

١- والآن اتكلم - خالد محى الدين ، ص ٥٨ .

ولقد أشهد الطعـــــام معى من لا يساوى الخبز الذى أكـــله

إلا أن **عبد الناصر** أعتذر شاكرا وأستمر فى إنكاره لاى صلة بالإخوان ، وتشفع لدى الباشا بأن له أسره وليس له أى مورد مالى آخر غير مرتبه . ونظر الباشا فى أسرة وهو يقف بغير نصير أو شفيع، وكان ملفه نظيفا فى ذلك الوقت ، بينما كان **الملك** فى هذه الأثناء يطلب من الباشا التنازل عن التحقيق العسكرى الذى أدين فيه ضابط آخر من رجال الحرس الحديدى هو **مصطفى كمال صدقى** رغم ثبوت ما كان يوجه إليه من تهم .

وبحدب الأب الكريم وغضبا من وساطة **الملك لصدقى** التفت **عبد الهادى لجمال** وأمره أن يذهب ولا يعود لمثل هذا الإهمال ثانية .

إلا أن طبيعة **جمال عبد الناصر** غلبته على أمره بعد قيام الثورة فهو يحكم على **إبراهيم باشا** العظيم بتهمه الخيانه العظمى .

ولعل القارىء يذكر علاقة جماعة الإخوان المسلمين بالضباط الآخرين من نواة الطيران من خلال الصفحات الأولى من هذا الكتاب ، وهو ما جاء بكتاب **صلاح الإمام** " **وجيه أباظه** يتذكر " ولعل القارىء أن يتذكر أيضـا مـدى توثق العلاقه بين مرشد الجماعـــة **الشيخ حسن البنــا وأنور السادات** ، وكيف أن **الشيخ حسن** قد يسر له لقاء **عزيز باشا المصرى** سنة ١٩٤٠ وهى نفس السنة التى كان **السادات** قد تعرف فيها على الشيخ، وكان لقاءاً دبره الشيخ فى عيادة دكتور من أتباع الجماعة ويعمل

وكيلا للإخوان المسلمين **بالسيدة زينب** وأسمه **إبراهيم حسين** [1] كما يذكر القارىء أن **خالد محى** الدين كما سبق القول قد أورد قصه المبايعة على [2] المصحف والمسدس وكذلك فعل **كمال الدين حسن** وفقا لما أورده فى كتاب **"الصامتون يتكلمون"** ومن واقع خطاباته المتبادلة مع **عبد الحكيم عامر** حيث يوجه الحديث اليه ليقول "وأنت تعلم الظروف التى جمعتنا **بجمال عبد الناصر** ، وتعلم أننا حلفنا على المصحف والمسدس فى حجرة مظلمة فى حى صليبة مع المرحوم **السندى**[3] ونجد فى صفحه أخرى[4] من الكتاب خطاب من **عبد الحكيم عامر** يحذر فيه **كمال الدين حسين** من الإنصياع لسياسة الإخوان المسلمين بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٦٥ وقد جاء بالخطاب " فكر فى الأمور بعيدا عن المؤثرات ... الخ" "وقد وجدوا فى شخصك الأمل الذى يحقق لهم الأمل وهذه الأهداف، فهم يدعّون الكلام باسم الحق وهم لا يريدون إلا الباطل" . ونخلص من ذلك أن ضباط مجلس الثورة كانوا متأثرين ولاشك بإسلوب جماعة الإخوان المسلمين ، بل أنهم بايعوا الشيخ على الفداء فى سبيل الدعوة ، كما كان **كمال الدين حسين** يوزع كتب **السيد قطب** فى الوقت الذى كان **عبد الناصر** ينفذ فيه حكم الإعدام .

والذى أستطيع أن أستخلصه وبسهولة فى هذا المجال أن جماعة الإخوان المسلمين كانت متصلة بكل بؤر الإجرام فى مصر ، فهى الأخطبوط الذى يمد أذرعه الطويلة فى كل الجمعيات الإرهابية التى تتستر برداء

١- البحث عن الذات . ٢- والآن اتكلم - خالد محى الدين ، ص ٤٥ .

٣ ، ٤- الصامتون يتكلمون ، ص ٩٨ ، ٨٣ .

الدين ، وكذلك بالشيوعية[1] ، كما تسللوا لجميع الأحزاب بمصر عن تخطيط وتدبير ، كما كانت لهم أوثق الصلات بالشخصيات الخطيرة التى أنغمست أيديها في الدماء من أمثال **عزيز باشا المصرى وعبد العزيز** على رئيس التنظيم العصابى للحزب الوطنى القديم، وهما أيضا من آباء الثوره شأنهما شأن الجماعة ، وقد تتلمذت حركه الضباط الأحرار على أيديهما وعلى أيدى الجماعه .

ولقد آليت على نفسى أن لا أورد من البراهين إلا ما تحتويه كتب ومذكرات السادة الضباط أنفسهم من رجال مجلس قيادة الثورة. ويجد القارىء دائما الإشارة إلى هذه المراجع وصفحاتها فى كل الوقائع المهمة التى نسبتها اليهم .

فإذا ما تزيدت بكتاب أو بآخر من المصادر المحلية أو الخارجية، فلم يكن ذلك إلا إستكمالا للموضوع ومن قبيل تأكيد ما سبق أن أوردته مذكراتهم ، فمذكراتهم تنم عليهم .

١- صلاح نصر - ثورة ٢٣ يوليو بين السير والمصير جزء أول ، ص ١٥٩ .

من هم آباء الثورة

ثالثاً : التنظيم الإرهابى الملكى : "الحرس الحديدى"

لا شك أن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ كان نقطه تحول فاصلة فى تاريخ مصر وفى سلوك **الملك فاروق** نفسه ولم يكن الملك قد أكمل الثانية والعشرين من عمره ، فبعد إستقاله حسين باشا سرى فى ٢ فبراير ، أستدعى الملك رؤساء الأحزاب والزعماء للتشاور فى تأليف وزارة قومية نظرا لخطورة الموقف وظروف الحرب ، وكان الإتجاه يدور حول تكليف النحاس باشا أو أحمد باشا ماهر برئاسه الوزارة .

إلا أنه لظروف **الدكتور ماهر الصحية** فقد كان الأختيار يكاد أن يكون محصورا فى النحاس لرئاسه الوزارة القومية . إلا أن **النحاس باشا** رفض فكرة تشكيل وزارة قومية مصرا على أن تكون وفدية صرفه

وفى هذه الأثناء أتصل السفير البريطانى سير مايلز لامبسون برئيس الديوان وأبلغه أن حكومته ترغب أن يؤلف **النحاس** الوزارة الجديدة على أية حال ، ورأى **الملك** فى هذا التصرف تدخلا فى أخص خصائصه الدستورية [١] . كما كان النحاس كما سبق الذكر مصرا على أن لا يشكل إلا وزارة وفدية بكاملها .

وعندما تأخر **الملك** فى الإستجابة لتشكيل الوزارة بالشكل الذى يراه **النحاس باشا** ، فقد طلب السفير البريطانى مقابلة رئيس الديوان الملكى وسلمه إنذاراً نصه كالآتى :-

---

١- مذكرات فى السياسة المصرية ، جزء ثان ، د. محمد حسين هيكل ، ص ٢٣٧ .

" إذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساءً أن **النحاس باشا** قد دُعى لتأليف وزارة فإن **الملك فاروق** يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث.

وإزاء هذا الإنذار فقد أستدعى الملك رؤساء الأحزاب ورئيس مجلس الشيوخ والنواب ورؤساء الوزارة السابقين ، وأخطرهم بالإنذار ثم تكلم **الملك** فقال :

"لقد دعوتكم لتداولوا في الموقف بعد أن سمعتم الآن تفاصيل ماحدث . وأطلب إليكم أن تقصدوا بمداولاتكم إلى مصلحة مصر وحدها ، ولا تجعلوا لاي اعتبار آخر حسابا إنني مستعد فيما يتعلق بشخصي أن أضحي بكل شيء . فلا شيء يعنيني غير مصلحة مصر وكرامتها واستقلالها"[١] ولقد حاول المجتمعون تفويت الفرص على السفير الإنجليزي وإقناع **النحاس** بتأليف وزارة قومية أوئتلافية الا أنه كان مصراً على جعلها حزبية صرفة.

وفي الموعد الذي حدده السفير قدم إلى قصر عابدين واقتحمت دبابة بريطانية الباب الخارجي الحديدي للقصر ودخلت فناءه . وقد صعد السفير البريطاني ومعه قائد القوات البريطانية تتبعهما قوة مسلحة من الجنود في يدهم مسدساتهم قد شهروها ودخل السفير والقائد على الملك في غرفة مكتبه ومعه رئيس ديوانه [٢] وقدم إليه ورقة تنازل عن العرش وطلب اليه توقيعها ولم يتخاذل الملك كما يحلو للسفير أن يصفه في كتابة أو كما تناقلت بعض الكتب عن السفير أو غيره . " فقد قال الملك للسفير أنني مستعد لتوقيع هذه الوثيقة التي قدمتها إلى ، وأنت توافقني على

---

١ ، ٢- الجزء الثاني من مذكرات د.هيكل ص ٢٣٤
الوصف منقول عن كتاب د. هيكل

أنها وثيقة تاريخية خطيرة ، فليس يجوز أن تكتب على ورق عادي كهذا الورق المكتوب عليه ، فيحسن أن أكلف من يكتبها على ورق لائق بأن أضع توقيعي عليه وعجب السفير لهذا الهدوء الذي يبديه ملك شاب يطلب إليه بقوة السلاح والدبابات أن يتنازل عن عرشه ، وارتج عليه القول فلم يجدمايجيب به . وانتهز الملك الفرصة فقال وهل لي أسألك عن السبب الذي دعا لكتابة هذه الورقة ؟ لقد كلفت **النحاس باشا** منذ أمس ان يؤلف وزارة قومية إقتناعا مني بأن تاليف وزارة قومية في الظرف الحاضر يكفل سلامة مصر بوصفها قاعدة حربية أكثر من قيام وزارة حزبية وكنت أحسب هذا يحقق المصلحة التي تبغيها انجلترا فأن اصررتم على أن يؤلف وزارة حزبية فسأكلفه كطلبكم بتأليف هذه الوزارة ".

عند ذلك لم يجد السفير محلا للإصرار على ماطلب فانسحب وانسحب قائد القوات البريطانية معه وصدرت الأوامر إلى القوات المحاصرة للقصر بالعودة إلي قواعدها وقد يحلو للبعض أن ينحي بالآئمة على الملك أنه لم يرفض الإنذار البريطاني وأن يتحمل النتائج أيا كانت ، ولقد كانت أمنية انجلترا أن تتخلص من **الملك فاروق** الذي كان يمثل روح المقاومة للاستعمار في ذلك الوقت ، لتأتي بآخر مثل **الأمير محمد علي** وهو تركي أكثر منه مصري . الا أن الذين يؤرخون للعصر لابد وأن يدركوا منطق القوة وسلطان الأستعمار الغاشم، وقد قاومه الملك بأقصى ما يستطيعه رجل عاقل يدرك مسئولياته وتبعات الملك وحيدا أمام أكبر قوة في العالم في ذلك الوقت وفي شعب كان يهلل للوزارة المرتقبة سعيداً بأنتصار **النحاس** علي ملك البلاد . ولعل قبول **النحاس** بتأليف الوزارة يرجع

أيضاً لفرطه حرصة علي مصلحة وطنة من وجة نظره وكذلك مصلحة العرش وإنهاء محاولات الإتصال بالمحور.

والوصف الذي أوردتة عن مقابلة الملك بالزعماء وكلمته بينهم مأخوذ عن كتاب **الدكتور هيكل باشا** وهو المؤرخ الذي يتسم بالصدق والموضوعية ، رغم ماأعلمة تماماً من عدم تعلقة بشخص الملك ذاته فحديثة لا يتطرق إليه شك في موقف الملك إزاء الازمة وتشاوره مع الزعماء . وطلبه إليهم أن يدلوا برأيهم ناظرين إلى مصلحة مصر ومصر وحدها ، وأن لا يجعلوا لأي اعتبار آخر حسابا ًوأنه لا يعنيه إلا مصلحة مصر وكرامتها واستقلالها . ومثل هذا الكلام الذي آورده **الدكتور هيكل** في كتابه من حديث الملك هو لا شك فيه حيث أنه كان شاهد عيان ومستمع للحديث .

أما الزعماء فقد هالهم هذا الأعتداء الصارخ على إستقلال البلاد وكرامة مصر وسيادتها وعرشها ، وبلغ ببعضهم التأثر والثورة العارمة حتى أن بعض الشيوخ الأجلاء لم يملك عبرته - فماذا كان من أمر الشعب؟ يقول **هيكل باشا** " في صبيحة اليوم السادس من فبراير ، ذهب رئيس الوزراء إلى دار الرياسة وذهب الوزراء إلى مكاتبهم ، فإذا العاصمة تستقبل هذه الوزارة بمظاهرة الغبطة والإبتهاج وكأن لم يكن إنذار بريطاني، وكأن لم تكن "مأساة ٤ فبراير ويستطرد الدكتور **هيكل** ليقول " عند ذلك تصورت السفير البريطاني وقد جلس إلى مكتبه مبتسما يردد كلمة الخليفة الإسلامي الثاني " هان أمر أصلح به قوما أن أبدلهم أميرا مكان أمير ".

وكما كان وقع الحادث على زعماء مصر بالغ العنف فقد كان الأمر كذلك في الجيش المصري حيث كان الملك **المفدي فاروق الأول** كما كان

يحلولهم وصفه يمثل الوطنية والرمز حيث لم تكن شخصيتة قد تحولت بعد إلي ما أصبح عليه بعد الحادث من الإستهتار ونزعه إلي الإنتقام.

ولم يكن **الملك فاروق** لينسي ثأره ، ولم يكن السفير البريطاني المتعجرف ليغفل عما يعتمل في صدر الملك من ثورة ورغبة عارمة في الإنتقام ، وطعن الإنجليز في ظهورهم ما اتيحت له الفرصة ، فنري أن **سيرمايلز لامبسون** يسجل في كتابة أنه بمعرفتة الشخصية **بالملك فاروق** أيقن مدى تزايد بغضة للبريطانيين ومدى رغبته في تصفية حسابه عند ماتتاح له الفرص .

ويعلق **وليم ستاديم** على أقوال **سيرمايلز لاميسون** السابقة ليقول أن أقوال هذا السفير المتعجرف قد تحققت وكأنها نبوءه[1] .

وهكذا فقد كوّن الملك تشكيلة العصابي من المدنيين والعسكريين وكان حادث ٤ فبراير هو الأمر الذي يملك عليه تفكيره بحيث أصبح جل همه يدور حول تصفية حسابه مع السفير من جهة بالوسائل الدبلوماسية والتقرب للزعماء الأمريكان ومحاولة التودد للرئيس الأمريكي ، وكذلك الساسة البريطانيين أيضاً وقد نجح في ذلك بإزاحة السفير من مصر كما قطع السبيل أمامه في التعيين لمنصب نائب الملك في الهند بعد أن كان **تشرشل** نفسة يمنيه بهذا الترشيح .

أما بالنسبة للمصريين الذين تورطوا في حادث ٤ فبراير فقد قضي بقية أيامه في العرش وحتى عام ١٩٥٢ وهو يتعقبهم سواء بأقالة

١- كتاب - غني جداً Toq Rich وليم ستاديم ص ٢٦.

أما بالنسبة للمصريين الذين تورطوا في حادث ٤ فبراير فقد قضي بقية أيامه في العرش وحتى عام ١٩٥٢ وهو يتعقبهم سواء بأقالة الوزارات الوفدية كلما أتيحت له الفرصة في ذلك. رغم أنها الوزارات التي كانت تتألف بقوة اختيار الشعب التفاهة حولها بحيث كانت هذه الوزارات تفرض عليه فرضاً.

ومن ناحية أخرى فقد كان يلاحق **النحاس باشا** بمحاولات الأغتيالات المتكرره كما تمكن بالفعل من إغتيال **أمين عثمان** رجل الأنجليز في مصر والوزير الوفدي الذي كان يحملة بعض المسئولية عن حادث ٤ فبراير.

ويقول **خالد محي الدين** في كتابة أن الملك كان حتى منتصف الأربعينات محبوباً من الجيش وكان البعض منهم يعتبر أن ولاءه للملك هو جزء من ولائه لمصر ، وقد زاد في شعبيته ما يعهدونه عنه من بغض للإستعمار وبذلك فقد كانت الظروف مهيئة **للدكتور يوسف رشاد** طبيب الملك الخاص لإقامة تنظيم إرهابي يأتمر بأمر الملك وموجة ضد من ينسب إليهم تهمة العماله للإنجليز [1] ولم يقتصر التنظيم على الأشخاص المعروفين من امثال **مصطفي كمال صدقي أو أنور السادات أو حسن عزت أو حسن فهمي عبدالمجيد وخالد فوزي وسيد جاد** وحدهم من رجال الحرس الحديدي بل أن التنظيم كان يضم العديد من رجال الجيش وبعضهم من الضباط الأحرار الذين لم يكشف بعد النقاب عن أسمائهم ، ولعل صفحات هذا الكتاب السابقة تلقي بعض الضوء علي بعض الأسماء الأخرى . ونجد أن **خالد محي الدين** في كتابة "والآن اتكلم" يلاحق **عبدالناصر** بالشبهات في بعض الصفحات ثم يدعي براءته تماماً ثم يعود لتأكيد هذه الشبهات

١- والآن اتكلم - خالد محي الدين ص ٦٤.

من جديد ففي صفحة ٥٣ حيث وعده **عبدالناصر وعبدالمنعم عبدالرؤوف** بانهما يستطيعان تدبير عمليه إلغاء نقلة لسلاح الحدود وإعادته إلى سلاح الفرسان وبأسرع مايمكن، وعندما أبدى **خالد** دهشته ، قال أن النقل سيلغي بواسطة القصر الملكي وتحديداً بواسطة **يوسف رشاد** ، ولما أبدى **خالد** المزيد من الدهشة شرح له **جمال عبدالناصر** بأن **يوسف رشاد** أرسل لهما رساله يبدى فيها استعداده للتعاون معهما . ويقرر **خالد** في هذا الموضع أن **عبدالناصر** لم يلتق ابد **بيوسف رشاد** وأن تعاملة معة كان عن طريق آخرين منهم **عبدالمنعم والسادات ومصطفي كمال صدقي** . إلا أنه في الصفحة التالية" يقول أن هذه الواقعة ماتزال تحيره حتى الآن". ويقول أن المهم هو أن المعجزة تحققت ، وعلى غير المألوف فإنه لم يبق في سلاح الحدود سوي شهرين أو ثلاثة . وفي الصفحة التالية يقول أن **عبدالناصر** طلب اليه أن يكف عن أي نشاط ، وقال لقد عرفوا اسمك ولابد إنهم سيراقبونك "لاننا نحن الذين رشحناك ، وإن كنا قلنا لهم ونحن نقدم لهم إسمك إنك مجرد ضابط جدع ويمكن الإعتماد عليك " (١).

وكلمة الترشيح الواردة في السطور السابقة وأمكان الإعتماد عليه من قبل الحرس الحديدي يطرح كثيرا من التساؤلات !!! والعجيب في الأمر أن رجال الحرس الحديدي كانوا محل تكريم الثورة كما أحيطت اسماؤهم بالسرية البالغة ما أمكن ذلك وهكذا يجد القاريء أن الملك حينما أعماه طلب الثأر فقد خرج عن حدود التعقل والشرعية بحيث تحول إلى رئيس لعصابة ، يختبئون تحت عباءته وينعمون بحمايته بين صفوف الجيش، كما ترتد بعيدا عنهم أعين رجال الأمن - اليسوا رجال ولي النعم؟ اليسوا حرس الملك الحديدي ؟

١- كلمتى للتاريخ ، ص ٥٣ .

وهكذا إنماعت الشرعية وتحللت المسؤلية وأصبح ملك البلاد والذي يناط به أمنها وسلامتها هو الذي يروعها بعصابته من القتلة والسفاحين. ومثل هذه الأوضاع المقلوبة لابد وأن تصل إلى نهايتها الطبيعية حينما إستشعر أفراد التنظيم أهميتهم وقدرتهم ونفوذهم فقد تحولوا بولائهم من ولي النعم إلى ذواتهم الشريره حيث لا يقف أمام سطوتهم قوة أو سلطان أو قانون .

ومع تطور الزمن وتطور الأحداث فقد الملك أيضاً هبة الزعامة التي بدت أروع ماتكون في لقائه مع زعماء البلد أثناء حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، كما فقد ثقته بالشعب وأصبح لا يستطيع التميز في تعاملة بين الزعماء الأجلاء وبين أدواته من الحاشية الفاسده ورؤوس العصابات وقد روي لي المغفور له **إبراهيم عبدالهادي** أنه حينما كان رئيسا للوزراء ١٩٤٩ ، وكان في صحبة الملك عند سفره بالقطار ، وإذا بمجموعة من الشعب البسيط رأت الملك فهرعت لتحيته بحماس بالغ من القلب وكان الملك مايزال يحظي بشئ من الحب وإن كان قد بدد القدر الأكبر من رصيده في نفوس الشعب وإذا بالملك يدفعهم ملوحا بعصاه الصغيرة وهو يردد " إمشي ياولد ، إمشي ياولد" ثم التفت إلى **إبراهيم باشا** ظانا أن الوزارة هي التي رتبت هذه المظاهرة الصغيره لتحيته وقال له بخبث لقد أحسنتم الترتيب ويقول **إبراهيم باشا** أنه ادرك في هذه اللحظة أن الملك قد إنتهى لأنه لم يكن ليستطيع التمييز بين العواطف الصادقة وبين النفاق وبين الإندفاع العفوى والتدبير المأجور، كما إنه أساء الظن أيضا حينما توهم أن رجلا مثل **إبراهيم عبدالهادي** يلجأ لمثل هذه الوسائل الرخيصة لتحية الملك.

إلا أننا في النهاية نعود لنقول أن مصير الملك كان قد تحدد بعد أن أصبحت الولايات المتحدة هي القوة المحركة للعالم . فهي بطبيعتها لا تستسيغ التعامل مع الملوك .

وأعود لإكرر أن رجال الحرس الحديدي في ظل الثورة قد لاقوا كل تكريم كما عوملوا معاملة خاصة حيث توسط **عبدالحكيم عامر** لدى **سارباكس** المليونير اليوناني وصاحب شركة مصايد الأسماك بالغردقة لتعين الدكتور **يوسف رشاد** مستشاراً بالشركة مصاد الأسماك حتي نهاية عمره – كما جاملت الثورة أبن الدكتور بقبوله بالكلية الحربية معفياً من كشف الهئية كما وجدت الأسماء الغير المعروفة على المستوى الشعبي من رجال الحرس الحديدي طريقها إلى أعلى درجات الحكم في مصر ولا نزيد سواء في عهد **عبدالناصر أو أنور السادات** .

رابعـاً : الجناح المتطرف للحزب الوطني بزعامة عبد العزيز علي هو كذلك من أباء الثورة .

وقد يعجب القاريء من هذه الحقيقة الثابتة التي تأخر العلم بها ردحا طويلا من الزمان ولقد أوضحنا دور **عبدالعزيز علي** في قيام الثورة، ولا شك أن عصابته كانت لها دورها الفعال في قيامها فكما سبق ذكره في معرض هذا الكتاب أن الحزب الوطني القديم لم ينعم بزعامة مقبولة ومؤثرة منذ وفاة مؤسسة الأول الزعيم **الخالد مصطفي كامل** باعث النهضة الوطنية في مصر . وعقب وفاتة خلفه في الرئاسة **محمد فريد** الذي يموت في منفاه بالخارج ، ثم يترأس الحزب بعد ذلك **حافظ باشا رمضان** وهو من طراز معتدل من الزعماء الذين لا يربطهم بمبادىء الحزب الوطني في ذلك الوقت أدنى وشيجة ، فمبدأ الحزب هو " **أن الحق لا يتجزأ**" . "**ولا مفاوضه إلا بعد الجلاء**" ومبدأ الجلاء الناجز والإستقلال التام لوادي النيل – مصر والسودان والملحقات زيلع وهرر ومصوع وأرتيريا [1].

ورغم أنف الحزب الوطني المهلهل والقائم على مثل هذه المبادىء الجامدة والتي عفا عليها الزمان يشارك **حافظ باشا رمضان** في كل وزارة اتحت له منذ وزارة **محمد باشا محمود** سنة ١٩٣٧ ثم مع **حسن باشا صبري** في يونيو ١٩٤٠ ، ثم تولى وزارة العدل ثلاث مرات أولها في وزارة **أحمد باشا ماهر** في أكتوبر ١٩٤٤ ثم في وزارة **ماهر باشا** الثانية ١٩٤٥ ثم في وزارة **محمود فهمي النقراشي** في فبراير ١٩٤٥ [2].

١،٢- الثائر الصامت – عبد العزيز علي ص ٢٠، ص٢٩.

ويقرر **عبدالعزيز** علي في كتاب الثائر الصامت) أن الحزب الوطني كان في مدة رئاسة **حافظ باشا رمضان** ضعيفاً مفككاً، فقد قاعدته الشعبية وأصبح على حد تعبيره مكسور الجناح وكان الأمر كذلك بالفعل - ولعل الحزب الوطني لم ينعم طوال عهده بزعامة فعلية منذ وفاة مؤسسة **مصطفى باشا كامل**، فهو بذلك الرئيس الوحيد الذي مارس رئاسة شعبية فاعلة للحزب منذ نشأة الحزب إلى أن فافت روحة في ١٩٠٨/١٠/١٠ وظل الحزب مبني بغير روح ولا رئاسة حتى قيام الثورة ١٩٥٢ وحل الأحزاب السياسية.

ويرى القارئ إنه رغم مبادىء الحزب فقد قبل **حافظ باشا رمضان** المشاركة في وزارات ائتلافية كان جل همها هو حل القضية الأساسية وهي استقلال وادي النيل بمصره وسودانه عن طريق التفاوض وبذلك تكون زعامة الحزب الوطني في واد والحزب ذاته في وادٍ آخر، وكما سبق أن ذكرت في الصفحات السابقة من هذا الكتاب أن شباب الحزب لم يكن راضيا على مسلك رئيس الحزب الذي إنتهك مبادئة الأساسية بقبول مبدأ التفاوض مع الإنجليز .

ولم يكن رئيس الحزب ليأبة لمثل هذه الأعتراضات بل أنه قد قبل الإشتراك في وزارة **أحمد باشا ماهر** الذي كان يجهر برأية في ضرورة أن تدخل مصر الحرب العالمية الثانية إلى جانب الإنجليز منذ إعلان الحرب مباشرة.

وحتى نلخص موقف الحزب الوطني في هذه الآونة ، فقد كان الحزب منقسما إلى ثلاث مجموعات أولها رئيس الحزب وهو بعيد تماماً عن المباديء التي قام على أساسها حزبة .

والمجموعة الثانية كانت تضم حشداً من كبار زعماء البلد الذين لايربطهم بالحزب الوطني إلا يافطته وحسب ومن قبيل تعلقهم بالزعامة التاريخية **لمصطفى كامل** ، وكانت هذه الشخصيات البارزة من أعظم رجالات مصر وقد نبعت أهميتهم الشخصية من نبوغهم الفردي الذي لا علاقة له بنشاط الحزب، مع تمسكهم بالمبادئ القديمة التي انتهكتها رئاسة الحزب القائمة والممثلة في **حافظ باشا رمضان** فهم يتمسكون بمبادئهم ويصرون على الابتعاد عن المناصب الوزارية وكان علي رأس هذه المجموعة من الزعامات **عبدالرحمن الرافعي وفكري اباظة** .

أما المجموعة الثالثة فهي الأجنحة المتطرفة من الحزب ، فهم جسم بلا رأس وحزب بلا زعامة وآراء بلا ضوابط وعواطف بلا كوابح ومن أهم هذه الأجنحة **فتحي رضوان** الذي إنتقل من حزب مصر الفتاة ليستقر ثانية في حزبة الوطني القديم الا إنه يتخذ مقرا خاصاً له بعيداً عن المقر الرسمي للحزب الوطني ويترأس مجموعة من الإرهابيين بشارع شريف ومن بين هذه المجموعة الثالثة أيضاً يبرز **عبدالعزيز علي** على رأس مجموعة من الشباب المتطرف والذي كان ضالعاً في الجرائم السياسية منذ عهد بعيد . كما كان **عبدالعزيز على** منفتحاً عن كل بؤر الإجرام في مصر من أحزاب أو جمعيات أو أشخاص معينين. ونجد في كتابة الثائر الصامت مايغني عن البحث الطويل ، فقد جاء بالكتاب أن الدكتور **محمد أنيس** أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة يسعى للقائة بإعتباره أول رئيس لمركز وثائق وتاريخ مصر الحديث الذي أنشأته وزارة الثقافة ليستفسر منه عن بعض ما غمض عليه عند قراءته لمحاضر التحقيق في الإغتيالات السياسية ، وماقرأه في أول

كتاب للثورة بقلم الرئيس **أنور السادات** ، وكذلك بعد أن أطلع على وثائق وزارة الخارجية البريطانية التي تعترف بخطورته وإنه كان وراء كل حوادث الإغتيالات في مصر .

ومن أجل هذا وإعترافا بفضلة في هذا المجال فقد عينته الثورة وزيراً في أول وزارة مدنية تقوم بتشكيلها .

وعبدالعزيز علي كان سكرتيراً لنادي الحزب الوطني وإدارة شئون الشباب وقد نشأت بينه وبين الشيخ **حسن البنا** صداقة منذ عام ١٩٣٦ وقد جمعهما كما يقول في كتابه موضوع الفداء وما تحتاج اليه الرسالة من فدائيين سواء بالروح أو بالمال وقد ع هد إليه الشيخ بإعداد نواة للعمل الفدائي للجماعة وقد تولي تدريبهم في وادي حوف [١].

وفي أواخر عام ١٩٣٩ إنشقت جماعة شباب محمد عن جماعة الإخوان المسلمين بعد أن دب خلاف بينهم وبين فضيلة المرشد العام الشيخ **حسن البنا** حول بعض تصرفات خاطئة ومخالفات مالية نسبت لفضيلة المرشد ذاته على حد ماجاء بكتابة الثائر الصامت [٢] وكذلك سقطات خلقية لبعض أعضاء مكتب الإرشاد وعلى الأخص وكيل الإخوان المسلمين الأستاذ **عبدالحكيم عابدين** صهر فضيلة المرشد".

وكما أحتضن **عبدالعزيز علي** جماعة الإخوان المسلمين فأنه فعل كذلك مع جماعة شباب محمد ، وكانت ثمرة هذا التعاون إن أختار **عبدالعزيز على** من بين أعضاء جماعة شباب محمد الأستاذين **محمود أبوزيد وحسن عوض بريقي** للإنضمام لعضوية جمعيته الفدائية السرية (التضامن الأخوى) بعد إستئذان وموافقة ورئيس الجماعة .

١- الثائر الصامت - عبد العزيز علي ص ١٦٤.

٢- الثائر الصامت - عبد العزيز علي ص ١٦٦.

وكان يستعير من بين افراد هذا الحزب بعض الفدائيين للقيام ببعض العمليات الإرهابية .

كما كان عضو مجلس إدارة الشباب المسلمين وأمين صندوقها ، وقد أتخذ من الجمعية مكاناً آمنا لمزاولة نشاطة الإرهابي ، وكذلك كان عضواً بارزاً في أغلب الجمعيات الخيرية مثل جمعية المكفوفين والمكفوفات بمصر الجديدة وجمعية الرفق بالحيوان وما إلى ذلك .

كما كان متصلاً بكافة الشخصيات التي تعمل في الخفاء والتي كانت تحترف المؤامرات وترتيب الإغتيالات وعلى رأسهم **عزيز باشا المصري.**

وحتى يتبين القارىء طبيعة الرجل الدموية فأنني أنقل من واقع كتابة الثائر الصامت وصفه لبعض حوادث الإرهاب والإغتيالات التي ينسبها لنفسه ، فقد قام بالتخطيط لحادث سينما امبريال بجوار جمعية الشبان المسيحيين عام ١٩٣٧ بالترتيب مع **عبدالمعطي عطيه** من شباب الحزب الوطني وكذلك مع **عز الدين فهمي وشقيقة عبدالقادر فهمي** من جماعة مصر الفتاة بعد أن زودهم بالقنابل وتم بالفعل إلقاء قنبلتين ، يقول **عبدالعزيز على** إنهما احدثتا دويا هائلاً وتحولت صالة السينما إلي بركة من الدماء لكثرة المصابين من الضباط الإنجليز ، ووصفت الصحف الحادث بأنه تم وفقاً لخطة محكمة [(١)]

كما تم قتل **أحمد ماهر** بواسطة أحد تلاميذه وهو **محمود العيسوي** المحامي وقد ورد في كتابة أن القاتل اعترف بأنه الفاعل وحده ، وإنه أقدم على قتل رئيس الوزراء لإنقاذ البلاد من نكبة محققة لوهي دخلت حرباً

(١) والثائر الصامت - عبد العزيز علي ص ١٥١.

لاناقة لنا فيها ولا جمل ووفقا لما ذكره في كتابه المشئوم يقول فقد للمحاكمة وأدين وأخلي سبيل كل المقبوض عليهم ومنهم بطبيعة الحال **عبد العزيز علي** نفسه ثم يستطرد في كتابه ليقول عن هذا القاتل "رحمه الله رحمه واسعه مع الأبرار والشهداء والصالحين".

كما يقول عن قاتل **النقراشي باشا** في صفحات لاحقة كان **عبدالمجيد** في تنفيذ القتل وفي التحقيق في الحادث وفي المحكمة على السواء رابط الجأش ثابت الجنان وأدين وحكم عليه بالإعدام شنقاً - وتقبل الحكم ككل فدائي بالرضا والإطمئنان - رحمة الله وأسكنه فسيح جناته[1] وفي صفحة أخرى بعد حريق القاهرة يقول "ولقد حدثتني نفسي يوم الحريق بوجوب توقيع جزاء رادع فوري من نوع ماكانت شعبنا السرية تقوم به في الماضي وتذكرت ماتم من إغتيالات سياسية من بدأ إغتيال **بطرس غالي باشا** ناظر النظار على يد الوطني الفدائي **إبراهيم ناصف الورداني** سنة ١٩١٠ إلى اغتيال **أحمد باشا ماهر** رئيس الوزراء على يد الوطني الفدائي **محمود العيسوي** ١٩٤٥ وتمنيت لو أن لي قوة فأطيح برؤوس أينعت وحان قطافها وأريح الوطن وبنيه منها ومن غدرها وخيانتها فيرتاح ضميري ولكن ماكل مايتمني المرء يدركه، وقد عز الزميل وعز النصير بعد إعدام إخواني أفراد الشعبة السرية بعد حادث إغتيال سردار الجيش سنة ١٩٢٤ ولم تجد الايام بمثلهم » [2].

ويعلم الله أن الدكتور **أحمد باشا ماهر** وهو ضحية هذا الرجل الوالغ في الدماء هو أشرف وأعظم رجالات مصر وإن عصابة هذا المجنون التي سفكت دمه ظلماً وعدواناً لا تساوي بجمعها وقضتها وقضيضها سفة

(١ . ٢) والثائر الصامت - عبد العزيز علي ص ١٩٨، ٢٢٣

سفكت دمه ظلماً وعدواناً لا تساوي بجمعها وقضتها وقضيضها سفة تراب من نعل هذا الوطني العظيم. أو من أجل هذا يعين **عبدالعزيز علي** وزيرا في أول وزارة مدنية للثورة ؟.

وقد يعجب القارىء من المساحة التي خصصتها لدراسة شخصية **عبد العزيز علي** وجناحة الإرهابي من الحزب الوطني ، إلا أننا أمام لغز من ألغاز ثورة ١٩٥٢ وفي رأينا أنه من أباء هذه الثورة الأولين ولعله كان الأسبق في تجنيد الكثيرين من الضباط الأحرار وإقحامهم على السياسة من بابها الخلفي ، وإذا ماشئنا التحديد فمن بابها السفلي . ولعل أخطر أدواره والتي من أجلها ومن أجل التعريف به قد خصصنا هذه الدراسة هو دوره في تجنيد الضباط ونشاطة في هذا الصدد من نادي المغاربة.

نادي المغاربة

وهو مكتب ثقافي بعمارة زغيب بميدان الأوبرا أنشأته حكومة المغرب ١٩٣٧ ليتولي شئون الطلبة المغاربة الموزعين على المدارس والمعاهد والكليات بمصر ، وأسندت الإشراف عليه إلى الأستاذ **المكي الناصري** ، وهو مغربي تلقي دراستة بالجامعة المصرية وقد وقع إختيارة على الدكتور **أحمد أمين** الأستاذ بالجامعة لإدارته . وقد عرض الدكتور **أحمد أمين** وظيفة السكرتارية وأعمال الحسابات على **عبدالعزيز علي** فقبل العرض بإرتياح ، وقام بتسخير النادي كمركز لنشاطة السياسي رغم إنه كان يواجة قسم بوليس وجهاً لوجة

نـــواةالطيـــران

فطن **عبد العزيز على** وعن حق أنه من الإستحالة بمكان أن يركن إلي المدنيين في قيام ثورة شعبية أو إنقلاب في مصر ، وكما يقول في كتابة " إنه كسباً للوقت فإنه سعي لتجنيد لشباب من ضباط الجيش لما يتوفر لديهم من نظام وروح فدائية وتنظيم عسكري وتدريب مسلح ، رغم مافي ذلك من صعوبة نظراً لما كان يتردد في ذلك الوقت من ولاء الجيش للملك ، ولما يتسم به ضباط الجيش من تخلف ثقافي وتخاذل في روحهم المعنوية ، وبعد عن الحركات الوطنية"(١) . فهو جيش كما كان يقال في ذلك الوقت للزينة والحفلات الرسمية ، كما كان يعد لإخماد الحركات الوطنية المناوئة للحكم.

ومهد **عبدالعزيز على** لهذه الخطوة في الإتصال بالضباط بإطلاع أفراد مجموعته ومنهم **عبد المعطي عطية ، ويوسف كمال، ومحمد عبدالرحمن حسين ، ومحمد فتح الله درويش** على خطته في تجنيد من يثقون فيه من الضباط لإعدادهم لمرحلة الإنقلاب المسلح على أسس مدروسة وتخطيط سليم .

وكان أول من إستطاع **عبدالعزيز على** إقناعهم بالفكرة هو الطيار **وجية أباظة** بعد أن رشحة له المستشار **محمد عبدالرحمن حسين أباظة شقيق** زوجتة وبعد أن وضعه موضع الإختيار وكان ذلك في شهر أكتوبر ١٩٣٥ ، ويستطرد الأستاذ **عبدالعزيز علي** في كتابة حول هذا الموضوع فيشير إلي إجتماع بالغ الأهمية في قرية الصوالح (٢) حيث إستضافهم **عبدالمعطي**

١،٢ – والثائر الصامت – عبد العزيز علي ص ١٧٢،١٧٣.

عطيه لمدة يومين في بلدته بعيداً عن أعين الرقباء . وكان يضم جمعهم **يوسف كمال ومحمد عبدالرحمن حسين والداعي ووجيه أباظه** الطيار بالجيش، ويقول أن كلمتهم قد أتفقت بعد عده جلسات على أن الجيش لابد وإن يخرج من عزلته وأن ينزل إلى الميدان وأن يتحمل القسط الأوفر لتحقيق الإنقلاب على أن يبدأ الشوط بالدعوة لتكوين تنظيم سري من ضابط الجيش للإغتيالات السياسية التي أتفق على أنها الوسيلة الوحيدة التي أثبتت فاعليتها.

وبعد عودتهم بعد رحلتهم المباركة كما يكتب **عبدالعزيز علي** فإن **وجيه أباظه** قام بتعريفهم بالطيارين **عبداللطيف البغدادي** ، **وحسن عزت** ، **وأحمد سعودي** ، وكانوا يجتمعون بهم بإحدى ڤيلات مصر الجديدة بناصية شارع دمنهور لتبادل الرأي حول أوضاع البلد وأوضاع الجيش .

وتوسعت بعد ذلك الدائرة بتكوين خلايا كل منها تضم أربعة أفراد مع مراعاة الكيف والكم وفقاً لنظام الشعب المدنية الأولى .

وكانت الخلية الأساسية من نواة الطيران تضم المؤسسين **عبداللطيف البغدادي وحسن عزت وأحمد سعودي ووجيه أباظه** ثم انضم اليهم **أنور السادات وحسن إبراهيم وخالد محي الدين** ولعله من المفيد أن أنقل نص ماجاء بالكتاب تحت عنوان " أفراد الرعيل الأول في كلمات" يقول الأستاذ **عبدالعزيز** " ومن الخير أن أشير إلى الطابع المميز لبعض أفراد الرعيل الأول من التنظيم (الذين سموا أنفسهم الأحرار) ، وإن إتفقوا كلهم في الإخلاص وحب العمل **فرشاد مهنا** غيور متدين هاديء الطبع

عصبي المزاح **والبغدادي** هادىء قليل الكلام **ووجيه أباظة** بسيط مسالم **ووجيه خليل** جريء مقدام **وهلال المنجوري** وديع سليم الطوية **ومحمد أحمد** صادق دبلوماسي **وأنور** متوثب متفتح" .

ومع أن نشأة هذه النواة الاولى كانت تحقيقاً لفكرة **عبدالعزيز على**، فإن هؤلاء الضباط جميعاً وبلا إستثناء ينكرون إنكاراً تاماً ، أن منشأ الفكرة وبداية تنظيم الضباط كانت مدنية وترجع لعبدالعزيز علي على وجه التخصيص ، وإنهم كانوا الجناح العسكري لحركة مدينية جناحها المدني الآخر هو شعبة "التضامن الأخوى" وهي حركة فدائية سرية خرجت من طياتها الأفاعي السوداء ومنهم **محمود العيسوي** قاتل الشهيد الدكتور **أحمدماهر.**

ونجد أن أفراد الشعب المدنية تأخد على الجناح العسكري هذا الإنكار وقد نشرت روز اليوسف بعض هذه المقالات التي تدور حول هذا الموضوع نذكر منها مقال **محمد عبدالرحمن حسين** المستشار الجمهوري بإدارة قضايا الحكومة مارس ١٩٧٥ نشر تحت عنوان "للحقيقة والتاريخ " حيث يقول "أن الحزب الوطني أنشأ أول خلية في الجيش وكان من أعضائها **أنور السادات** " وقد جاء بها " فقد اثار الأستاذ **عبدالعزيز علي** في أحد الإجتماعات السرية فكرة ضرورة إشتراك الجيش في الحركة. وأوضح للمجتمعين بأن قضية مصر لا تحل بالمنشورات أو القاء القنابل وأن الإنجليز لن يخرجوا من البلاد لأن عددا من الجنود لقوا مصرعهم ، وإنتهى إلى أن خلاص الوطن لا يمكن أن يتم إلا على يد الجيش ، وبسواعد المخلصين من أبنائه ولا سبيل إلى ذلك الا بالبحث عنهم بصبر وأناة حتى

نعثر عليهم وندفع بهم إلى المعركة ، وماهي الا خلية سرية واحدة تنبثق منها الخلايا فتقوم الحركة وتشتد .. ولا يبقي الا أن تعلن عن نفسها بحركة عسكرية تنقذ البلد من الطغيان" .

"ثم طلب سيادتة (**عبدالعزيز علي**) من كل عضو في الجمعية أن يزكي ضابطاً من أصدقائه يرشحة للإنضمام إليها يطمئن له ويثق بوطنيته، وقد رشح أحد الأعضاء (**المستشار محمد أباظة**) ضابط طيار (يقصد **وجية أباظة**) تربطة به صلة قرابة وصداقة ... ومالبث هذا الضابط أن رشح بدورة ضابطين من أصدقائه كانا يقطعان معه في مسكن واحد ... وبذلك تكونت أول خلية في الجيش من السادة **عبداللطيف البغدادي والمرحوم أحمد سعودي وحسن عزت ووجية أباظة والرئيس أنور السادات وحسن إبراهيم وخالد محي الدين**" (صورة زنكوغراف من المقال) .

ونجد مقال آخر للدكتور **عز الدين عبدالقادر** يدور حول نفس المعني السابق تماماً وينص فيه أن عبدالعزيز علي في إحدى جمعياته السرية فكر في ضرورة إشراك الجيش في الحركة وينتهي بنفس الأسماء لما يعرف بنواة الطيران التي إبتدأت **بوجية أباظة** ثم البغدادي وسعودي ثم إنضم اليهم الطيار **حسن عزت** الذي ضم للجمعية صديقة **محمد أنور السادات . ثم أنضم حسن إبراهيم وخالد محي الدين.**" ونشر المقال في ١٩٧٤/٦/٤ روز اليوسف (صورة زنكوغراف من المقال) وناشر المقال هو د. **عز الدين** السابق الإشارة اليه في الصفحات السابقة وهو حفيد الزعيم أحمد عرابي وعضو حزب مصر الفتاة وهو الذي إستعاره عبدالعزيز على في عملية إلقاء القنابل على سينما إمبريال ١٩٣٧ ويلاحظ أن المقال صدر في عهد الرئيس **أنور السادات .**

كما في حوزتنا صورة فوتوغرافية أيضاً لخطاب وجهة المستشار **محمد عبد الرحيم حسين** إلي البغدادي يعتب عليه فيه إخفاء حقيقة أصل الثورة أنها مدنية تكونت بتخطيط **عبدالعزيز على**. بل إنه عاتب أيضا المرحوم **حسن عزت** عندما كتب كتابة الأول سنة ١٩٥٤ "أسرار معركة الحرية " وإنكاه للدور الرئيسي **لعبد العزيز علي** ليجعل من ثورتهم إنها ثورة عسكرية في تخطيطها فكان ردة " هي لازم تكتب كدة ياأحمد وإلا أروح في داهية " وهي القصة التي رددها المستشار **محمد عبد الرحمن** في خطابة للبغدادي. ومن الجدير بالذكر أن كل مؤلفات السادة الضباط الرئيسين في حركة تنظيم الأحرار قد أوردوا دور **عبد العزيز علي** على أنه رئيسي إلا أنه لم يكن الأول في الترتيب ويستطيع القارىء أن يرجع لمذكرات **البغدادي وحسن عزت وأنور السادات ووجية أباظة** في هذا الشأن.

كما إستطاع **عبدالعزيز على** أن يقتحم الحرس الملكي بجمعيتة السرية فهو يجند **محمد أحمد صادق** من حرس السراى وكذلك **عبدالحميد المهدي** نجل رجل الملك **عثمان باشا المهدي** كما تسلل للحرس الحديدي أيضا بتجنيدة **لحسن عزت وأنور السادات** وكذلك للرتب الكبيرة نسبياً من أمثال **الخشاب ورشاد مهنا** . أما **عبدالناصر** فقد كان يتجة بولائة الأول **لأحمد حسين** ثم الجناح العصابي الآخر للحزب الوطني وهو **فتحي رضوان**.

ونجد أن الثورة قد كرمت **عبدالعزيز على** منذ قيامها فقد عينته وزيراً للشئون البلدية والقروية في أول وزارة مدنية تشكلها الثورة ثم حارساً على أموال الأسرة المالكة ثم حكمت عليه الثورة بعد ذلك بالسجن المؤبد لصلتة بالإخوان المسلمين وظل حبيساً عدة سنوات حتى وفاة **جمال**

عبدالناصر ، وفي أول ولاية **أنور السادات** أطلق سراحة لصداقتة وولائة له فهوكما يقرر الدكتور **عبدالخالق محمد لاشين** رئيس مركز وثائق وتاريخ مصر أن **عبدالعزيز على** كان له دور كبير في تشكيل الخلايا السرية في مطلع الأربعينات بإعتراف الرئيس **أنور السادات** والتي أسفرت في النهاية عن قيام جماعة الضباط الأحرار .

خامس آبـاء الثورة

خامساً - الفريق عزيز المصري

عند الحديث عن أباء ثورة يوليـو ١٩٥٢ فـإننا لا نستطيع أن نتجاوز دور **عزيز باشا المصري** ، وقد سبق لنا أن عرضنا لجوانب من تاريخة في الصفحات السابقة من هذا الكتاب الا أننا عند ترتيب الأحداث بالنسبة للثورة ونشأها فأننا نود أن نشير إلي خطوره هذا المتآمر الخطير من حيث إنتشاره وإنفتاحة على كافة الجبهات الإجرامية في مصر والتي كانت تمارس عمليات الإغتيال السياسي كوسيلة سهلة للوصول إلى للحكم . فهو متصل بالإخوان المسلمين . وبالضباط الذين أسسوا حركة الضباط الأحرار فيما بعد والذين كانوا يمارسون نشاطهم شيعا مختلفة فمنهم ماكان يعرف بنواة ألطيران ، ومنهم الآخرون الموزعون على كافة المنظمات والجماعات والأحزاب المتطرفة بداية بالإخوان المسلمين وإنتهاءاً بالشيوعية . كما كانت **لعزيز المصري** إتجاهاته النازية أثناء الحرب العالمية الثانية وكانت لهذه التوجهات أثرها على الضباط الأخرين ، وفي رأينا أنه كان يمثل الفوضوية الإجرامية إلى أبعد مدى (Anarchisme) وأنه لم يكن يخفي على الضباط الذين كانوا يتأثرون به إنه كان لايرى من وسيلة فعالة لقيام الثورة الا بالتصفية الجسدية والإغتيالات وهو ما أفصحت عنه كثير من مؤلفات الضباط الأحرار [١].

وأود هنا أن أنقل ما رواه الأستاذ **أحمد أبوالفتح** في كتابة "جمال عبدالناصر" بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ في ٨ أكتوبر ١٩٥١ ، ففي إجتماع

١- يرجع لكتاب خالد محى الدين في هذا الشأن

عقد بدعوة من **مصطفى بك الشوربجي** من زعماء الحزب الوطني حضرة **عبدالوهاب حسني وعبدالعزيز الشوربجي وأحمد حسين** رئيس حزب مصر الفتاة والفريق **عبدالعزيز المصري** وقد فاجأ الفريق **عزيز المصري** المجتمعين بإقتراحة بأن يضع فدائي يسافر إلى لندن عبوة ناسفة في مجلس العموم البريطاني ، ويسافر فدائي آخر إلى واشنطن، ويضع عبوة مماثلة في مجلس الشيوخ الأمريكي ، ولا يحاول أي واحد من الإثنين الهرب بل يتم القبض على كل واحد منهما ويعلنان إنهما من مصر ويريدان الإنتقام من الإنجليز الذين يرفضون الجلاء ومن الأمريكيين الذين ينحازون ضد المطالب الشرعية الوطنية لمصر - ورغم إن مثل هذه الإقتراحات الصادرة عن الفريق العجوزهي ضرب من الخرف إلا أننا نوردهاحتى يستبن القارىء مدي خطورة هذا الشيخ المختل عقليا وهو الذي تترك له الفرصة لينظم كتائب الفدائيين ويقود الحركة الفدائية ويصرح له بالتصرف في توزيع السلاح ، وقد تسلل جزء كبير منه إلى خارج الحركة الفدائية ، وكان من الأجدر أن يحجز مثل هذا الشخص في مستشفي خاص بالخطرين.

ويبدو أن إندفاع **فؤاد باشا سراج الدين** في تأييد حركة الفدائيين كان قد فاق كل حد. فهو يتصل بمجموعة الضباط التي لم يكن قد تعرف عليهم من قبل والذين ثبت فيما بعد إنتماؤهم لحركة الضباط الأحرار وبدعوى تسليح الفدائيين وامدادهم بالسلاح وتدريبهم فقد واتتهم الفرصة كاملة لمباشرة نشاطهم تحت سمع وبصر الحكومة كما ثبت في التحقيقات التي اجرتها معه الثورة بعد قيامها موافقتة وإقراره لخطة تقضي بوضع لغم بحري في قنال السويس لتفجير سفينة إنجليزية عابرة لسد المرور في قنال

السويس ، وقد أعطي الباشا أوامره لإدارة السكك الحديدية لتسهيل نقل اللغم للضباط المناط بهم تنفيذ العملية وكانت هذه العملية تعرف باسم التيتل. ولقد قابلوا حماس **فؤاد باشا** ووطنيتة ومؤازرته لهم بالجحود والنكران كدأبهم دائما. ولعلنا قبل أن ننتقل للآباء الآخرين للثورة فإننا نود أن نورد بعض مانقلتة الوثائق البريطانية بخصوص [1] **عزيز باشا المصري** حيث تقول الوثائق أن **على ماهر** حينما كان رئيساً للوزراء فقد طلب إليه السفير البريطاني عزلة من منصبة كرئيس أركان حرب الجيش المصري في ذلك الوقت ١٩٤٠ بدعوي أنه معجب بالنظام النازي ، ولا يخفي تنديدة بالجيش البريطاني وإشادته بالجيش الألماني الذي يفوق بكثير جيش الحلفاء قياسا على مالمسة بنفسة من نوعيتهم المتواجدة بمصر وعلى مسمع من كثير من الضباط البريطانيين. ويتلكأ **على باشا ماهر** في تنفيذ رغبات الحكومة البريطانية بعض الوقت فيذهب إليه الصحفي **محمد صبيح** ويسألة هل ستسلم في **عزيز المصري** ؟ .

فأجابة على ماهر إنه لايساوي أزمة مع الإنجليز وفي فبراير ١٩٤٠ يقيل **على ماهر ... عزيز المصري** [2] .

كما تروي الوثائق البريطانية أنه بعد محاولة الفريق **عزيز المصري** للهرب من مصر إلى العراق للإتصال بثورة **رشيد عالي الكيلاني** وهي المحاولة التي إنتهت بسقوط الطائرة قرب قليوب والقبض على الفريق وكان بصحبته **عبدالمنعم عبدالرؤف وحسين ذوالفقار** وهما من تلاميذه . وكان ذلك لخلل أصاب الطائره ولم تصب المجموعة بسوء وتمكنوا من العوده إلى القاهرة والإختباء بمنزل أحد المواطنين إلى أن قبض عليهم بعد عشرين

١، ٢- كتاب التاريخ السرى لمصر - محسن محمد

يوما من الحادث ، ووجهت إليهم تهمة الخيانة العظمي وعقوبتها الإعدام ، وحوكم **عزيز المصري** وفي التحقيق إعترف بأن ضابطا بريطانيا طلب إليه السفر إلى العراق بإعتباره صديقاً لعدد كبير من العراقيين للوساطة بينهم وبين الإنجليز .

ويبلغ **حسين سري باشا** رئيس الوزراء نص التحقيق للسفير البريطاني ... الذي يطلب بعد ذلك من رئيس الوزارة حفظ التحقيق لأن ضابطاً بريطانيا هو **الكولونيل ثورن هيل** كان قد زار **عزيزالمصري** فعلا من وراء ظهر السفير . ويحفظ التحقيق - ويكتفي بإعتقال **عزيز المصري** وتسقط الإدعاءات الموجهة إليه بالخيانة العظمي [١].

١- كتاب التاريخ السرى لمصر - محسن محمد ص ١٥٠

سادس آبــاء الثــورة

سادساً : جمال عبد الناصر والفكر الماركسي .

من الواضح أن الإتحاد السوفيتي كدولة لم تكن لها أدني علاقة بقيام الثورة في مصر ١٩٥٢ ، ففي ظل حكم **ستالين** كانت سياسية روسيا أكثرَ حذراً وأبعد نظراً فهو يدرك مدي ما تمثلة منطقة الشرق الأوسط على وجة العموم ومصر على وجه الخصوص من قيمة حيوية بالنسبة الغرب والولايات المتحدة. كشريان للحياه .

وفي ظل سياسة حافة الهاوية والمظلة النووية للدفاع عن مناطق النفوذ أو ماكان يطلق عليه العالم الحر ،فإن **ستالين** ماكان ليفكر في محاولة التدخل الصريح في الشرق الأوسط . ومع ذلك فإن الحركات الشيوعية بمصر وخصوصاً حركة **حدتو** " الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني " كان لها أبعد الأثر في نجاح حركه الضباط الأحرار كما كان لها ممثلان في أول تشكيل لمجلس قيادة الثورة وهما **خالد محي الدين ويوسف صديق** الذي يعزي اليه جانب كبير من الأثر في نجاح الثورة.

كما كان أثر **أحمد فؤاد** على **جمال عبدالناصر** بالغ الأهمية حيث كان هو المسئول عن منشورات الضباط الأحرار ولعله هو أيضاً الذي قام ببلوره شعارات الثورة وأهدافها الستة. بل أن الجهاز الفني لمنظمة **حدتو** هو الذي كان يقوم بإعداد وطبع منشورات الضباط الأحرار كما كان الضباط الشيوعيون التابعون للمنظمة هم الذين يتولون توزيع هذه المنشورات وكان

هؤلاء الضباط الذين يتبعون **أحمد فؤاد** هم الذين يتولون إلقاء المحاضرات والتوجية المعنوي لحساب الضباط الأحرار [١] كما أنهم قد أدخلوا نظمهم السرية وتنظيم الخلايا وفقاً لاسلوبهم الذي دربوا عليه وكان من بين هؤلاء الضباط **محمود المنسترلي ، وصلاح السحرتي وأحمد قدري وجمال علام.**

إلا أن **أحمد فؤاد** كان هو الوجة الظاهر لحركة حدتو أما زعيم هذه الحركة فهو **كوريل** وهو ماركسي صهيوني ولذلك فإن كثيراً من الإتهامات كانت توجة لهذه الحركة بالإنغماس في الصهيونية وهو نفس الإتهام الذي وجة لحركة ايسكرا وللحركات الشيوعية على وجه العموم بمصر وهكذا فإن ابوّه الحركة الشيوعية لثورة الضباط الأحرار هي من المسلمات التي لا يمكن التنصل منها كما أن تأثر **جمال عبدالناصر** بالفكر الماركسي هو أيضا من المسلمات التي لم ينكرها شخصيا ، وان يكن قد اخضع هذا الفكر الماركسي لإجتهاداته الشخصية فجاء خليطا من النظم الفاشية والإشتراكية والأحقاد الشخصية . ومن المفيد في هذا المجال أن نرجع لفقرات من خطاب **عبد الحكيم عامر** إليه [٢] الذي يطلب إلى **جمال عبدالناصر** فيه الكف عن سياسة التخبط ، "وأنه قد آن الأون أن يستفيد من خبرات الدول الأخرى في التنظيمات السياسية وأن يكف عن الإستمرار في إبتكار نظم فريدة في نوعها ."

ولقد دأبت الحركة في أول عهدها ١٩٥٢على إنكار تبعيتها للفكر الإشتراكي حيث كانت تحذر من إثارة مخاوف الولايات المتحدة وهواجسها كما كان **جمال عبدالناصر** بالغ الحرص في تدعيم صداقته بالولايات المتحدة

١- والان اتكلم - خالد محي الدين ص ٩١،٨٤.
٢- البغدادى جزء ثانى ٢٠٥ انظر فقرات من خطاب عبد الحكيم عامر

مرحليا وفي بداية الثورة إلي حد أنه تراجع عن تكليف الدكتور **عبدالرازق السنهوري** بتشكيل الوزارة لمجرد إشارة من السفير الأمريكي **كافري** الذي أبدى إستياءه من هذا الترشيح [1].

الا أن الحكام ذوى النزعة الفردية عادة ماينتهي بهم الأمر بإنطوائهم تحت النظام الشيوعي أو الإشتراكي الذي يسهل ويرسخ لهم السلطة المطلقة وفقا لما كان يجري بالإتحاد السوفيتي . وبعد إنفصال سوريا فقد روادت **جمال عبدالناصر** الظنون بتآمر الولايات المتحدة ضدة وكذلك الرأسمالية العالمية ولعله كان يخشي أيضاً من أن فشل الثورة في سوريا قد يعجل بنهاية حكمة في مصر وسرعان ما أفصح عن وجهه الحقيقي وعن معتقداته التي ماكان ليأمن التحدث بها من قبل ولعل الشخص الوحيد من اعضاء مجلس الثورة الذي كان يدرك تماماً معتقدات الزعيم الماركسية هو **عبدالحكيم عامر** إلا أن زملاء المشير لم يأخذوا حديثه المتكرر في هذا الشأن مأخذ الجد حيث أن البغدادي كان يعتقد أن **عبدالحكيم** يخلط في التعريف بمثل هذه الأمور . إلا أنه بعد إنفصال سوريا فقد صارح **جمال عبدالناصر** زملاءه من أعضاء مجلس الثورة بأنه متأثر بالفكر الماركسي وأنه مؤمن بأن الإشتراكية في مصر لابد وأن تتطور إلي ملكية الشعب لأدوات الإنتاج بدلا مما هو وارد في الميثاق عن سيطرة الشعب على هذه الأدوات [2].

والذي نخلص إليه أن الفكر الماركسي قد سيطر على حركة الضباط الأحرار منذ البداية في التخطيط والتنظيم والأسلوب كما سيطر الفكر

١- والان اتكلم - خالد محى الدين.
٢- عبداللطيف بغدادى ص٢٢٩

الشيوعي على زعامة الحركه المتمثلة في **جمال عبد الناصر** وبعض زملائه بل أن أعضاء الأحزاب الشيوعية الآخرين كانوا يشعرون بالغضب إزاء مناصرة الثورة لمنظمة **حدتو** دونهم وقد عبر الشاعر **عبدالرحمن الخميسي** عن هذا الغضب في أبيات لا أتذكرها تماماً وأن يكن قد جاء بها

طافت حدتو بالمصانع   تحمي مسيرتها المدافع

وتقول حكم الشعب جاء

(ولقد عين سكرتير المنظمة أحمد فؤاد رئيساً لبنك مصر ثم رئيسا لبنك قناة السويس إلي أن توفاه الله في أكتوبر ١٩٩٤).

الخـــاتمـــة

لعل القارئ قد أدرك من خلال هذا الكتاب أو من قبل هذا الكتاب أن بؤر الجريمة في مصر قبل الثورة كانت علي درجة كبيرة من التفاهم والتواصل والتعاون فيما بينها : فهو حلف الأفاعي .

كما رأينا أن أغلب من يسمون أنفسهم بالضباط الأحرار كانوا قد تقلبوا علي شتي الأحزاب والجمعيات والجماعات المتطرفة ، فمنهم الشيوعيون والإخوان المسلمون ومصر الفتاة والجناح العصابي للحزب الوطني القديم برئاسة عبد العزيز علي ، ومنهم النازيون الذين كانوا علي صله بجيوش الغزو الألمانية إبان الحرب العالمية الثانية عن غير تدبر أو تمعن في خطورة ما كانوا يقدمون عليه من أعمال سواء كانوا مدفوعين بوازع من أنفسهم أو بالأحزاب والجماعات التي كانوا ينتمون إليها أو لعله كذلك بإيعاز من القصر الملكي .

ويستطيع الباحث في مذكرات الضباط أن يلتمس الإعتراف علي ما إقترفوه من أفعال في هذا السبيل ، فيتحدث السادات في بحثه عن الذات عن الحكم النازي فيقول ما نصه(١) " وهذا ما يحدث في المجتماعات الفاشية مثل المجتمع النازي أو الشيوعي حيث تكون قيمة الإنسان مرهونة بمتطلبات هذه المجتمعات ، كما يمسخ البشر أو يحيلهم إلي أنصاف آلهة في الأحزاب الحاكمة أو يجعلهم عبيدا ، عليهم فقط أن يطيعوا الأوامر أو آلات تعمل دون أن تعي"

كما يقول خالد محي الدين في كتابه (٢) "إن التواطؤ مع الفاشيه كان خطأ فادحا وإضرارا شديدا بمصالح الوطن .

١- البحث عن الذات انور السادات ص ٩٧

٢- الان اتكلم خالد محي الدين ص ٣٥

ولكن ذلك كله كان يمكن التحدث به في أروقة السياسه أو بعد هدءو العواصف ، والدخول في تحليلات لأحداث وقعت في الماضي . آما ساعتها فقد كان الأمر جد مختلف " . وهكذا إندفع بعض الضباط بعواطفهم الجياشه التي لا يعرفون الحكم علي الأمور الإ من خلالها ، إذا ما تركوا لشأنهم ، وإنعدم النظام في الجيوش ، وإستبيحت قواعد الضبط والربط . فهم يتعاونون مع الجيش النازي الذي كان يتقدم داخل حدود مصر والذي تقوم فكرته الأساسيه علي العنصرية وسيادة الأجناس الآرية وترتيب مواضع البشر وفقا لدرجات يقدرونها حيث كان العرب والمصريون والزنوج واليهود في آخر درجات السلم .

ولا شك أن مثل هذه الإتصالات كانت ضربا من الخيانة والخروج علي النظام مهما حسنت النوايا . فإن اقحام الجيش في السياسة هو مفتاح الضلال أما الرجل العظيم وحزبه السياسي المتميز وهو أحمد ماهر الذي رأي بثاقب بصره وبصيرته أبعد مما ينظرون ، والذي قدر الأمر في حينه بميزانه الصحيح فهو الخائن الذي تتعقبه عصابه الحزب الوطني القديم الذي ينتمي إليها بعض هؤلاء العسكريين ومنهم **أنور السادات** وخالد محي الدين ، ونحن وإن كنا لا نحملهما مسئولية إغتيال **أحمد ماهر** بشكل مباشر فلا شك إنهما كانا ينتميان لنفس العصابة التي خضبت أيديها بدمائه الذكية .

وهكذا إغتالوا الشهيد العظيم لمجرد أنه قد رأي أبعد مما ينظرون وقدر برجاحة عقله مالا تصل إليه أحلامهم .

ولعلنا نتبين من واقع هذا التاريخ مدي الإختلاف ما بين الإرهاب

والسياسة وبين عنجهيه القوة ورجاحه العقل وبين إنقلاب ١٩٥٢ وثوره ١٩١٩ . ولقد كان **أحمد ماهر** من ألمع أبطالها .

وتدور عجلات التاريخ وينقشع الغبار وتتكشف الأمور ، فإذا بهم يدركون ، ولكن بعد فوات الأوان ، ويشاء الله الحق- أن يكون إدراكهم للجرم الذى إقترفوه مسجلاً فى كتبهم ومن واقع أقوالهم .

فشيخ هذه العصابه **عبد العزيز على** وهو الذى إستوزرته الثوره فى أول تشكيل لحكومتها وقد كان ضمن المقبوض عليهم على ذمه التحقيق فى حادث إغتيال الشهيد العظيم يقول فى كتابه عن القاتل: [١] رحمه الله رحمه واسعه مع الأبرار والشهداء والصالحين"

وهكذا فإذا ما نظرت إلى هذه المجموعة من عصابة الحزب الوطنى الجامح بشقيها المدنى والعسكرى ، فإنك تكون قد لمست أسى الفساد فى مصر.

وعلى القارىء أن لا يلتفت بعيدا ليفتش عن مكانهم فهم ثورة يوليو ١٩٥٢ .

ولقد خلق الله الإنسان ضعيفا " وأن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب " صدق الله العظيم . والإرهاب الذى نحن بصدده لم يفعل أكثر مما يفعله الذباب الذى يسلب منك الشيي فلا تستطيع إليه سبيلا . فهم قد سلبوا حياة زعيم لمجرد أنه قد إمتد ببصره إلى آفاق لا يستطلعونها وإلى القمم التى لا ترتفع إليها بصائرهم .

١- الثائر الصامت عبدالعزيز على ص١٩٢

وهذه هى الثورة التى نهجت فى حكمها منذ ١٩٥٢ نهجا فاشيا غايتة هو ترسيخ الحكم تحت سلطانهم ، وقهر الإنسان المصرى وتحطيم إرادته وتبديد مقدراته سواء بالجهل أو بالسلب والنهب الصريح .

وقد أصبحت مصر حقلا للتجارب فهم يبرمون الأمر ثم يعودون لنقضة وبعد أربعين عاما تتبين الثورة إنها كانت قد أخطأت النهج حينما إعتنقت الإشتراكيه كمبدأ فى الإقتصاد والسياسة .

وبعد أن نص دستورهم على أن القطاع العام هو ركيزه الإقتصاد فى مصر، فهم يعودون إدراجهم لتقرير مبدأ الحرية الإقتصادية وتصفية القطاع العام والعودة إلى نظام آليات السوق .

والحكومه التى تقرر العودة إلى آليات السوق هى من ذات المدرسة الناصرية التى كانت تعتنق الحل الإشتراكى وملكيه الدولة لأدوات الإنتاج. وهكذا تتخطى الثورة السنوات الأربعين من عمرها وما زالت حاكمة متحكمة ، إلا أن الثورة أمر عارض فى الحياة الإنسانية ، فقد يثور المرء يوما أو يومين وقد يمتد به الغضب عاما أو عامين ، أما أن يظل عمره كله ثائراً فيموت ثم يأتى من بعده أبناؤه وهم يحملون لواء الثورة فهو أمر لا يتفق وطبائع الأمور أو إستقرار الحياة فى مصر .

وما نظن إلا أن هذه الجماعة من العسكريين قد إتخذوا من دعوى الثورة حرفة لتواصل إستئثارها بالحكم متوسلين بما يسمى بالشرعية العسكرية أو الشرعية الثورية منذ زين لهم فقهاء عصرهم الأول هذه التخريجات المرذولة التى لا تخرج فى حقيقتها عما كانوا يطلقون عليه فى

العهود الخالية حق الفتح وحد السيف حيث لا فتح جري ولا سيف أعمل ، فقد قابل الشعب إعلان ثورة ١٩٥٢ بالإرتياح بعد أن مهدت لها حماقات الملك وتخاذل الأحزاب أحسن تمهيد .

ولقد كانت سعاده الشعب بالتغيير ترجع أول ما ترجع إلي عبث الملك بالدستور ، وتعطيل أعماله بعض الوقت وتشكيل الوزارات ثم إقالتها بغير مسوغ ظاهر غير العواطف الشخصية، وكراهية الملك لحزب الوفد ، رغم ما يحتله الوفد من مكانة في قلوب الشعب . ومع ذلك فإن الملك ما كان ليجرؤ علي ما إقترفته الثورة من إلغاء دستور ١٩٢٣ لتخرج بدساتير مزيفة لا تحتوي علي المبادىء العامه المتعارف عليها في الدول العريقة أو حتي الحديثه العهد بالديمقراطية، والتي لا تكتمل شرعيه الدساتير إلا بالنص عليها وعلي الضمانات التي تؤكد سياده الشعب فوق أرضه .

بل أن سياسة تحرير الإقتصاد التي أزمعت الدولة إنتاجها لن يقدر لها النجاح إلا في ظل الإستقرار السياسي والإستقرار الإقتصادي.

فلا إستقرار سياسي في مصر بغير دستور موقر ينبع من وجدان الأمة وضميرها ، تفرض به إرادتها وترسخ سيادتها بالإختيار الصحيح لممثليها وحكامها.

ولا إستقرار إقتصادي إيضا إلا في ظل الضمانات الدستورية لإطار النشاط الأقتصادي الحر وأحترام الملكيات الخاصة بحيث تصبح في منأي عن طيش الفوضي وبطش الطغيان وجنوح الفرد وتحكم الديكتاتورية.

إن الضمانات التي يضفيها الدستور تعني تعهد الشعب مجتمعا بإحترام النصوص ، بينما لاتمثل القرارات الحكومية إلا وجهة نظر الحاكم بمداه الزمني المحدود.

وإن مايتردد من محاولة ترقيع الدستور الشمولي القائم بنصوص مدخولة عليه مفادها إن الإقتصاد المصري أصبح يرتكز علي حرية السوق بدلا من القطاع العام فإنه لايغير من الأمر شيئاً ، حيث إن المبادئ الدستورية مجتمعة هي التي تضفي علي الدستور جلاله وتكامل فلسفته في إحترام الفرد وترسيخ السلطة الفعلية في يد الشعب.

وإن مثل هذا المزيج الغريب من نصوص ترسخ سلطة الحاكم علي حساب الشعب بما يتعارض مع حريته الشخصية في الإختيار النزيه من جهة ونصوص أخري مقترحة تنص علي العودة لنظام آليات السوق وحرية الإقتصاد من جهة أخري ، فإن مثل هذا الدستور المعدل والمقترح قد يبدو في تناقضاته الظاهرة وكأنه من عرائس البحر ذات الملامح الإنسانيه في أجزاء منها إلا أنها تنتمي ولاشك إلي عالم البحار ولاتعدو أن تكون من فصائل الأسماك ذات الدم البارد.

فما يسمي بالدستور في مصر يغل يد الشعب في المحاسبه وفي الإختيار الحر لممثليه ورؤسائه، فهو في حقيقته إستمرار لما يسمي بالشرعية الثورية وإنفراد المنظمه العسكرية بالحكم تتوارثه فيما بينها حكرا دون المدنيين. فاذا ما كان العبث بالدستور قد أقترفه الملك ، فإنه ما كانت لتسلس له الأمور علي إطلاقها حيث وقف الشعب كما وقفت

الأحزاب في طريقه وفرضت عليه في كثير من الأحيان رأيها كما فرضت ممثليها وحكوماتها علي أساس من ديمقراطية الحكم وتداول السلطة . وربما كانت العهود في الحقب ما قبل الحرب العالميه الثانية والسنوات التي أعقبتها تحتمل من الأمور مالا يمكن قبوله في العصر الأخير حيث أن الحقب الثلاث الماضية قد شهدت تطورا كاملا وجوهريا في مصير البشريه وفي شتي نواحي الحياة من حيث النهضة التشريعية والقوانين الدولية والتقدم الفني والتقني ومن حيث وحدة العالم عن طريق ثورة الإتصالات وتصاعد أهمية المنظمات الدولية التي تنظم حقوق الإنسان .

ومثل هذا التقدم السريع في الفتره الأخيرة يربو بكثير علي كل ما سبقه في القرون السابقة من النهضة الإنسانية في شتي مجالات الحياة ولقد أصبح الحكم الدكتاتوري من الأمور التي تخرج عن طبيعة العصر بعد أن ضاقت الدنيا بالنظم الفاشية التي أعلنت إفلاسها وتهاوت أخطر وأهم قلاعها ولقد آن لنا في مصر أن ننعم بدستور ينبع من الشعب لصالح الشعب يؤكد إرادة الأمة ويفرض سيادتها وحريه إختيارها ، فلا أقل من أن ينعم المصريون بالضمانات الشخصية التي كان ينعم بها آباؤهم في ظل دستور ١٩٢٣ منذ سبعين عاما .

وقبل أن أختتم هذا الكتاب فإنني من قبيل التعريف به أؤكد إنه بعيد عن حرفه التأريخ ، لأن المؤرخ لا بد له أن يلتزم بالحيدة في منهجه أو أن يتظاهر بها علي الأقل أما أنا فإنني معترف منذ البدايه بأنني منحاز إلي قضايا بلدي أشد الأنحياز ، وقد كان جل همي أن أظهر ضلال هذه

الثوره من واقع أقوال صناعها ، وقد آليت علي نفسى أن لها ألتمس دليلا غير ما تقدمه مؤلفاتهم ومن واقع أقوالهم ، وكما يقول أبو الطيب المتنبي

لا يبلغ الأعداء من جاهل   ما يبلغ الجاهل من نفسه

فالأدله التي تزخر بها مذكراتهم كانت هي سندنا الرئيسي في كل ما أقدمه من قضايا من أقوالهم . والحمد لله من قبل ومن بعد .

د. شامل أباظة

- بكالوريوس كلية التجارة ١٩٥٢ جامعة القاهرة
- دكتوراه فى العلوم الاقتصادية والسياسية جامعة تولوز / فرنسا
- رئيس مجلس إدارة شركة المساهمة لتجارة وتصدير الأقطان ورئيس اتحاد مصدرى الأقطان سابقًا
- عضو مجلس الشعب السابق عن دائرة الزقازيق
- تنشر له أهم الصحف بحوثًا فى الاقتصاد والسياسة والأدب، كما نشرت له دار المعارف ترجمة لقصة الكاتب البريطانى چورج أورويل GEORGE ORWELL عالم تسكنه الحيوانات
- عضو المجالس القومية المتخصصة

تنشر الرسائل فى هذا الباب على مسئولية كاتبيها ، وتعبر عن رايهم ! ولا تلتزم المجلة برد الرسائل التى لا تنشر الى أصحابها

حوار الأسبوع



نعم خواجات مصر.. ياخوجة اليسار!

ناب الصديق صلاح حافظ منذ فترةويالتحديد منذ انتخاب مجلس الشعب الجديد على اظهار اعضاء المجلس بصورة غير الامناء على مصالح الشعب ·· ويحاول ان ينصب من نفسه الامين الاول والاوحد على مصالح جميع المواطنين ··

والطريف ان صلاح يكتب على طريقة ولا تقربوا الصلاة ·· مثلا عندما تحدث الزميل خالد محيى الدين رئيس حزب اليسار ·· فى روما ·· وراى بعض الاعضاء (قطع رقبة ··) الاستاذ خالد ·· راى البعض الاخر عكس هذا وقالوا ان خالد ابدى رايا مهما كان هذا الراى · وحرية الراى مكفولة بالقانون والدستور ··

ولكن لصلاح حافظ راى آخر ملخصه ان مجلس الشعب كله يصادر حرية الراى وان مجلس الشعب جعل من نفسه جلادا للعدالة ·· ونجاهل سامحه الله ·· الراى الغالب والذى انتصر فى المجلس معضدا موقف خالد ·· وكنت واحدا من المدافعين عن مبدا حرية الراى لانه لا يقتل الراى الخطا سوى الراى الصحيح ··

وفى العدد الاخير من روزا كتب ايضا الاستاذ صلاح مستنكرا ان يساوى المجلس بين المستثمر الاجنبى والمصرى فى التمتع ببعض الاعفاءات الضريبية ، وقال ان مجلس الشعب جعل من المستثمرين المصريين (خواجات) · ولكن فى الوقت الذى يستنكر فيه المحرر اعفاء المصريين من بعض الضرائب ، يشير الى الاموال « تحت البلاطة » ·· وهذا يعنى بالضرورة انه لكى تخرج من تحت البلاطة لابد من حافز ، والحافز من وجهة نظرنا فى مجلس الشعب هو تلك الاعفاءات الضريبية فضلا عن طمانة الناس من المصادرة ومن الحراسة ومن الاراء المتطرفة والمستوردة ·· !!

واخيرا اقول للصديق صلاح حافظ لقد جربنا الانغلاق ٢٠ عاما وكان ما كان ·· فدعونا نجرب الانفتاح ١٠ سنوات ·· ! خصوصا وان السوفيت جربوا هم ايضا الانغلاق ثم اخذوا بسياسة الانفتاح ·· واخيرا اخذت الصين بهذه السياسة ·

ان المستثمرين المصريين ليسوا خواجات مصر ·· واعتقد ايضا انهم ليسوا اسرائيليين ·· اما الخواجات فهم الذين يتحدثون بلسان غيرهم من خواجات اليسار ·

محمد أحمد عبد الشافى

عضو مجلس الشعب

قال عبد العزيز خميس فى روايته عن ايام الكفاح السرى ان تنظيم الضباط الاحرار بدا كرد فعل مباشر لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ والحقيقة ان تنظيم الضباط الاحرار بدا فى عام ١٩٤٠ ·· ذلك ان شباب الحزب الوطنى وجمعيته السرية هم اول من اتصلوا بضباط الجيش عام ١٩٤٠ وساهموا فى تكوين اول خلية سرية فى سلاح الطيران المصرى !!

والجمعية السرية كانت قد تكونت من شباب الحزب فى اوائل عام ١٩٣٩ وتولى تنظيمها عبد العزيز على الوزير فى الايام الاولى للثورة ··

فقد اثار عبد العزيز على فى احد الاجتماعات السرية فكرة ضرورة اشتراك الجيش فى الحركة ·· ثم طلب من كل عضو فى الجمعية ان يزكى ضابطا من اصدقائه يرشحه للانضمام اليها · وقد رشح المستشار محمد عبد الرحمن حسين احد اعضاء الجمعية ضابطا طيارا تربطه به صلة قرابة وصداقة وثقة وهو الطيار وجيه اباظة اول الضباط الاحرار ثم رشح عبد اللطيف البغدادى واحمد سعودى ثم انضم الطيار حسن عزت الذى ضم للجمعية صديقه محمد انور السادات ·· ثم انضم حسن ابراهيم وخالد محيى الدين ·

د · عز الدين عبد القادر

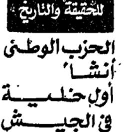
نُشرت فى روزاليوسف إبان حكم الرئيس السابق محمد أنور السادات

وقد اوضح في مقالة انزعاجه الشديد من بعض الاقلام التي تهدف بما تكتبه ان تسلب منه الايمان بالله بقصد عزله عن المجتمع الاسلامي من جراء تمسكه بالفكر الاقتصادي الاشتراكي .. ولكن يجب ان نوضح أن تمسكه بالحل الاشتراكي من اجل جموع العمال والفلاحين الكادحين يعصف بمصالح الراسماليين والمضاربين الذين يريدون تحقيق الارباح الطائلة ، وهذا يخلق بطبيعة الحال موقفا عدائيا يتزعمه اصحاب المصالح ... وليت امر العداء كان داخليا ، فهذا هين ، لكن العداء الخارجي اشد وطأة ، انه عداء سيطرة رأس المال والاحتكارات العالمية المتمثلة في المجتمعات الرأسمالية التي تشنع دائما على المجتمعات الاشتراكية وتجند الاقلام المشهورة للدعاية ضدها .. ولكنه موقف على كل حال .

بقيت كلمة اخيرة اسجلها للاستاذ خالد محيي الدين بحكم معرفتي به ... انه رجل مصري استطاع باخلاقه الفاضلة أن يصمد في وجه الحرب النفسية الموجهة اليه من اعداء الاشتراكية واعداء الثورة ، بل ويبتسم دائما لان الايمان يبعث السعادة في قلبه ويعطيه الثبات على المبدأ .. والاستاذ خالد متفائل ، وهو يمارس رياضة اليوجا من اجل حياة الفن وشباب دائم • واذا كنت قد اشرت الى ايمانه وافكاره ووطنيته ، فيجب الاشارة الى مميزاته فهو رجل يجمع كثيرا من المميزات فهو اشهر لاعبي اليوجا في مصر وهو صاحب الارادة القوية التي ترفض تحكم الاهواء والشهوات الزائلة حتى التدخين امتنع عنه في اشدازماته النفسية ، لكني اعيب عليه .. ان يقبل على نفسه لفظة ماركسي فانا احبه اشتراكيا كما هي حقيقته بالفعل في اطار الشريعة الاسلامية فهل تقبل ان يكون كما احب ؟ • في انتظار رأى سيادته •• والله الموفق .

مارس ١٩٧٥





للحقيقة والتاريخ

الحزب الوطني أنشأ أول خلية في الجيش

يوسف صديق

وكان من أعضائها أنور السادات

محمد عبد الرحمن حسين :
المستشار الجمهوري بادارة قضايا الحكومة •

قرأت باعجاب موضوع احمد حمروش عن السيد يوسف صديق ، أحد ابطال ثورة يوليو •• ندعو له بالشفاء من اعماق قلوبنا •

وليعلم هو وغيره من المجاهدين ان الوطن لن ينسى جهادهم وتضحياتهم وما قدموا وبذلوا في سبيله ، واذا كانت الظروف قد حجبت عنا اسمه بعض الوقت ، وحالت الأحوال دون ظهور صورة مشرقة من الجهاد ، فان الوطن لم ولن ينسى .. وسيظل دور المجاهدين من ابنائه هو الصفحة البيضاء في ضميره مهما حاول المغرضون طمسها .

وقد لفت نظري في سياق المقال جملة وردت هذا نصها «ان الضباط خلال هذه الفترة كانوا يبحثون عن انتماء يحتويهم بدفعه النضال ، وقد تعددت صلاتهم وامتدت مع جماعة اليد السوداء وعناصر الارهاب في الحزب الوطني » .

هذه الجملة وان كانت قصيرة في مبناها الا انها عميقة الدلالة ، ولها اصل يستند الى حقائق تاريخية .

ذلك أن شباب الحزب الوطني وجمعيته السرية هم اول من اتصلوا بضباط الجيش في سنة ١٩٤٠ ، وساعدوا في تكوين أول خلية سرية في الطيران ، كانت اللبنة الاولى في مولد الضباط الاحرار وقيام ثورة ١٩٥٢ .

وتفصيل ذلك انه كانت قد تكونت جمعية سرية من شباب الحزب الوطني في اوائل سنة ١٩٣٩ تولى تنظيمها والإشراف عليها الاستاذ الوطني الجليل عبد العزيز علي « شفاه الله » الذي عين وزيرا في أول وزارة للثورة — وهو العضو الوحيد الباقي اذا استثنينا البطل عبد الفتاح عنايت من جماعة اليد السوداء ، التي ارتكبت حادث اغتيال السردار سنة ١٩٢٤

فقد اثار الاستاذ عبد العزيز في احد الاجتماعات السرية فكرة ضرورة اشتراك الجيش في الحركة .. واوضح للمجتمعين بأن قضية مصر لا تحل بالمنشورات او العصا والقنابل . وان الانجليز لن يخرجوا من البلاد لان عددا من جنودهم لقوا مصرعهم •• وانتهى الى ان خلاص الوطن لا يمكن ان يتم الا على يد جيشه ، وبسواعد المخلصين من ابنائه ولا سبيل الى ذلك الا بالبحث عنهم بصبر واناة حتى نعثر عليهم وندفع بهم الى المعركة ، وما هي الا خلية سرية واحدة تنبثق منها الخلايا فتقوم الحركة وتشتد •• ولا يبقى الا ان نعلن عن نفسها بحركة عسكرية تنقذ البلد من الطغيان

ثم طلب سيادته من كل عضو في الجمعية ان يزكي ضابطا من اصدقائه يرشحه للانضمام اليها ، يطمئن له ويثق بوطنيته وقد رشح احد الاعضاء ضابطا طيارا تربطه به صلة قرابة وصداقة .. وما لبث هذا الضابط ان رشح بدوره ضابطين من اصدقائه كانا يقطنان معه في مسكن واحد .. وبذلك تكونت اول خلية في الجيش من السادة : عبد اللطيف البغدادي والمرحوم احمد سعودي وحسن عزت ووجيه اباظه والرئيس انور السادات وحسن ابراهيم وخالد محيي الدين .

ثم سارت القافلة بعد ذلك الى ان قامت الثورة .. وقد حرص اعضاء الجمعية السرية للحزب الوطني على اخفاء هذه الواقعة وغيرها من الوقائع الهامة في تاريخ مصر المعاصر ، ولم يعنوا بنشرها او اذاعتها ، لانهم كانوا يعملون في سبيل الله والوطن فحسب

وقد خطرت لي هذه الواقعة عندما قرأت مقال الاستاذ احمد حمروش ، فرأيت من واجبي أن اذكرها قبل ان يعدو عليها الزمن ويسدل عليها الستار — احقاقا للحق ، وذكرى عطرة للوطنيين الاوفياء

سيدي الأخ العزيز - وكما أعاتبك الآن لبعد هذا الأمد الطويل
وقد عاتبني كلانا كما يقول صاحب العذر فقد عاتبت صديقك
وصديقي حسن عزت عندما أنشأت كتابه الأول ١٩٥٤ وأسماه.
"أسرار معركة الحرية" عندما لم يتناول لقاءاتنا وحياتنا منه
ثبات الوطنية المدنية فما يردده رحمه الله "من أراد أن يتقلب
كيف ما تجد واثقاً أروح من راحته"
وكما ذكرت في كتابك ومنذ استهلاله أنكم كونتم تنظيماً
عسكرياً من الضباط الطيارين (عبد اللطيف بغدادي وحسن عزت
وسعودي ووجيه" ثم علمتم أن هناك ثمة تنظيم مدني
برئاسة عبد العزيز علي وأعطائه عبد المنعم عبد الرؤوف [illegible] الرحمن
حسين - ومحمد عبد الرحمن [illegible] - وحسين [illegible] والاسم

ثم يجتمعون في "بيت العرب" بوسط البلد وأن التنظيم
العسكري تعرف على التنظيم المدني ثم اتحدنا في تنظيم
واحد" صفحة من كتاب حسن عزت "أسرار معركة الحرية"
لم يقل حسن عزت كيف تعرف على تنظيمنا - ومن الذي قام
بعملية الاتصال وحسبه - ولم يقل كذلك كيف اتحدنا في
تنظيم واحد - الحقيقة للتفسير على هذا - فعموماً يرجعه وذكره
ونشره عبد العزيز علي في كتابه "الثائر الصامت" وهو الشخص الذي لم
يعرف عنه من يوم صار اسمه إلا الأرستقراطية والصدق والإيمان العميق
بحب الوطن والبلد - حتى أن إخوانه يشكون [illegible] لهم

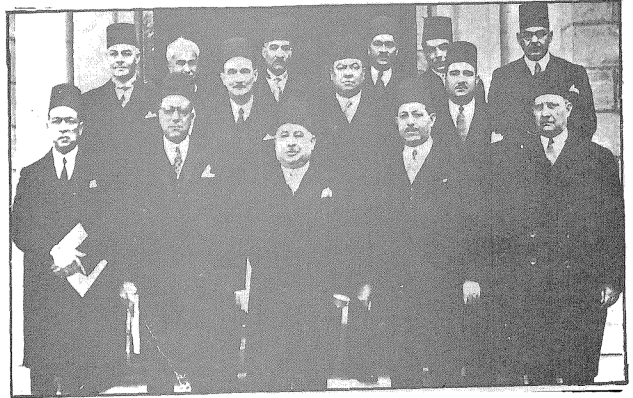
الثائر الصامت ما كان [illegible] ففتح [illegible] فاذي [illegible]
أما [illegible] الكتاب [illegible] [illegible] من سمعت [illegible]
[illegible] ابرز [illegible] واخوان [illegible]
[illegible] أو [illegible]
[illegible] الحبيب [illegible]

[illegible]
[illegible]

خطاب أرسله المستشار محمد عبد الرحمن حسين أباظة
إلى الأستاذ عبد اللطيف البغدادي



كان الملك يتحمل خشونة النقراشي في بعض الأوقات ، لأنه كان على يقين كامل أن مثل هذا الرجل لا يحنث بيمينه أبدًا



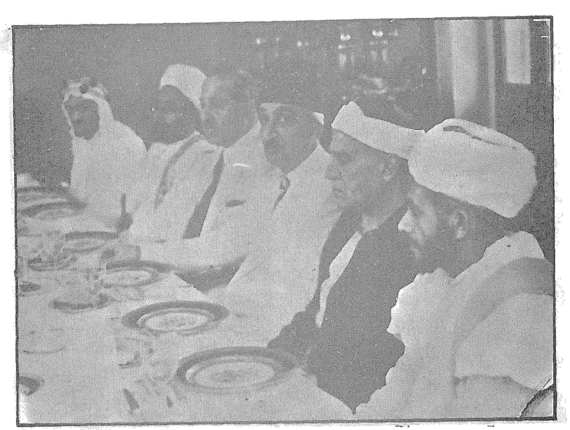
حافظ باشا رمضان ضمن الوزارة السعدية الائتلافية وقد كان بحكم شخصيته واعتداله أقرب للأحرار الدستوريين والسعديين منه إلى الحزب الوطني



الملك وبجواره النقراشي باشا ودسوقي باشا أباظة عام ١٩٤٦،
ولم تكن شعبيته قد انخفضت بعد بين جموع الشعب



الملك فيصل أحب الملوك إلى قلوب المصريين



الملك فيصل منذ بداية حياته السياسية كان على أوثق صلة بالسياسيين المصريين .



صورة لأحمد باشا ماهر ودسوقي باشا أباظة



اجتماع حزب الأحرار الدستوريين برئاسة هيكل باشا



على باشا ماهر مع لفيف من رجال حزبي الأحرار
الدستوريين والسعديين

فؤاد باشا سراج الدين ، وابراهيم باشا فرج فى السجن
وبرداء السجون وعلى وجهيهما نظرات التحدى والازدراء



جمال عبد الناصر من أشبال مصر الفتاة

فهرست

فهرست

فهرست

رقـم الإيـداع ١٠٦٥١ /٩٤

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

وكالة الأهـرام للإعلان

الإهداء

حينما أتشرف بإهداء هذا الكتاب إلى والدى وأستاذى ابراهيم دسوقى أباظة باشا فإننى أكون قد أهديته أيضًا إلى أبناء جيله العظماء من شباب وزعماء ثورة ١٩١٩ وإلى أبناء المدرسة الواحدة التى تشعبت إلى أحزابها الثلاثة الوفد والأحرار الدستوريين والسعديين .

ولعلنا بعد انقلاب ١٩٥٢ قد أدركنا تمام الإدراك أن مساحة التفاهم فيما بيننا كانت أهم وأعظم بكثير من مساحة الاختلاف.

وهذا الكتاب هو دعوة لأبناء وأحفاد هذا الجيل النابغ الذى أصبح فى ذمة التاريخ ، أن يتداركوا ما بقى من هذا التراث الضخم وأن يتصدوا لشراذم الجهل والانتهازية .

إلى والدى العزيز فى أكرم جوار

ثروت أباظة



مطابع الأهرام بكورنيش النيل

وكالة الأهرام للإعلان